وزارة الثقافة
احياء التراث العربي
٨٦

تحفة ذوي الألباب

فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب

تأليف

صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي

ت ٧٦٤ هـ

القسم الثاني

حققه

إحسان بنت سعيد خلوصي   زهير حميدان الصمصام

منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ١٩٩٢

تحفة ذوي الألباب

القسم الثاني

تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب / تأليف صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي ؛ حققه احسان بنت سعيد خلوصي ، زهير حميدان الصمصام . ــ دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٢ . ــ ج ٢ ؛ ٢٤ سم . ــ (احياء التراث العربي ؛ ٨٦) .

١ ــ ٩٢٠ ع ص ف ر ت ٢ ــ العنوان ٣ ــ الصفدي
٤ ــ خلوصي ٥ ــ الصمصام ٦ ــ السلسلة

مكتبة الأسد

الايداع القانوني : ع ــ ٨٦٠ /٧/ ١٩٩٢

(سَلْمانُ بنُ جَعْفَرَ بنِ فَلاح)

وَكَــانَ سَــلْمَــانُ أَبُــو تَمِيــمِ
أتى لَهــا فــي غَــايَــةِ التَّعْظِيــمِ

فَقَــالَ قَسّــامٌ أَنَــا مُطِيــعُ
فَجــاءَ مِــنْ مِصــر لَــهُ الرُّجُــوعُ

سَلمانَ بنُ جَعْفَرَ بنِ فَلاَحٍ،أَبُو تَميم (١) :

ولي إمْرةَ دمشق ، جهزّه العزيز (٢) صاحب مِصْر في سَنَةِ تِسْع وستين عند تغلُّب قَسّام الحارثي . فلم يمكّنه من الدخول .ونزل ظاهِرَ البلد ؛ فكتب قَسّامٌ إلى المُعزّ(٣) يقول : أنا طائعٌ ، ولم أخرج عن خلاف . فأمَرَ العَزيزُ سَلْمانَ بنَ [جعفر بن] فلاح بالرَّحيل عن دمشق ، فرحل عنها بعد أن أقام عليها أشهراً ، ووليَها أبو محمود

---

(١) انظر تاريخ ابن الأثير ٨ / ٦٩٧ وتاريخ ابن القلانسي ص ٤٩ ، ٥٢ وترجمته في تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ / ٢٠٩ وتاريخ ابن عساكر ٦ / ٤٣٦ . النجوم الزاهرة ٤ / ١١٥ .

(٢) العزيز : تقدم التعريف به جـ١ ص ٣٦٤ .

(٣) تقدم التعريف بالمعز جـ١ ص ٣٦٤ ولعل العزيز هو المراد ،وقد تقدم الكلام عن توليه جـ١ ص ٣٦٤ .

المغربي (١) على ما تقدم . ثم وليها مرة ثانية بعد ينجوتكين (٢) فأرسَل أخاه عَليَّ بن فلاح (٣) . فتسَلَّم البلَد ، وقَدِم سَلْمَان بعدَه ، فأقام ظاهر البلد لا يأمُرُ / ولا ينهى حتى بلغه عَزْلُ ابنِ عمارٍ (٤) الذي كان يتولّى تدبيرَ أَمْرِ الحكم . فعزله عَنْ دمَشق ، فرحل عنها يوم الثلاثاء سابع عشر ذي الحجة ، سنة سبع وثمانين . وولي جَيْشُ بنُ الصَّمْصَامة (٥) دمشق وأمر أن يستخلف بِشارة (٦) على دمشق . [١١٧ آ]

وكان سَلْمانُ بن فلاح قد وَصَل إلى دِمَشْق في يوم الأحد لأربع

---

(١) في الأصل : « أبو محمد » وهو خطأ واضح .

(٢) وكذا اسمه في كتاب الإشارة لمن نال الوزارة وتاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي الذي ذيل به كتاب التاريخ لابن البطريق٢/١٧٤ (انظر الإشارة لمن نال الوزارة ص٣٥ — حاشية ١) ورأي محققه صواب لكنه رجح ما جرى عليه جمهور المؤرخين الذين ذكروه باسم (منجوكتين) ثم قال : « قلنا إن يحيى بن سعيد الأنطاكي سمى منجوكتين بينجوكتين ، وقفينا على قوله بقولنا : ولعل ذلك هو الصواب إلا أننا علمنا من كتاب بعثه إلينا الأب أنستاس الكرملي أن منجوكتين من الأعلام التركية المؤلفة من كلمتين : منجو (عدس) وتكين (المغوار) أو الشجاع أو الباسل ، وأن سكان شمالي العراق يستعملونه حتى اليوم . وانظر تاريخ ابن القلانسي ص : ٤٠ وسماه (منجوكتين) وفي أمراء دمشق ص ٨٧ : « منجوتكين ويقال ينجوتكتين » وانظر تاريخ ابن عساكر ج ١٧ / ١٩٨ وسيأتي الكلام عن توليه دمشق ص١٣ .

(٣) هو علي بن جعفر بن فلاح . سيأتي الحديث عن توليه دمشق ص ٨ .

(٤) هو أبو محمد الحسن بن عمار بن علي بن أبي الحسن الكلبي : أحد أمراء صقلية ، وأحد شيوخ كتامة ، لقبه الحاكم (أمين الدولة) وهو أول من لقب في الدولة الفاطمية من رجال الدولة . قتل على يد الأتراك عام ٣٩٠ هـ إثر الفتنة التي قالت بين المغاربة وغلمان الأتراك بعد ازدياد اعتداء أحداث المغاربة على الناس (خطط المقريزي ٢ / ٣٦ — خط ابن عمار) وانظر تاريخ ابن القلانسي ص ٤٤ — ٤٩ ففيه مفصل سيرته ومقتله ، وانظر أيضاً الإشارة لمن نال الوزارة ص ٢٦ .

(٥) هو جيش بن محمد بن الصمصامة . تقدم الكلام عن توليه دمشق ج١ ص٣٩٠ .

(٦) سيأتي الحديث عن توليه دمشق ص١٠ ح٢ وانظر أيضاً تاريخ ابن القلانسي ص٥٢ — ٥٣ .

وعشرين ليلة خلت من شهر رجب سنة سبع وثمانين وثلاثمائة . ونَزَل في الشمّاسيّة(١)، ثم انتقل إلى قصر السلطان ، وكان حسن السيرة .

* * *

(يلتكين التركي)

وقَدْ تَولّى الأمْرَ يَلْتَكِينُ
وهُوَ لَدَى مَخْدُومِهِ مَكِينُ

يَلْتَكِين (٢) التركي :

كان من غِلْمان ألْفتكين (٣) أمير دمشق من قِبل الطائع وقد تقدم ذكره (٤) فأهْداه ألفتكين إلى الوَزير ابن كِلِّس بمصر(٥) ، فاصطنعه وجَرَّده إلى الشّام في عَسْكر كثير . وولي إمْرَةَ دمشق (٦) وكانَتْ دمشقُ إذ ذاك في فتنة قسام الحارثي (٧) المقدم ذكره ، وبها

(١) الشماسية : محلة بدمشق عند مسجد القدم أقام فيها المأمون مرصداً (معجم البلدان ٣ / ٣٦١ وغوطة دمشق ص ٢٣٦) .

(٢) ترجمته في تاريخ ابن القلانسي ص ٢٨ واسمه فيه (بلتكين) وتاريخ يحيى ابن سعيد الأنطاكي ص ١٦٣ واسمه فيه (تلتكين) ، ولعل كلاهما تصحيف (يلتكين) . انظر أمراء دمشق ص ١٠٠ وفي حاشيته أنه في تاريخ ابن عساكر .

(٣) تقدم التعريف به ج١ ص ٣٧٤ وص ٣٨٢ وهو من الولاة .

(٤) ج١ ص ٣٧٤ .

(٥) ابن كلس : تقدم التعريف به ج١ ص ٣٨٤ .

(٦) في تاريخ ابن القلانسي ص ٢٥ أن القائد يلتكين نزل دمشق في ذي الحجة سنة ٣٧٠ هـ .

(٧) قسام الحارثي : ذكره المصنف بين الولاة . انظر ج١ ص ٣٩٥ .

جَيْشُ بنُ صَمْصَامة (١) بعد موت خاله أبي مَحْمُود . ولم يزَلْ يلتكين يقاتل أهْلَ دمشق ، حتى تفرَّق عن قَسَّام من كان معه ، [١١٧ ب] واستَخْفَى وتسلّم يلتكين / البلد وأقام به إلى أن وردت الكتب من العزيز (٢) إليه بأن يسلمّ البلد إلى يكجور (٣) صاحب حمص ، ويرجع إلى مصر لاحتياج العزيز إليه لأنه اضطرب عليه جنده من المغاربة فاحتاج إلى جندٍ من الشام يقهر بهم المغاربة ، وذلك في سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة .

* * *

(عَليُّ بن جعفر بن فلاح)

كـذا تَـوَلاّهـا ابْـنُ جَعْفَـرٍ عَـليّ
فنـابَ عـن أخيـه لمّـا أن وَلـي

ثـم تـولـى الأمـر غـيـر مـرّة
فـلـم يَجـدْهـا حُلْـوَةً بـل مُـرّة

عليُّ بنُ جعفرَ بنِ فلاح (٤) . قَدِمَ دمشقَ أميراً عليها من قِبَل أخيه سَلْمانَ بنِ جَعْفر بن فلاح (٥) في جُمادى الأولى سنةَ

---

(١) أحد ولاة دمشق . تقدم جـ١ ص ٣٩٠ .
(٢) العزيز بالله . تقدم التعريف به في حواشي جـ١ ص ٣٦٤ .
(٣) يكجور : ذكره المصنف بين الولاة ـ انظر ص ٤٠ جـ٢ .
(٤) ترجمته في خطط المقريزي ٢ / ٢٨٨ وتاريخ ابن القلانسي ٥٧ والإشارة ص ٣٠ وتاريخ ابن عساكر وأمراء دمشق ص ٥٦ وفي ترتيب الولاة من هنا وحتى ولاية منير الخادم تقديم وتأخير لم نقوم ذلك لئلا نغير الأصل . فليحقق .
(٥) أحد الولاة . تقدم قبل قليل .

سبعٍ وثمانين ، فافتتن البلد في أيامه لسوء سيرته ،وأُحرِق حَجَرُ الذهب سَلْخَ جُمادى الآخرة سنةَ سبعٍ وثمانين ، ثم قدم عليّاً (١) والياً من قبل صاحب مصر ، وعلى الشامِ كلّه والعساكرِ به ؛ يوم السبت الليلتين بقيتا من شهر رمضانَ سنة تسعين وثلاثمائة (٢) . ثم عُزِل عنها وسار ليلة الأربعاء لثمانٍ خَلَوْنَ من شوال سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة ، على حالةٍ قبيحة (٣) . ثم إنه وليها من / مصر للحاكم (٤) بعد أبي صالح [١١٨ آ] مُفْلِح(٥) يومَ الأحد مستهل جُمادى ،وقيل : سَلْخَ شهر ربيعٍ الآخر سنةَ ثمانٍ وتسعين (٦) . ثم عُزِل عنها سَنَةَ ثمانٍ . وقيل : تسعٍ وتسعين وثلاثمئةً ، بحامد بن ملهم ، وكان عليٌّ المذكورُ حيّاً في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة .

* * *

(خُطْلُخ الحاجب)

وخطلخُ الحاجبُ كان يأمرُ
عن يلتكين وهو أمرٌ يظهرُ

---

(١) في الأصل : « علياً » خطأ .

(٢) ذكر ابن القلانسي ، ص ٥٧ ، أن علياً بن جعفر بن فلاح ، وصل والياً على دمشق يوم السبت لليلتين بقيتا من شوال سنة ٣٩٠ هـ . وأقام مدة يتولى أمرها ؛ إلا أنه لم يبسط يده في مال ولا تعرض لشيء من استغلال ، ثم صرف عنها وبدل بغيره .

(٣) انظر تاريخ ابن القلانسي ، ص ٥٧ — ٥٨ .

(٤) الحاكم بأمر الله الفاطمي واسمه منصور بن نزار بن معد بن إسماعيل بن محمد العبيدي الفاطمي ، من خلفاء الدولة الفاطمية . ولد في القاهرة سنة ٣٧٥هـ = ٩٨٥م ، وسلم عليه بالخلافة في مدينة بلبيس سنة ٣٨٦ هـ بعد وفاة أبيه ، وتوفي سنة ٤١١ هـ = ١٠٢١ م (النجوم الزاهرة ٤ / ١٧٦ : وخطط المقريزي ٢ / ٢٨٥ والأعلام ٧ / ٣٠٥)

(٥) من ولاة دمشق . انظر صفحة ١٧ .

(٦) انظر خلافاً في تاريخ توليه وعزله في الصفحة ٢١٣ — ٢١٤ .

الحاجب خطلخ (١) . ولي إمرة دمشق من قِبَلَ يلتكين (٢) المندوب لأمرها أيام العزيز (٣) وخطلخ هذا هو الذي قبض على قسّام (٤) بعد أن جاءه مُسْتأمناً . وحماه إلى مصر . وكان قدومُ خطلخ إلى دمشق (٥) في المحرَّم سنةَ ثلاث وسبعين وثلاثمائة .

* * *

(بشـــارة الإخشـيدي)

كـــذا تــولّـــى أمــرَهـــــا بشــــارَة
وانحسَــمــت إمـــــارةُ الإمـــــــارة

بشارة الإخشيدي (٦): ولي إمرة دمشق للحاكم، سنة ثمانٍ وثمانين وثلاثمائة . من قِبَل برجَوان الخادم (٧) . وكان قد ولي طبرية (٨)

---

(١) ترجمته في تاريخ ابن عساكر . وتاريخ ابن القلانسي : ٢٦ وأمراء دمشق ٣٠ .

(٢) انظر تاريخ ابن القلانسي ص ٢٦ — أحداث سنة ٣٧١ هـ .

(٣) تقدم التعريف به في حواشي جـ١ ص ٣٦٤ .

(٤) أحد ولاة دمشق . تقدم جـ١ ص ٣٩٥ .

(٥) والياً .

(٦) ترجمته في تاريخ ابن القلانسي ص ٥٢ واتعاظ الحنفا جـ١ / ٢٥٥ وأمراء دمشق ١٨ وفي تاريخ ابن القلانسي ص ٥٣ أنه دخل دمشق ونزل في قصر الولاة بها ، وشرع في البناء فيه على عادة الولاة في يوم الاثنين ، النصف من شوال سنة ٣٨٨ هـ .

(٧) برجوان : الأستاذ ، أبو الفتوح ، الخادم ، كان خصياً ربي في دار الخليفة العزيز ، ووصاه بابنه الحاكم بأمر الله فقام بتدبير أموره ، وتخلص من منافسيه . تطاول على الحاكم فحقد عليه وقتله سنة ٣٩٠ هـ (الوافي ١٠ / ١١٠ ، وفيات الأعيان ١ / ٢٧٠ ، خطط المقريزي ٢ / ٣ ، الإشارة إلى من نال الوزارة : ٢٧) .

(٨) تقدم التعريف بها في حواشي جـ١ ص ١٦٢ .

قبلَ ذلك مدة سنتين . وقرىء سِجِلُّه (١) بالجامع يوم الاثنين لِسَبْعٍ خَلَوْنَ من شهر رَجَبَ من السنة .وفي مستهل صفر من سنة تسعين ،أرسل القائد / جَيْشٌ (٢) إلى بشارة ليصير إلى بيت الإله (٣) ، وقرىء عليه [١١٨ ب] سجل (٤) جاء من مصر بولاية وحيد (٥) لدمشق . فأقام في بستان يكجور (٦) وأرسل أهله وثقله (٧) إلى طبرية . وأرسل إليه بعد مدة القائد جيشُ أن يرحل من البستان المذكور فإني أريد أجلس في منظرته (٨) فقال : أنا منتظر جواب كتبي من مصر . فقال له: توجّه إلى داريّا (٩) فبات بشارة على أنّه يصبح راحلاً ، فجاءه كتاب أنه لا يبرح من مكانه ، وأنّ البلد له عَشْرَ سنين ، وإنما كانت الكتب تصل أنّ بشارة قد ضعُف وكبر ، وأنه يختار طبرية وما يُؤْثِرُ دمشقَ ، وأن السجّل يصل إليه بعد ذلك مع ابن الأنباري ، فأَنْفَذَ الكتابَ إلى جيش ، فاشتّد ذلك . وجلس بشارة ، وجاء أهل البلد ، وهنؤوه بذلك ، ثم إن الولاية جاءت لوحيد في أربعٍ خَلَوْنَ من شهر ربيع الأول سنة تسعين، ورحل بشارة إلى طبرية .

* * *

---

(١) السجل : كتاب العهود .

(٢) جيش بن محمد بن الصمصامة : أحد ولاة دمشق ، تقدم جا ص ٣٩٠ .

(٣) كذا الأصل ، وفي تاريخ ابن القلانسي ص ٥٣ « بيت لهيا » ويقال لها (بيت الإلاهة) وهي قرية في غوطة دمشق . تقدم التعريف بها جا ص ٢٩٢ .

(٤) في الأصل : « سجلا » .

(٥) هو والي دمشق القادم ص ١٢ .

(٦) يكجور : وال دمشق . تقدم جا ص ٣٠٦ حاشية (١) .

(٧) الثقل : الأغراض والأحمال .

(٨) المنظرة : ما ارتفع من الأرض . ينظر منه .

(٩) داريا : تقدم التعريف بها ص جا ص ٤١ .

(أبو الغريب وحيد)

ثـم تـولاّهـا أبـو الغَـريـبِ
وحيـدُ فافهم نَسَـقَ الـترتيـبِ

[T.119] / أبو الغريب وحيد (١) وليها بعد بشارة المذكور . جاء في صفر سنة تسعين وثلاثمائة وجلس في الجامع ، وجاء الناس وهنؤوه ، وذلك بعناية القائد جيش ، ثم إنه سار معه في يوم الأربعاء لستٍّ عَشْرَةَ ليلةً خلَتْ من صَفَرَ سنةَ ثلاثٍ وتسعين وثلاثمائة ، بكُتُبٍ وصلته من القاهرة ، وتوجّه إلى الرملة (٢) والياً عليها . وكان وحيدٌ هذا قد وليها مرةً أخرى بعد علي بن جعفر بن فلاح (٣) ولايةً ثانيةً .

* * *

(منـير الخـادم الصقلبي)

كـذا تـولاّهـا منـيرُ الخـادمُ
وخـانـه فيهـا الـزمـانُ الظـالـمُ

---

(١) ترجمته في تاريخ ابن عساكر وأمراء دمشق ٩٤ .

(٢) الرملة : تقدم التعريف بها ج١ ص ١٨١ .

(٣) تقدم ص ٨ .

منير الخادم الصقلبي (١) ، غلامُ الوزير يعقوب بن كلّس (٢) .
وليها من قِبَل المصريين ، وقدمها يوم الثلاثاء منتصف شهر رجب سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة ، ولم يزل أميراً بها إلى شهر رمضان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ؛ فوصل بزال (٣) من طرابلس ، وقد كوتب بذلك ، فوصلها وقابل منيراً الخادم ، فانهزم منير الخادم يوم الاثنين تاسع عشر شهر رمضان ، وطلب الجبال ليخرج إلى جُوْسِيَة (٤) فأسره رجل من العرب / يقال له هندي (٥) ، فأخذ منه وحمل إلى دمشق (٦) ، وقد [١١٩ ب] قدمها ينجوتكين (٧) التركي والياً عليها من مصر ، وأُركب منيرٌ على جملٍ وقد قُرِنَ به قرد وطِيف به في دمشق (٨) ، ثُمَّ حُمل إلى مصر فُعفي عنه .

* * *

(ينجوتكين التركي)

ثم تولّى ينجوتكين التركي
فانخرطت طوعاً له في السِّلكِ

---

(١) ترجمته في تاريخ ابن عساكر وأمراء دمشق ص ٨٩ وتاريخ ابن القلانسي ص ٣٠

(٢) هو يعقوب بن يوسف بن إبراهيم : تقدم التعريف به في حواشي ج١ ص ٣٨٤ .

(٣) في الأصل : « براك » تصحيف . وهو وال لدمشق ذكره الصفدي في أمراء دمشق ص ١٨ .

(٤) جوسية : إحدى قرى محافظة حمص في الجنوب الغربي من حمص تبعد عنها ٤١ كم (جدول المسافات ص٥١) .

(٥) لم يذكر ابن القلانسي اسم هذا الرجل .

(٦) ذكر ابن القلانسي في تاريخه ص ٤٠ أن منيراً الخادم انهزم أمام ينجوتكين عام ٣٨١ هـ ، في شهر رجب ، فلما انهزم أخذ في الجبال حتى أخرج إلى أرض جوسية يريد حلب ، فخرج عليه عرب من الأحلاف فأخذوه ، ووصلوا به إلى دمشق فوجدوا ينجوتكين قد نزل عليها فسلموه إياه لطلب الجائزة .

(٧) في الأصل : « ينجوكتين » .

(٨) شهر ينجوتكين منيراً الخادم على جمل ، وقرن به قرد ومعه من أصحابه نحو مئة رجل على الجمال وعليهم الطراطير (تاريخ ابن القلانسي : ٤١) .

ينجوتكين(١) التركي ، مولى العزيز (٢) ، ولاه إمرة دمشق وتدبير العساكر، قَدمَها في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، فبقي أميراً عليها إلى أن مات العزيز في شهر رمضان سنة خمس وثمانين وثلاثمائة(٣)، وتولى ابنه الحاكم (٤) . فولى الحاكم سَلْمان بن جعفرَ بنِ فلاح (٥) . وتوجّه ينجوتكين إلى الرملة (٦) للتقى من يجيء من مصر ، فاقتتلوا قتالاً عظيماً ، وانهزم ينجوتكين يوم الجمعة لأربع خلون من جُمادى الأولى سنةَ سبع وثمانين ، ورجع إلى دمشق في تاسع جمادى الأولى من الشهر ، وطلب النُّصْرة من أهل دمشق ، فلم يجيبوه إلى ذلك ، خوفاً من الحصار والغلاء . ونهبوا داره ، وخرج منهزماً إلى أذرعات (٧) إلى ابن الجراح الطائي (٨) فلم يمنعه وسلّمه إلى سَلْمانَ فبعث به إلى مصر فَمنَّ عليه الحاكم / وأطلقه . [٢٠١ آ]

قلتُ : وذكر الحافظ ابن عساكر — رحمه الله — في ولاة دمشق ، منجوتكين بالميم ، والظاهر أنه وهم في ذلك ، فإن الترجمتين واحدة ، وإن اختلفت العبارة ، فإن تواريخ العزل والولاية واحدة ، والله أعلم(٩)

* * *

(١) ترجمته في تاريخ ابن عساكر وأمراء دمشق وانظر تاريخ ابن القلانسي ص ٤٠
(٢) هو العزيز بالله بن المعز . تقدم التعريف به في حواشي جـ١ ص ٣٦٤ .
(٣) انظر تاريخ ابن القلانسي ص ٤٠ — ٤١ .
(٤) الحاكم بأمر الله الفاطمين ابن العزيز بالله .
(٥) وال . تقدم ص ٥ .
(٦) تقدم التعريف بها جـ١ ص ١٨١ .
(٧) أذرعات ، هي مدينة درعا اليوم . تقدم التعريف بها جـ١ ص ١٠٩ حاشية(٣) .
(٨) واسمه علي بن دغفل بن الجراح . ذيل تاريخ دمشق ص ٤٦ — ٦٤ .
(٩) انظر تاريخ دمشق لابن عساكر .

(تميم بن إسماعيل المعروف بِفَحْل)

(كـذا ابـنُ اسماعيـلَ تميـمُ الفحلُ) (١)
وكـــادَ عِقْـدُ عُـمْـرِه يَنْحَــلَ

تميم بن إسماعيل (٢) المعروف بفحل . وقيل : فحل بن تميم . قدم دمشق والياً عليها من جهة الحاكم . سَنَةَ سبع وثمانين وثلاثمائة ، ثم وليها سنة تسعين وثلاثمائة ، فَقَدِمَها ، فأقام بها شهراً من هذه السنة ، ومات من علّةٍ عَرَضَتْ له ، وقدم بعده القائد علي بن جعفر بن فلاح (٣) .

* * *

(ختكين المعروف بالضّيف)

وختكّين قـد تولّى الأمـرا
فلقي النـاسُ بـذاك شَـرّا

أبو منصور ختكين القائد المعروف بالضيّف (٤) . ولي إمرة دمشق مرتين ، مرةً من قبل الحاكم بعد علي بن جعفر بن فلاح سنة اثنتين

---

(١) في أمراء دمشق ص ١٤٠ : « كذا تميم بن إسماعيل الفحل » .
(٢) ترجمته في تاريخ ابن عساكر ٣ / ٣٤٤ والوافي بالوفيات ١٠ /٤١٦ وانظر تاريخ ابن القلانسي ٥٧ .
(٣) تقدم ص ٨ وكان ينبغي أن يذكر هنا .
(٤) ترجمته في تاريخ ابن عساكر وأمراء دمشق ٢٩ وانظر تاريخ ابن القلانسي ص ٥٧ .

وتسعين وثلاثمائة . فأساء السيرة في الجند . وكان أَحْمَقَ فَوَثَبوا به ، وظاهَرَهُمْ عليٌّ بن جعفر بن فلاح . فلما بلغ الحاكم أَمْرُه عزله / [١٢٠ ب] وولّى تموصلت ، جاءت ولايتُه يوم الخميس لِستٍ خَلَوْنَ من المحرَّم سنة تسع وسبعين وثلاثمائة . وعزل يوم الثلاثاء لثلاث وعشرين من شهر رجب من هذه السنة .

* * *

(تموصلت بن بَكار)

كـذا تَمُوْصَلْـت أتـاهـا حـاكمـاً
وكـان عنـد الرفض جَلْـداً ظالمـا

تموصلت ويقال طزملت ، ويقال طمران بن بكار ، أبو محمد القائد الأسود (١) : ولي إمرة دمشق والعساكر الشاميّة من قبل الحاكم في سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة . ونزل بقصر السلطان يوم الأحد لِخَمْسٍ بَقِيْنَ من ذي القعدة من هذه السنة ، وتوفي سنة ثلاث وتسعين

(١) جاء في تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٧ ، ص ٥٨ ، (طزملت) ، ويقال تمصولب بن بكار اليزيدي الأسود ، ولي إمرة دمشق في أيام الملقب بالحاكم سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة ، ثم عزل عنها سنة أربع وتسعين ومات في تلك السنة — وسماه ابن القلانسي ص ، ٥٨ (طزملة بن بكار البربري) ، ثم رسمه في مكان اخر (طزملت) ، وذكره في أحداث عام ٣٩٦ هـ أنه ولي على دمشق في يوم الأحد لست بقين من ذي القعدة من السنة . وكان طزملت هذا عبداً لابن وفوي والي القيروان ، فولاه طرابلس الغرب ، فجار على أهلها وظلمهم ، فلما انتهى أمره إلى مولاه خافه وانهزم ووصل إلى مصر وحمل بعض ما كان معه إلى الحاكم ، فتمكنت حاله منه وولاه دمشق ، وكان ذلك عام ٣٩٤هـ ، ثم صرف عنها بقائد اسمه مفلح اللحياني — وانظر تاريخ ابن القلانسي من ص٥٨ — ٦٢ . وفي أمراء دمشق ص ٢١ : « تموصلت ، ويقال طزملت ، ويقال طمزان » . وفي تاريخ ابن عساكر ٣ / ٣٣٤ والوافي بالوفيات ١٠ / ٤٠٥ .

بداريّا (١) ، وخرج الأشراف والقاضي والقواد وصلّوا عليه . وكانت مدة ولايته سنة وشهرين . وكان تموصلت ولّى على دمشق غلاماً له أسودَ اسمُه رشيد ، وخلع عليه . وكان تموصلت رافضياً ، خبيثاً ، دوَّر في شهر ربيع الآخر رجلاً مغربياً ونادى عليه هذا جزاء من يحب أبا بكر وعمر ، ثم أخرجه إلى الرماد ، وضربت عنقه هناك . قلت : وقد كرره الحافظ ابن عساكرٍ – رحمه الله – لأنه ذكره / في حرف [١٠٢١ آ] الطاء ، سمّاه طُزملت ، وغيّر العبارة وهما واحد)(٢) .

* * *

(مُفْلِح اللحياني)

ثم تولّى مُفْلِحُ اللّحياني
من أكبر القوادِ والأعيانِ

أبو صالح الخادم (٣) القائد ولي إِمْرَةَ دمشقَ للحاكم سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة . وقيل : وليها بعد تموصلت في صَفَر سَنَةَ أربعٍ وتسعين وثلاثمائة . قَدِمَها يوم الخميس لِثمانَ عَشْرَةَ ليلةً خلت من المحرم سنة أربع وتسعين ، وسار عنها في صفر سنة ثمان وتسعين

---

(١) داريا : تقدم التعريف بها ص ٤١ ج١ .

(٢) انظر تاريخ ابن عساكر .

(٣) اسمه مفلح ، وترجمته في تاريخ ابن عساكر وأمراء دمشق ٨٦ وانظر تاريخ ابن القلانسي ص ٦٢

وثلاثمائة لمّا اتّصل به (١) ولاية علي بن فلاح (٢) . فشدَّ رَحْلَهُ وتجهز للحضرة (٣) ومن خلفائه على دمشق وصيفٌ وعليٌّ السروري .

* * *

(حامدُ بنُ مُلْهِم)

كذا تولّى حامدُ بنُ مُلهمِ
فاصْغِ إذا شئتَ لقولٍ مُفهمِ

أبو الجيش حامد بن مُلهم (٤) . القائد :ولي إمرة دمشق للحاكم،بعد علي بن جعفر بن فلاح سنةً وأربعةَ أشهر ونِصفاً، وذلك في خمسٍ وعشرينَ ليلةً خلت من شهر رجب سنة تسع وتسعين وثلاثمائة . ثم عُزل بِمُطهّر بن بزال. وكان حامد من ممدوحي عبد المحسن الصّوري(٥)

* * *

(مطهّر بن بَزال)

ثم تولّى أمرَها المطهّرُ
وذاك بالنقل غدا يُحَرَّرُ

---

(١) أي : علم .

(٢) هو علي بن جعفر بن فلاح . تقدم ص٨ ج٢ وهذه ولايته الثالثة .

(٣) الحضرة : حضرة الرجل : قربه وفناؤه .وكل كبير يحضر عنده الناس .

(٤) ترجمته في تاريخ ابن عساكر ٤ / ١٧ وأمراء دمشق ص ٢٦ وانظر تاريخ ابن القلانسي ص ٦٦ .

(٥) هو عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن غالب الصوري ، يلقب بابن غلبون ، شاعر من أهل صور . ولد بها سنة ٣٣٩ هـ = ٩٥٠ م وبها توفي سنة ٤١٩ هـ = ١٠٢٨ م له ديوان مطبوع (وفيات الأعيان / يتيمة الدهر ١ / ٢٢٥) .

/ مطَهّر بن بَزال (١) : ولي إمرة دمشق للحاكم بعد حامد بن [١٢١ ب]
ملهم ، على ما تقدم ، وكان ذلك يوم الجمعة لِسِتٍّ عَشْرَةَ ليلةً خلت
من شهر رمضان سنة تسع وتسعين وثلاثمائة . وقُرِىء سِجِلُّه في
الجامع . وقيل : إنه ولي بعد عزل عليٍّ بن جعفرَ بن فلاح . وتَجَهَّزَ
ابن فلاح للمسير إلى الحضرة . وفي سنة أربعمائة ، أظهر المظفر أبو
الفتح المنيري (٢) سِجِلاً ، يُذكر فيه أنه قائد الجيوش ، فلمّا بلغ
ذلك ابن بزال هرب ، وأنفذ المظفر خلفه الخيل فلحقوه وجرحوه في
يده ، وركب المظفّر وخلّصه منهم وأخذه إليه ، وجعله في خيمة وقيّده
وقال : ما أمرتُ بقتلك ، وإنما أمرتُ بمحاسبتك على المال وجُهِّزَ إلى
مصر .

* * *

(أبو الفتح المظفر المُنيْري)

ثم أبو الفتح تولّى بعده
فاسمع سياقاً قد نظمتُ سَرْدَهُ (٣)

أبو الفتح المظفر المنيري القائد (٤) : ولي إمرة دمشق بعد المطهّر
ابن بزال أيام الحاكم في يوم الأحد لسَبْعَ عَشْرَةَ ليلةً خلت من شهر

---

(١) ترجمته في تاريخ ابن عساكر / وأمراء دمشق ص ٨٣ .

(٢) هو الوالي القادم .

(٣) في أمراء دمشق : « قد نظمت دره » ص ١٤٠ .

(٤) ترجمته في تاريخ ابن عساكر وأمراء دمشق ص ٨٤ وانظر تاريخ ابن القلانسي ص ٦٦ .

رمضان سنة إحدى وأربعمائة . وقد تقدم في ترجمة الذي قبله ما جرى له معه . وعُزل عنها / في يوم الاثنين لسبعٍ وعشرينَ ليلةً خلَتْ من شهرِ ربيعٍ الأولِ سنةَ إحدى وأربعمائة . وكانت مدة ولايته ستة أشهر وتسعة أيام . وسلمها بَدْرَ العطار ، وتوجّه إلى الحضرة ،وقيل إنه مات بِبَعْلَبَكَّ (١) .

[١٢٢آ]

* * *

(بَدْر العطّار)

ثم تَولّى بَدْرٌ العطّارُ
ولم تَطُلْ أيّامُهُ القِصارُ

لكن تولّى بعد ذا مرارا
وكان بدراً فارقَ السِّرارا (٢)

بَدْرُ العطار ، أبو النجم (٣) : ولي إمرة دمشق خلافةً لأبي الفتح مظفر المُنيري ،لما استُدعي إلى مصر ، وذلك في يوم الاثنين لثلاثٍ بقين من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعمائة.

قال ابن النحوي : ثم وليها في سنة ستٍ وأربعمائه خلافةً لأبي عبد الله محمد بن بزال حين سار عنها معزولاً بساتكين(٤) ، ثم وليها في شهر رجب إحدى عشرة وأربعمائة بعد فتنة ولي العهد ،وولي بعده

---

(١) تقدم التعريف بها ج١ ص ٢١٤ .

(٢) السرار : آخر ليلة من الشهر .

(٣) ترجمته في تاريخ ابن عساكر وأمراء دمشق وانظر تاريخ ابن القلانسي ص ٦٦ .

(٤) في الأصل: « ساتكين » و « ساتكين » الوالي يأتي الكلام عنه ص٢٤ . ومحمد بن بزال الوالي يأتي الكلام عنه ص ٢٣ .

أبو المطاع بن حمدان ولايته الثالثة (١) . وكانت مدة ولاية بدر الأولى سته أشهر إلا خمسة أيام ، وقدم بدر والياً على الغوطتين (٢) والشرطة ، / [١٢٢ ب] وجبل سنير (٣) يوم الأحد لستٍ خَلَوْنَ من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة .

* * *

(لؤلؤ بن عبد الله البشاري)

وقـد تـولـى أمـرهـا البشَـاري
لـولـو وكـان مـن حُـلاهـا عـاري

لؤلؤ بن عبد الله ، أبو محمد البشاري ، وقيل : البشراوي ، منتجب الدولة (٤) : وليها بعد المظّفر من الحاكم يوم الأحد لسبعٍ خَلَوْنَ من جُمادى الآخرة سنة إحدى وأربعمائة وقيل: يوم الاثنين. ونزل بيت لِهْيا (٥) ، ثم انتقل إلى الدّكة (٦)، ثم إلى مرج الأشعريين(٧)

---

(١) سيأتي الكلام عنه ص ٤١ .
(٢) الغوطتان : تقدم التعريف بهما ص ٦٧ ج١ .
(٣) تقدم التعريف به ص ٣٩٥ ج١ .
(٤) ترجمته في تاريخ ابن عساكر وأمراء دمشق ص ٧٣ وانظر البداية والنهاية ١٣ / ٣٤٥ وتاريخ ابن القلانسي ص ٦٦ والعبر ٣ / ٨١ .
(٥) بيت لهيا : تقدم التعريف بها ص ٢٩٢ ج١ و١١ ج٢ .
(٦) الدكة : قال ياقوت : موضع بظاهر دمشق ، في الغوطة (معجم البلدان) ٢ / ٤٥٩) وهو موضع فوق نهر يزيد يسمى اليوم الدواسة ، وكان الفاطميون قد جعلوا في هذه الحدائق بيت الإمارة ، وكان فيها قصر خمارويه (غوطة دمشق ص ٢٣٢) .
(٧) كان هذا المرج تحت القلعة ، شماليها ، ثم سمي سوق البطيخ (تاريخ ابن عساكر المجلدة الثانية ص ٨٩ ح ٢) ويشمل سوق التبن ، وخان البطيخ ، وخان الباشا إلى سويقة صاروجا (سوق ساروجة اليوم) (غوطة دمشق ٢٤٤) . وقال عنه ابن شداد في الأعلاق الخطيرة – ج٢ ص ٣٦ : هو مرج باب الحديد الذي هو من أبواب قلعة دمشق .

فأقام فيه إلى ليلة الأربعاء لعشرٍ خَلَوْنَ من جُمادى الآخرة . ودخل القصرَ في الليل ، وعُزِل يومَ الأضحى . وكان العيدُ يومَ الجمعة(١)، فصلّى بالناس لؤلؤ صلاةَ العيد ، وصلى الجمعة بالناس أبو المطاع ذو القرنين (٢) ، لأنه عُزِل به . فكانت ولايته ستة أشهر وثلاثة أيام .

وكان قد قدم إلى دمشق من الرَّقة وسيّر ذو القرنين [مَنْ] يقول للؤلؤ : إن كنت في الطاعة ، فاركب وادخل القصر ، وإن كنت عاصياً فارحل . فقال : أنا في الطاعة . ولكن ما أَدْخُلُ القصر ،وأسأل المهلةَ ثلاثةَ أيام حتى أَرْحَلَ ، فركب / حمدان (٣) من وقته بمن معه من المغاربة والجُنْد ، وأخذ لؤلؤ من دار العقيقي (٤) ، فركب أصحابه وقاتلوا إلى بعد العَتَمة ، وقُتل بينهم جماعة ، وهرب لؤلؤ من السطح. ثم إنهم دَلُّوه عليه فقيَّده وجهّزه على بغل في جُوالقاتٍ (٥) إلى

[٢٣ أ]

(١) المراد عيد الفطر .

(٢) أورد المؤلف ولايته عند حديثه عن ولايات بني حمدان . انظر الفحة ٤١ القادمة .

(٣) كذا الأصل ، والمراد أبو المطاع ، ذو القرنين بن أبي المظفر حمدان .

(٤) دار العقيقي: كانت هذه الدار تجاه المدرسة العادلية،شرع في عهد الملك السعيد ابن الملك الظاهر سنة ٦٧٦ هـ بجعلها مدرسة وتربة للملك الظاهر . والعقيقي : نسبة إلى وادي العقيق ، عند المدينة النبوية ، وينسب إليه محمد بن جعفر بن عبد الله بن الحسين الأصغر ابن علي بن الحسين بن علي بن بي طالب . وله عقب ، وفي ولده رئاسة . ومن ولده أحمد بن الحسين بن أحمد بن علي بن محمد العقيقي ، وكان من وجوه الأشراف بدمشق ، وهو الذي بنى هذه الدار . (انظر الأعلاق الخطيرة —ج ١ – تاريخ دمشق ص ١٢٢ —ج ٤ وإعلام الورى ص ٧ ج ١) وهي اليوم دار الكتب الظاهرية .

(٥) الجوالقات : جمع جوالق وهو عدل كبير منسوج من صوف أو شعر ، يوضع فيه التبن ونحوه ، وهو المعروف عند العامة باليالق . وقد يجعل تحت الحمل . وهو لفظ فارسي معرب (كواله) ، ويجمع أيضاً على (جواليق) (تكملة المعاجم العربية لدوزي ٢ / ٢٥٧ – ح ٨٦٣) .

بعلبك (١) . وقتل وجيء برأسه من بعلبك ، قيل : إن ذلك بِسِجِلٍ وَرَدَ من القاهرة .

* * *

(محمد بن بزال)

ثم ابنُ حَمْدانَ غدا في مَرْبَعِهْ
وسوف يأتي ذكرُهُ في مَوْضِعِهْ (٢)
ثم تولّى قائدُ الجيوشِ
وقد سما بعقله المَعِيْشي

محمد بن بزال ، أبو عبد الله ، القائد المعروف بقائد الجيوش ، مختار الدولة (٣): وَلِيَ إمرةَ دِمَشْقَ بعد أبي المُطاع الحمداني في أيّام الحاكم ، لِعشرٍ خَلَوْنَ من جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعمائة . وسار الحمداني إلى الساحل ليسير إلى مصر ،

ثم إنّ ابن بزال بلغه أنّ ساتكين (٤) قد وصل إلى الرملة (٥) أميراً على دمشق فسار عنها معزولاً . وكانت ولايته ثلاثَ سنين وثمانيةَ

---

(١) بعلبك : تقدم التعريف بها ص ٢١٤ ج ١ .

(٢) عند الكلام على ولاة بني حمدان — انظر ص ٤١ القادمة .

(٣) ترجمته في تاريخ ابن عساكر وأمراء دمشق ص ٧٦ وانظر تاريخ ابن القلانسي ص ٦٩

(٤) الوالي الذي أتى بعده .

(٥) الرملة : تقدم التعريف بها ج ١ ص ١٨١ .

أشهر وثمانيةَ عَشَرَ يوماً ؛ واستخلف ابنُ بزال على دمشقَ بدراً العطار (١) إلى أن وصل ساتكين .

* * *

(ساتِكين ، المعروف بسهم الدولة)

[١٢٣ ب] / وساتِكين بَعْدَهُ أتَاها
كان فَتَاها في الورى فتاها

ساتكين المعروف بسهم الدولة (٢) : ولي إمرة دمشق أيامَ الحاكم بعد ابن بزال يومَ الجمعةِ لعشرٍ خَلَوْنَ من شهر صَفَرَ سنةَ ستٍ وأربعمائة ، ثم إنه خرج معزولاً عنها إلى مصر يومَ الخميس ثامنَ جُمادى الآخرة ، سنةَ ثمانٍ وأربعمائة ، وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر وأياماً ، وولي بعده سَديدُ الدولة .

وكان ساتكين قد بنى جسر باب الحديد (٣) ، وعُزل قبل تمامه .

فقال أبو الفتح أحمد بن عبد الله الباهر :

عَقَدَ الجسرَ وقد حلَّ عُراه بيديهِ
ما دَرى أنَّ عليه يَعْبُرُ العَزْلُ إليهِ

* * *

---

(١) تقدم ذكر هذا الوالي ص ٢٠ج٢ .

(٢) ترجمة في تاريخ ابن عساكر وتهذيبه ٤٢/٦/ وأمراء دمشق ص ٣٦ والنجوم الزاهرة ٢٤٢/٤/ وتاريخ رالقلانسي /٦٩/ .

(٣) باب الحديد : هو الباب الشمالي لقلعة دمشق ، سمي بذلك لأنه مصنوع كله من الحديد وهو اليوم قرب سوق كان يقال له قبل سنين سوق الزرابلية عند زاوية القلعة الشمالية الغربية (انظر الأعلاق الخطيرة ص ٣٦)

(سديد الدولة ، أبو منصور .)

ثم أتى بعدُ سديدُ الدّولة
فلم يُتِمَّ بَعْدَ حَوْلٍ حَولَه

أبو منصور المعروف بسديد الدولة (١) : ولي دمشق بعد ساتكين الحاكم . وقيل : بعد يوسف بن ياروخ (٢) . وقدمها يوم الأحد لست وعشرين ليلةً خلت من ذي القعدة سنة ثمان وأربعمائة . ثم جاء كتابٌ بعزله لخمسٍ بقَيْنَ من شهر ربيعٍ الآخر سنةَ عشر وأربعمائة/ ووليَ [٤،٢،١،آ] بعده ولي العهد عبد الرحيم بن إلياس (٣) .

* * *

(يوسف بن ياروخ)

وقيل كانَ قَبْلَ ذاكَ يُوسُفُ
فشكَّ في ذا الأمر مَنْ لا يَعْرِفُ

القائد يوسف بن ياروخ (٤) ابن زوجة الأمير ساتكين : ولي دمشقَ

---

(١) ترجمته في تاريخ ابن عساكر وأمراء دمشق ص ٨٨ وتاريخ ابن القلانسي ص ٦٩ . في رواية لابن القلانسي ، ص ٦٩ : وصل الأمير سديد الدولة أبو منصور والياً على دمشق في يوم الأحد لخمس بقين من ذي القعدة سنة ٤٠٨ ﻫ ، فنزل المزة ودخل القصر في غد ذلك اليوم ، فما شعر إلا وكتاب العزل قد وافاه يوم الأحد لخمس خلون من ربيع الآخر من سنة ٤٠٩ ﻫ فبرز من يومه إلى المزة وسار من غده .

(٢) الوالي القادم .

(٣) يأتي بعد يوسف بن ياروخ .

(٤) ترجمته في تاريخ ابن عساكر وأمراء دمشق ١٠١ واسمه فيهما (يوسف ابن رباح) وفي تاريخ ابن القلانسي ص ٦٩ (يوسف بن ياروخ) وأنه تولى دمشق سنة ٤٠٧ ﻫ .

في مستهل ذي القعدة سنة ست وأربعمائة للحاكم . وقيل : إنه عزل بسديد الدولة في ذي القعدة سنة ثمان وأربعمائة

* * *

(عبد الرحيم بن إلياس)

ثمَّ تولاها وليُّ العهد
وانقلبت دولتُه للضدّ

عبد الرحيم . وقيل : عبد الرحمن بن إلياس بن أحمد، أبو القاسم المعروف بولي العهد (١): جعله ابن عمه الحاكم (٢) وليّ العهد في سنة أربع وأربعمائة . جاء منشوره إلى دمشق في هذه السنة، وقرىء منشوره بذلك في شهر ربيع الأول منها ، وقَدِمَ هو (٣) والياً عليها في آخر أيام الحاكم يوم الثلاثاء لأربع وعشرين ليلةً خلت من جُمادى الآخرة سنةَ عشر وأربعمائة . ورَخّص للناس فيما كان الحاكم نهاهم عنه من إظهار المنكَر من الخمر ، وسماع الأغاني ، فأحبّه أهل البلد وأبغضه الجُنْد لِبُخْلٍ كان فيه . فكتبوا إلى مصر أنه مضمرٌ العصيانَ / ووقع [١٢٤ ب] بين الجُنْد وأهلِ البلد حربٌ وحريقٌ وَنَهْبٌ، ووردت كُتُبُ الحاكم إليه بالمصير إلى مصر ، فسار يومَ الجمعة لثمانٍ وعشرين ليلةً خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، وعاد إلى دمشق يوم الاثنين لأربعَ عَشْرَة ليلةً خلت من شهر رَجَبَ سنة إحدى عشرةَ وأربعمائة . وكان قد تغلب على البلد رجلٌ اسمه محمد بن أبي طالب،

(١) ترجمته في تاريخ ابن عساكر وأمراء دمشق ٥١ والنجوم الزاهرة ٤ / ١٨٩ وتاريخ ابن القلانسي ص ٦٩ وخطط المقريزي ٢ / ٢٨٨ .
(٢) هو عند ابن القلانسي أخو الحاكم .
(٣) الأصل : « وهو » .

واجتمع إليه جماعةُ من الأحداث ، وحارب الجماعة امتعاطاً (١) لولي العهد [و](٢) لما علم (٣) أنه غيرُ عاصٍ رَدَّه ، وَعَرَفَ محمدُ بنُ أبي طالب عَوْدَهُ ، فسار للقائه ، وعاد إلى دمشق وتسلّط بها هو والأحداث ، ولم يبق لأحد معه أمر ، فأرسل إليه ولي العهد في تسكين الأمر ، فلم يُطِعْهُ ، فقبض الجندُ على محمد بن أبي طالب وقتلوه وصلبوه ، واستقام أمر دمشق لولي العهد فبذل حينئذٍ (٤) المصادرة ، فتنكر له أهل دمشق ، وأجمع أهل البلد والجند على كراهيته فلما مات الحاكم في سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، وبُويِع ابنُه بمصر أرسل مِنْ مصرَ إلى الأمراء فقبضوا عليه ، وحملوه مقيَّداً / واعتقل في القصر مكرَّماً [١٢٥ آ] إلى أن مات (٥) . وتولّى أبو المطاع بعده ، وسيأتي ذكره في

---

(١) كذا الأصل ، ولعل المراد امتعاضاً من ولي العهد .

(٢) أضفنا الواو ليقوم الكلام

(٣) أي الحاكم بأمر الله .

(٤) كذا الأصل ، ولعل المراد فبدأ حينئذ المصادرة .

(٥) ارتبط الاستدعاء الأول لعبد الرحيم بن الياس بمسألة تولية الحاكم له لولاية عهده ، والصراعات داخل قصر الخلافة في القاهرة وخارجه حول إعلان القيامة . أما الاستدعاء الثاني فجاء بعد اختفاء الحاكم بأمر الله وإعلان ابنه إماماً جديداً باسم الظاهر – وقال سبط ابن الجوزي حول حوادث سنة ٤١١ : (. . . وكان ولي عهد الحاكم واسمه الياس ، وقيل : عبد الرحمن ، وقيل : عبد الرحيم بن أحمد ، وكنيته أبو القاسم ويلقب بالمهدي ، ولاه الحاكم العهد سنة ٤٠٤هـ) .

وقال القضاعي : إنها ست الملك أخت الحاكم لما كتبت إلى دمشق بحمل ولي العهد إلى مصر ، لم يلتفت واستولى على دمشق ، ورخص الناس ما كان الحاكم حظره عليهم من شرب الخمر وسماع الملاهي ، فأحبه أهل دمشق ، وكان بخيلا ظالماً ، فشرع في جمع المال ومصادرات الناس ، فأبغضه الجند وأهل البلد . فكتبت أخت الحاكم إلى الجند فقبضوه ، وبعثوا به مقيداً إلى مصر ، فحبس في القصر مكرماً وأقام مدة . ثم روي أنه اغتال نفسه في رواية ، وفي رواية أخرى قتل بأمر من ست الملك – (انظر تاريخ ابن القلانسي ج١ ص ١١٤ –) .

موضعه (١) . ثم ولي بعده سختكين .

* * *

(سختكين ، المعروف بشهاب الدولة)

ثم تولّى الأمرَ سختكينُ
هذا الذي مَنْ أَمْرُه يَبينُ

سختكين المعروف بشهاب الدولة (٢) : ولي إمرة دمشق للظاهر(٣) صاحب مصر بعد الحمداني في الولاية الثانية ، وقدمها سختكين في يوم الثلاثاء لِسَبْعٍ خَلَوْنَ من شهر رجب سنةَ اثنتي عشرةَ وأربعمائة. ودَخَلَ المِزَّة(٤)، ثم دخل قصر الإمارة[من]الغد،ومات في قصر السلطان ليلة الجمعة لعشرٍ خلت من ذي القعدة سنة أربع عشرة ، فأقام في ولايته أربعة أشهر ويومين بعد السنتين ، وعاد إليها أبو المطاع الحمداني، وسيأتي ذكره في موضعه .

* * *

---

(١) انظر الصفحة ٤١ القادمة .

(٢) ترجمته في تاريخ ابن عساكر ٦ / ٦٦ والوافي بالوفيات ١٥ / ١٢٣ وأمراء دمشق ٣٧ واسمه في تاريخ ابن القلانسي ص ٧٠ (شختكين) وفيه أنه تولى سنة ٤١٤ هـ

(٣) الظاهر : هو الظاهر لإعزاز دين الله ابن المنصور الحاكم بأمر الله الفاطمي، أبو الحسن : من ملوك الفاطميين بمصر ، تولى بعد أبيه الحاكم سنة ٤١١ هـ بعهد منه ، وكان صغيراً له ست سنوات ، مات بالقاهرة سنة ٤٢٧ هـ = ١٠٣٦ م (خطط المقريزي ١ / ٣٥٤ ، اتعاظ الحنفا : ٢٧١ وفيات الأعيان ٣ / ٤٥٧ - ترجمة ٤٨٢) .

(٤) المزة : تقدم التعريف بها ص ٦٢ ج١ .

(أنوشتكين الختني)

ثــــم أنــوشـــتكـين الختـــني
وكـــان في نهـجٍ قويـمٍ بـــين

أنوشتكين ، أبو منصور الخُتَنِيّ (١) : ولد بِخُتَن من بلاد التُرك (٢) ، وهو مولى دزبر بن أونيم (٣) الديلمي المعروف بأمير الجيوش .

ولي دمشقَ مِنْ قِبَلِ الظاهر (٤) بعد أبي المطاع الحمداني (٥) سنة تسع عشرة وأربعمائة . ولم يزل بها مقيماً إلى أن وقع بينه وبين [١٢٥ ب] الجنْد . فخرج عنها هارباً سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة إلى حلب . فأقام بها ثلاثة أشهر ومات . لأن الوزير أبا القاسم علي أحمد بن

---

(١) ترجمته في تاريخ ابن عساكر وأمراء دمشق ص ١٤ والنجوم الزاهرة ٥ / ٣٤ ، وتاريخ ابن العديم ١ / ٥٥ وتاريخ ابن القلانسي ٧١ ووفيات الأعيان ٢ / ٤٨٧ والوافي بالوفيات ٩ / ٤٢٥ وانظر الخلاف في اسمه في الإشارة إلى من نال الوزارة ص ٣٦ ح ٣ .

(٢) قال ياقوت : « بلد وولاية دون كاشغر ، ووراء يوزكند ، وهي معدودة من بلاد تركستان ، وهي في واد بين جبال في وسط بلاد الترك ، وبعض يقول بتشديد التاء » معجم البلدان ٢ / ٣٤٧ .

(٣) في تاريخ ابن القلانسي : « تربز بن أوفيم » وفي أمراء دمشق : « أوسم » .

(٤) تقدم التعريف به قبل قليل .

(٥) يأتي الكلام عنه ص ٤١ .

الجرجاني (١) بلغه عنه أنه قال في حقه : قد خَرِفَ الوزير . فكاتب الجرجانيُّ أهلَ دمشق وحَرَّضَهُم عليه .

وكان عادلاً صارماً حسن السيرة . وامتدت أيامه . وكان أصابه بعد هروبه فالج . ووليها بعده ناصر الدولة بن حمدان .

***

ولايات بني حمدان

(الحسين بن حمدان)

وقد تولاّها بنو حَمدانِ
وما لهم في فضلهم مُدانِ

لأنهم كانوا سَراةَ الناسِ
وما يُرى لذكرهم مِنْ باسِ

فإنْ تَقُلْ عنهم أَبِنْ لي مَنْ هُمُ (٢)
فناصرُ الدولةِ أضحى منهم

الحسين بن الحسن بن عبد الله بن حمدان بن حمدون ، أبو محمد التغلبي ، المعروف بناصر الدولة وسيفها (٣) .

---

(١) من أهل جرجريا ، وهي قرية من سواد العراق . وصل إلى مصر هو وأخوه وتنقلت به التصرفات ، وكثرت عليه الشكاوى فقبض عليه الحاكم سنة ٤٠٣ هـ مدة ، ثم أطلق سراحه ثم أصبح وزيراً للمستنصر بالله إلى أن توفي سنة ٤٣٦ هـ (الإشارة إلى من نال الوزارة : ٣٥)

(٢) في الأصل : « منهم » .

(٣) ترجمته في تاريخ ابن عساكر ٤ / ٢٩٠ وأمراء دمشق ٢٧ والوافي بالوفيات ١٢ / ٣٥٣ واسمه في تاريخ ابن القلانسي ٨٣ والعبر ٣١ / ٢٦٢ والنجوم الزاهرة ٥ / ٩٠ « الحسن بن الحسين »

وولي إمرة دمشق في أيام المستنصر (١) بعد أمير الجيوش الدزبري في جُمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة . ولم يزل بها والياً ، إلى أن قُبض / عليه في يوم الأربعاء سادس عشر جُمادى الآخرة ، [١٢٦/١ آ] وسُيِّر إلى مصرَ سنة أربعين وأربعمائة ، وولي بعده طارق الصقلبي(٢) وقبض عليه .

ثم إنه وليها بعد المؤيّد حَيْدَرة (٣) ، فوصل إليها يوم الاثنين منتصف شهر رجب سنة خمسين وأربعمائة ، فأقام بها إلى سنة اثنتين وخمسين . وتوجّه لقتال بني كلاب (٤) ، وهي واقعة الفُنيدق بظاهر حلب (٥) ، فكُسر ناصرُ الدولة وهرب جريحاً إلى مصر . وولي بعده أبو منصور سُبُكتكين التركي (٦) فبقي بعد ذلك بمصر ثلاثة أشهر ومات سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة ، وكانت يده قد شلّت في واقعة الفُنَيْدِق وفيه يقول الفُكيك الحلبي الشاعر :

---

(١) هو المستنصر بالله ، أبو جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله : ولد في صفر سنة ٥٨٨ هـ = ١١٩٢ م ، وكانت أمه جارية تركية . بويع بعد موت أبيه في رجب سنة ٦٢٣ هـ ، وتوفي سنة ٦٤٠ هـ = ١٢٤٢م (تاريخ الخلفاء ٤٦٠) .

(٢) من ولاة دمشق . انظر الحديث عنه في الصفحة٤٣ القادمة وتاريخ ابن القلانسي ص ٨٤ .

(٣) من ولاة دمشق . انظر الحديث عنه في الصفحة ٤٤القادمة .

(٤) بنو كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، من العرب العدنانية ، كانت ديارهم حمى ضرية ، وهو حمى كليب ، وحمى الربذة في جهات المدينة النبوية ، وفدك ، والعوالي ، ثم انتقلوا إلى الشام فكان لهم في الجزيرة الفراتية صيت ، وملكوا حلب ونواحيها ، وكثيراً من مدن الشام ، ثم ضعفوا (معجم قبائل العرب ٣ / ٩٨٩)

(٥) انظر تاريخ ابن عساكر ٤ / ٢٩٠ وتاريخ ابن القلانسي ص ٨٦ ، ٨٧ .

(٦) سيأتي الكلام عن توليه دمشق في الصفحة القادمة٤٥ .

الدولـةُ الغـرّاءُ قـد غَلطَتْ بـأنْ
سَمَّتْكَ ناصِـرَها وأنـتَ الخاذِلُ

إنْ تَـمَّ أمـرُكَ مَـعْ يـدٍ لـكَ أصْبَحَتْ
شَـلاّءَ فـالأمثـالُ عـنـدي باطـلُ

وفيه يقول : وقد هزمه تاج الملوك محمود بن نصر بن صالح (١):

عـلى حَلَـبٍ بـه حُلِبَتْ دمـاءٌ
وحُكِّـم فيهـم الرُّمْـحُ الأصَـمُّ

وقـد أرسـلته والـي دمشـقٍ
يَـدٌ شـلاّ وأمـرٌ لا يَتِـمُّ

* * *

(الحسين بن الحسن ، أبو علي التغلبي ، ذو المجد)

[١٢٦ ب] / ومنهمُ ذو المَجْـدِ أيضـاً قـد وَلـي
أغمَـدَ فـي العربـان حَـدَّ المِنْصَـلِ

الحسين بن الحسن بن الحسين بن أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان ، أبو علي بن أبي محمد التغلبي ، ناصر الدولة ، ذو المجد . (٢)

---

(١) هو عز الدولة بن شبل الدولة واسمه محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي أحد الأمراء المرداسيين أصحاب حلب ، وليها سنة ٤٥٢ ﻫ وتوفي سنة ٤٦٧ ﻫ = ١٠٧٥ م (دول الإسلام ٢ / ٢ العبر ٣ / ٢٢٧)

(٢) ترجمته في تاريخ ابن عساكر ٢٩٠/٤ . وانظر تاريخ ابن القلانسي ص ٨٣ والوافي بالوفيات ٢٥٣/١٢ والعبر ٢٦٢/٣ .

أمير دمشق ، وابنُ أميرها . وليَها للمصريين . قَدم عليها بعد المؤيَّد (١) يومَ الاثنين نصف شهر رجب سنة خمسين وأربعمائة، وأقام بها إلى سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة. ونُدِبَ إلى حلب إلى قتالِ كِلاب . فتوجه إليهم في هذه السنة في سادس عشرين ربيع الأول من السنة ، فجرت بينه وبين بني كلاب وقعة تعرف بالفُنَيدِقِ ،(٢) فكُسِر ابنُ حَمْدان . وتوجّه إلى مصر ، وتولى عوضاً عنه تمام الدولة سُبُكْتَكين (٣) . ثم وليَها ابنُ حمدان مرةً أخرى بعد ابن الصحناكي(٤)يوم الجمعة ثامن عشر شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ،وعزل عنها يوم الاثنين لثمان عشرة خلت من ذي القعدة من هذه السنة بالمؤيد حَيْدَرَة بن مُفْلِح .

* * *

ولايـة سـيف الدولـة

ومِنْهُـمُ المَلِيـكُ سَـيْفُ الدَّوْلَـةْ
بِفِعْلِـهِ المَبرور زكـيَّ قَـوْلَـهْ

/ وكـانَ سَـمْحـاً فـاضلاً كميّا (٥) [١٢٧أ]
مُمَـدَّحــاً فـي فعلــه شِـيْعيّـاً

---

(١) هو المؤيد حيدرة سيأتي الكلام عن توليه دمشق ص٤٤ القادمة .
(٢) انظر تاريخ ابن عساكر ٤ / ٢٩٠ وتاريخ ابن القلانسي ٨٦ ، ٨٧ .
(٣) سيأتي الكلام عن توليه دمشق ص ٤٥ القادمة .
(٤) كذا الأصل ، وفي تاريخ ابن القلانسي ص ٩١ « حسام الدولة ابن البجناكي » وسيأتي الكلام عن توليه دمشق ص ٤٥ .
(٥) الكمي : الشجاع ، أو لابس السلاح لأنه يكمي نفسه بالدرع والبيضة .

غـزا بـلادَ الـرُّوْمِ غـيـر مَـرَّةْ
وقـلّمـا كانـت عليـه النُّصْـرَةْ

فمـا يجِـفُّ مِـنْ غَـزَاةٍ عَـرَقُـهْ
يُقْلقُـه لِمِثْلِهـا تَحَـرُّقُـهْ

يحثُّـه خطيبـه وشـاعِـرُهْ
وعِنْـدَهُ داءٌ لـه يُخامِـرُهْ

جمَّـع مِـنْ غبـار حَـرْبِ الكُفْـرِ
لَبِنـةً كانَـتْ لـه فـي القـبرِ

ينفضـه إذا أتـى عـن لأمتـه (١)
يـرجـو بـذاك النفـعَ في قيامتـهْ

وكـان فـي زمـانـه أفـاضـلُ
سَبعـينَ لـم يُعـرَفْ لهـم مُماثِـلُ

فعصـرُهُ سُـمـي الـزمـانَ المُذْهَبـا
فيـه نُـحـاةٌ بُلَغـا وأُدَبـا

كـان أبـو الطيـبِ مِـنْ مُـدّاحِيـهِ
تـأتـي معانِيـه عـلى اقـتراحِيـهِ

وابـنُ نُبـاتَـةٍ لـه خَطِـيـبُ
عليـه أنفـاسُ الثنـا تَطيـبُ

* * *

---

(١) اللأمة واللامة : الدرع أو السلاح كله .

علي بن عبد الله أبي الهيجاء بن حَمدان بن حَمدون بن الحارث ابن لُقمان بن راشد ، أبو الحسن ، الأمير التغلبي ، المعروف بسيف الدولة (١) :

أصله من الجزيرة ، قدم الشام سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمئة (٢) ، وملك حَلَبَ ،وتوجه منها إلى حِمص فلقيه عَسْكرُ مُحمد بن طُغْج الإخشيد (٣) وعليهم كافور الإخشيدي (٤) / ، وجاء إلى دمشق فلم [١٢٧ ب] يفتحوا له ، فرجع . وكان الإخشيد قد خرج من مصر فالتقى هو وسيف الدولة بأرض قِنسْرين (٥) فلم يظفر أحد بصاحبه . ورجع سيفُ الدولة إلى الجزيرة (٦) . ومات الإخشيد، فقصد سيفُ الدولة دمشق فملكها وأقام بها . وكاتَبَ أهلُ دمشقَ كافوراً الإخشيدي ، فخرج منها سنة خمس وقيل : سنة ستٍ (٧) . وكان قد ملك مصر وديار بكر (٨) وحلب ودمشقَ .

---

(١) ترجمته في تاريخ ابن عساكر ووفيات الأعيان ٣ / ٤٠١ وشذرات الذهب ٣ / ٢٠ وأمراء دمشق ٥٧

(٢) في الأصل « وأربعمئة » وهو خطأ ، والتصحيح من المصادر ، ولأنه توفي سنة ٣٥٦ هـ وانظر المختار من مآثر الإنافة ٢ / ١٠٠ .

(٣) تقدم التعريف به وذكر توليه دمشق جـ١ ص ٣٤٤ .

(٤) تقدم التعريف به وذكر توليه دمشق جـ١ ص ٣٥١ .

(٥) تقدم التعريف بقنسرين جـ١ ص ١٠٦ .

(٦) تقدم التعريف بالجزيرة جـ١ ص ٩٢ .

(٧) أي سنة ٣٣٥ أو ٣٣٦ هـ .

(٨) دياربكر : بلاد واسعة تنسب إلى بكر بن وائل ، وحدها ما غرّب من دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة إلى سعرت وحيزان وحيني وما تخلل ذلك من البلاد ، ولا يتجاوز السهل (معجم البلدان ٢ / ٤٩٤) وهي اليوم موزعة بين سورية والعراق وتركيا .

وكانت حلب دارَ مُلْكِه ، وقَصْرَ عزِّه ، وله مع الروم أربعون وقعةً له وعليه ، ومع غيرهم من العربان وغيرهم شيء كثير .

قال سنان بن ثابت ؛ أحصي مَنْ وَفَدَ عليه من الأجناد ، وأصحاب السلطان ، والكتاب ، والشعراء ، وعرب البريّة ، وأصناف الناس ، وذلك في عَشْر الأضحى وكانوا اثني عشر ألفاً ومائتين ، فأنفذ إلى كل واحد من الأُضْحِيّة على قَدْره من مئة شاةٍ إلى شاةٍ واحدة .

ولزمه في فداء الأسرى سنة خمس وخمسين وثلاثمائة(١) ، ستمائة ألف دينار ، وكان ذلك خاتمة عمله لأنه مات بعد ذلك بقليل . واشترى/ [١٢٨ آ] كلَّ أسيرٍ من الضعفاء بثلاثة وثمانين ديناراً روميّة . فأمّا الجِلّة من الأسرى ففادى بهم أسارى عنده من الروم ، من رؤسائهم . وكان قد وَرِثَ من أخته خمسمائة ألف دينار ، فصرفها في هذا الوجه ، فقال الببّغاء (٢) :

ما المالُ إلا ما أفادَ ثناءً
ما العِزُّ إلا ما حَمَى الأعداءَ

---

(١) جاء في خطط المقريزي الفداء الثالث عشر ، ج٢ ،ص ١٩٢ : (في خلافة المطيع في اللامس في شهر ربيع الأول سنة ٣٣٥ هـ والملك على الروم قسطنطين ، والقائم به نصر الشمالي ، من قبل سيف الدولة أبي الحسن علي بن حمدان صاحب جند حمص وجند قنسرين وديار بكر وديار مصر والثغور الشامية والجزرية وكانت عدة من نودي به من المسلمين ألفين وأربعمائة ، واثنين وثمانين من ذكر وأنثى ، وفضل للروم على المسلمين قرضاً مائتان وثلاثون لكثرة من كان في أيديهم . فوافاهم سيف الدولة ذلك وحمله إليهم . . . ووقعت أفدية أخرى ليس لها شهرة . . .) .

(٢) هو الشاعر المشهور عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي ، أبو الفرج ، المعروف بالببغاء ، كان من أهل نصيبين واتصل بسيف الدولة الحمداني ، ودخل الموصل وبغداد وتوفي سنة ٣٩٨ = ١٠٠٨ م (تاريخ بغداد ج ١١ ص ١١ والعبر ٣ / ٦٨ — ٦٩ والأعلام ٤ / ٣٢٨) وديوانه مطبوع .

وفديتَ من أسرى العدو معاشراً
لولاكَ ما عَرفوا الزمانَ فِداءَ
كانوا عبيدَ نَداك ثم شَرَيْتَهم
فَغَدوا عَبيدَكَ نِعْمَةً وشِراءَ

وكان سيفُ الدولة من البلغاء . كتب إلى أبي فراس (١) : « كتابي ويدي في الكتاب ، ورِجلي في الرِّكاب ، وأنا إليك أسْرَعُ من الريح الهَبوب ، والماء إلى الأنْبُوب »

وكان قد جمع من الغبار الذي ينفضه عن لأْمَةِ حَرْبه إذا قَدِمَ مِنْ كل غَزاةٍ لَبِنَةً قَدْرَ الكفِّ ،فأوصى أن يوضع خَدُّه عليها في قبره . ولما مات (٢) صُبِّر بمئة مثقالٍ غالية (٣) ومَنَوين (٤) كافوراً ، وكُفِّنَ في سبعة أكفان ثياب تساوي ألفي دينار ، وفيها قميص قصب، وغسّله قاضي / الكوفة عبد الحميد بن سهل المالكي سَبْعَ مرّات ،أولاً [١٢٨ ب] بالماء والسِّدر ، ثم بالصَّنْدل ، ثم بالذَّريْرَة(٥) ، ثم بالعنبر ،ثم بالكافور ،

---

(١) الحمداني ، واسمه الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي : أمير ، شاعر ، فارس ، ابن عم سيف الدولة الحمداني ، أسره الروم سنة ٣٥١ ﻫ بعد معركة معهم ، ثم فداه سيف الدولة بأموال عظيمة . ولد سنة ٣٥٧ ﻫ = ٩٣٢ م وقتل سنة ٣٥٧ ﻫ = ٩٦٨ م . ديوانه مطبوع . (وفيات الأعيان ٢ / ٨٥ الوافي بالوفيات ١١ / ٢٦١ ، زبدة الحلب ١ / ١٥٧ ومختصر تاريخ ابن عساكر ٦ / ١٥٠)

(٢) مات سيف الدولة عام ٣٥٦ ﻫ = ٩٦٧ م .

(٣) الغالية : أخلاط من الطيب .

(٤) منوين : مثنى (منا) وهو كيل يكال به السمن ، أو ميزان يوزن به ،وهو المن بلغة بني تميم ويعادل نحو ٦١٨ غ والمن المصري ٤١٢ غ (متن اللغة) .

(٥) الذريرة : ما أنتج من قصب الطيب أو فتات من قصب الطيب يجلب من الهند ، أو نوع من الطيب مجموع أخلاط ينثر على قميص الميت (اللسان – ذرر) .

ثم بماء الورد ، ثم بالمسك ثم بالماء القراح ، ونُشف بثوب دبيقي ثمنه خمسون ديناراً ،وصلّى عليه أبو عبد الله العلوي الكوفي ،وكبّر عليه خمساً .

والناس يسمّونَ عَصْرَه الطّرازَ المُذَهّب ، لأن الفُضلاء الذين كانوا عنده، والشعراءَ الذين مدحوه لم يأت بعدهم مثلُهم أبو الطيب المتنبي (١) مَلِكُ الشعراء من مُدّاحه ، والسّلاميُّ (٢) والببّغاء ، والوأواء (٣) . والخالديّان (٤) من خزّان كتُبِه ، وكُشاجِمُ (٥)

---

(١) الشاعر المشهور ، واسمه أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي . ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ هـ = ٩١٥م ونشأ بالشام، قتل بالنعمانية بالقرب من دير عاقول في الجانب الغربي من سواد بغداد سنة ٣٥٤ هـ = ٩٦٥ م (يتيمة الدهر ١ / ١٢٦ ، تاريخ بغداد ٤ / ١٠٢ مختصر تاريخ ابن عساكر ٣ / ٤٨ وفيات الأعيان ١ / ١٢٠) .

(٢) من أشهر شعراء بغداد ، واسمه محمد بن عبد الله المخزومي ، أبو الحسن ، ولد في كرخ بغداد سنة ٣٣٦ هـ = ٩٤٨ م نسب إلى دار السلام ببغداد ،ومات سنة ٣٩٣ هـ = ١٠٠٣ م (وفيات الأعيان ٤ / ٤٠٣، تاريخ بغداد ٢ / ٣٣٥) .

(٣) شاعر دمشقي ، واسمه محمد بن أحمد الغساني الدمشقي ،أبو الفرج ،مات نحو سنة٣٨٥هـ = نحو ٩٩٥م (الوافي بالوفيات٢/٥٣وفوات الوفيات٣/٢٤٠والأعلام٥/٣١٢) .

(٤) هما سعيد بن هاشم بن وعلة ، أبو عثمان ، وأخوه محمد ، من بني عبد القيس ، من أهل الخالدية من قرى الموصل ونسبتهما إلى جد لهما اسمه خالد . أديبا البصرة وشاعراها . مات سعيد سنة ٣٧١ هـ = ٩٨١ م ومات أخوه محمد سنة ٣٨٠ هـ = ٩٩٠ م وكانا من خواص سيف الدولة الحمداني وولاهما خزانة كتبه.لهما ديوان شعر حققه الدكتور سامي الدهان (انظر مقدمة ديوانهما والفهرست ٢٤٠ والأعلام ٣ / ١٥٦ و ٢ / ٣٥٣ .

(٥) شاعر معروف ، اسمه محمود بن الحسين ، ويقال محمد بن الحسين بن السندي ابن شاهك ، أبو الفتح الرملي . من أهل الرملة ، فارسي الأصل ، استقر بحلب ، وكان من شعراء أبي الهيجاء والد سيف الدولة الحمداني . له ديوان مطبوع وكتب أخرى،ولفظ (كشاجم) منحوت فيما يقال من علوم كان يتقنها ، فالكاف للكتابة ، والشين للشعر ، والألف للإنشاء،والجيم للجدل ، والميم للمنطق ، وقيل : لأنه كان كاتباً شاعراً أديباً جميلا مغنياً ، وتعلم الطب فزيد في لقبه حرف الطاء فقيل طكشاجم ، ولم يشتهر به . مات سنة ٣٥١ هـ = ٩٦٢م . (الأعلام ٨ / ٤٣ وبدائع الزهور ١ / ١ / ١٧٩ والعبر ٢/٣٢٢ وفاته فيه سنة / ٣٦٠ هـ / .

طبّاخه ، وابن نُباتةَ (١) خطيبُه ، وابنُ خالَويْه (٢) مُعلِّمُه ، وأبو علي الفارسي (٣) وغير هؤلاء .

قال الببغا : ما حفظتُ عليه جُرمة قط إلا في يومٍ واحد فإنه كان في مجلسِ خلوةٍ ونحن قيام بين يديه ، فدخل أبو فراس ، وكان بديع الحسن فقبّل يده فقال : فمي أحقُّ من يدي .

وقال له بعض الناس : قد أكثرت من الغزوات ، فقال : خطيبٌ مثل ابنِ نُباتَةَ ، وشاعرٌ مثلُ أبي الطيب كلٌّ منهما يحثُّني على الغزو والجهاد / [١٢٩ آ]

وقد نُسب إليه كثيرٌ من المقاطيع الجيدة ، ومن شعره يصف مِخَدَّةً :

نِمْرِقَةٌ منهــا استفـا ... دَ الزهرُ أصنافَ المُلَحْ

---

(١) ابن نباته : عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة الفارقي ، أبو يحيى ، صاحب الخطب المنبرية المشهورة : كان مقدماً في علم الأدب ، ولد في ميافارقين سنة ٣٣٥ هـ = ٩٤٦ م بديار بكر ، سكن حلب ، وكان خطيبها ، واجتمع مع المتنبي في خدمة سيف الدولة الحمداني ، ومات في حلب سنة ٣٧٤ هـ = ٩٨٤ م (الأعلام ٤ / ١٢٢ وفيات الأعيان ٣ / ١٥٦ أعلام حلب الشهباء ٤ / ٥٩) .

(٢) ابن خالويه : هو الحسين بن أحمد بن خالويه ، أبو عبد الله : لغوي ، ومن كبار النحاة ، أصله من اليمن ، استوطن حلب ، أحله بنو حمدان منزله رفيعه . توفي بها سنه ٣٧٠ هـ = ٩٨٠ م (معجم الأدباء ٩ / ٢٠٠ ووفيات الأعيان ٢ / ١٧٨ بغية الوعاة ١ / ٥٢٩ ، النجوم الزاهرة ٤ / ١٣٩ ؛ الأعلام ٢ / ٢٤٨)

(٣) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل : أحد الأئمة في علم العربيه . ولد في فسا سنة ٢٨٨هـ = ٩٠٠ م بفارس. دخل بغداد سنة ٣٠٨ هـ ثم قدم إلى حلب وأقام في بلاط سيف الدولة الحمداني سنة ٣١٤ هـ . له مصنفات كثيرة وتوفي ببغداد سنة ٣٧٧ هـ = ٩٨٧ م (تاريخ بغداد ٧ / ٢٥٧ وفيات الأعيان ٢ / ٨٠ سير علام النبلاء ١٠ / ٢٤٣ معجم الأدباء ٧ / ٢٣٢ إنباه الرواة ١ / ٢٧٣) .

تَلْمَحَ فيها العينُ مِنْ ريشِ الطواويسِ لُمَحْ
كأنّما دارَتْ على سمائها قَوْسُ قُزَحْ

وقال :

تَجَنّى عَليَّ الذَّنبَ والذَّنبُ ذَنبُه
وعاتَبَني ظُلماً وفي يده العَتْبُ

وأعرضَ لما صارَ قَلبي بكفِّه
فهلاّ جفاني حين كان ليَ القلبُ

إذا بَرِمَ المولى بخدمةِ عَبْدِهِ
تَجَنّى له ذنباً وإنْ لم يكنْ ذنبُ

* * *

(يَكْجور التركي)

ومنهمُ أيضاً أبو الفوارسْ
يَكْجُورُ للجَوْرِ غدا يُمارِسْ

أبو الفوارس يَكْجور (١) التركي مولى قَرَعْوَيه ، أحدِ غِلمانِ سيف الدولة بنِ حمدانَ .

ولي دمشق للمصريين . وقدِمَها من حِمْص في يوم السبت لسبعٍ خَلَوْنَ من شهرِ رَجَبَ سنةَ ثلاثٍ وسبعين وثلاثمائة . وأقام

(١) ترجمته في تاريخ ابن عساكر وأمراء دمشق ١٨ والوافي بالوفيات ١٠ / ٢٠٢ والنجوم الزاهرة ٤ / ١٦٠ وتاريخ ابن القلانسي ٢٨ .

يَجور فيها ويَظْلِمُ ، ويجمعُ الأموال النفيسةَ إلى أن جَرَّد إليه من مصر منيرٌ الخادمُ في سنة ثمَان وسبعين وثلاثمائة .

وكان يَكْجور يخافُ أهلَ دمشقَ / لِسُوءْ سيْرَتِه.وبعث (١) بعضَ عَسْكَرِه لِقتال منير ، فكسرهم منير (٢) ، فأرسل إليه يكجور أنه يسلم البلدَ وينصرف إلى حمصَ بعد ما يُسلم دمشق ، وتوجّه إلى الرَّقّة ، وأقام الدعوةَ للمصريين . وقُتل يكجور في المحرم سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة . [١٢٩ ب]

* * *

(وجيه الدولة، أبو المُطاع ، ذو القَرْنين التغلبي)

ومنهمُ أيضاً وجيهُ الدولة
أبو المطاعِ وهو ربُّ الصَّوْلَه

كَمْ مرةٍ فيها تولّى الأَمْرا
فساسَها وما رأته غَمْرا

يخرج منها ويجي إليها
فيغتدي وحُكْمُهُ عليها

يَنْظِم في أشعاره اللآلي
تلَذُّ مثلَ نشوةِ الجِرْيالِ (٣)

(١) في الأصل : « وبعض » تصحيف .
(٢) المقصود منير الخادم .
(٣) الجريال : الخمر أو لونها .

وجيهُ الدولة ، أبو المطاع . ذو القَرْنين بن ناصر الدولة أبي محمد الحسنِ ناصر الدولة بن عبد الله بن حمدان التغلبي ، الفاضلُ ، الأديبُ المشهور (١)

كان سَؤُوساً ، (٢) مدبِّراً . وَلِيَ إمْرَةَ دمشقَ بعد لؤلؤ البشاري في سنة إحدى وأربعمائة ، يومَ الجمعة بعد صلاة العيد . قرأ الشريفُ القاضي النّصيبي الحُسَيْني (٣) السِّجِلَّ ، وعُزِل لؤلؤٌ البِشاري(٤) ، وجُهِّزَ لؤلؤ مُقَيَّداً على ما تقدم ، ثم إنه عُزِل عنها بمحمدِ بنِ بزال (٥) في جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعمائة . ثم ولي أبو المطاع [١٣٠ ب] إمرةَ دمشقَ مرةً ثانية في صفرَ سنةَ اثنتَي عشرة وأربعمائة للظاهر (٦) بعد ولي العهدِ عبد الرحيمِ (٧) . وقد تقدم ذكره . ثم عُزِل عنها . ثم ولي بعده سختكين على ماتقدم (٨) ، وعُزِل عنها في جمادى الآخرة سنة اثنتَي عشرة . ثم ولي أبو المطاع مرةً ثالثةً في يوم الأربعاءِ لسَبْعٍ خَلَوْنَ من شهرِ ربيعٍ الأولِ سنةَ خمس عشرة ؛ ويقال : في شهر ربيع

---

(١) ترجمته في مختصر تاريخ ابن عساكر ٨ / ٢٣٠ والوافي بالوفيات ١٤ / ٤٢ ووفيات الأعيان ٢ / ٢٧٩ وشذرات الذهب ٣ / ٢٣٨ والعبر ٣ / ١٦٥ ودول الإسلام ١ / ١٩٨ . وفي الوافي أن الصواب وجيه الدولة بن الحسن بن عبد الله بن حمدان ، واسمه في تاريخ ابن القلانسي ص ١١٢ وجيه الدولة بن المطاع بن حمدان .

(٢) كذا الأصل . وفي اللسان (سوس) : « السوس : الرياسة . . . وإذا رأسوه قيل : سوسوه وأساسوه . . . ورجل ساس من قوم ساسة وسواس » .

(٣) لم نعثر على ترجمة له .

(٤) تقدم صفحة ٢١ ج٢ .

(٥) تقدم صفحة ٢٣ ج٢ .

(٦) تقدم التعريف به ص ٢٨ ج٢ .

(٧) تقدم صفحة ٢٧ ج٢ .

(٨) تقدم صفحة ٢٨ ج٢ .

الآخرة سنة عشر وأربعمائة إلى أن عزل عنها بالدزبري (١) في سنة تسعَ عَشْرَةَ

* * *

(طارق الصقلبي)

عُدْنا إلى الترتيبِ في الطّرائقْ
وكانَ مِمّن قد وَلِيَها طارِقْ

طارق الصقلبي ، القائد(٢) : وَلِيهَا في أيام المستنصر(٣) في مُسْتَهَلِّ شهرِ رَجب سنةَ أربعين وأربعمائة بعد الأمير أبي محمد الحسين بن الحسن بن حمدان (٤) ، ولُقِّب بهاء الدولة ، ثم عُزِل عنها سنةَ إحدى وأربعين وأربعمائة في المحرم ، ووَلِيهَا رفْقٌ المستنصري ، ولمّا ولِيهَا طارقٌ قبض على ناصر الدولة بنِ حمدان .

* * *

(رِفْق المُسْتَنْصِري)

ثُمَّ وَلِيهَا رِفْقٌ المُستنصري
ولم يكن في ذاك بالمستنصرِ

---

(١) هو أنوشتكين الدزبري . تقدم ص٢٩ ج٢ وانظر تاريخ ابن القلانسي ص ٦٩ –٧١
(٢) ترجمته في تاريخ ابن عساكر وأمراء دمشق ص ٤٥ وانظر تاريخ ابن القلانسي ٨٤ .
(٣) تقدم ص ٣١ ج٢ .
(٤) تقدم ص ٣٠ ج٢ .

[١٣٠ ب] / رِفْقُ المستنصري، عُدَّة ، الدولة أميرُ الأمراء(١) : وَلِي دمشقَ وقَدِمَها يومَ الخميس ثاني عشر المحرم سَنَةَ إحدى وأربعين وأربعمائة بعد طارق ، فأقام بها والياً بقيةَ المحرم وخمسةَ أيامٍ من صَفَرَ ، وصُرِفَ عنها إلى حلب (٢) ، ووَلِيهَا بعده المؤيدُ حَيْدَرةَ .

* * *

(المؤيد ، حَيْدَرة بنُ مُفْلح)

ثم تولى بَعْدَهُ المؤيّدُ
وكانَ فيها مدةً يُعْتَمَدُ

المؤيّد ، أبو الكَرَم ، حَيْدرةُ بنُ مُفْلِح (٣) : وليها للمستنصر ، وقَدِمها في مُسْتَهلِّ جُمادى الأولى سَنَةَ إحدى وأربعين وأربعمائة، ولم يزل والياً عليها إلى سنة خمسينَ وأربعمائةٍ . ثم إنه وَلِيَها دفعةً ثانيةً فقدمها يومَ الاثنين ثامن عشر ذي القعدة (٤) سَنَةَ ثلاثٍ وخمسين وأربعمائة بعد سُبُكْتكين فأقام بها والياً إلى أن انصرف في شهر ربيع الأولِ سنةَ خمسٍ وخمسين وأربعمائة ، وولي بعده بَدْرٌ ، أميرُ الجيوش .

* * *

(١) ترجمته في تاريخ دمشق وأمراء دمشق ٣٤ والوافي بالوفيات ١٤ / ١٣٨ وتاريخ ابن القلانسي ٨٥ .
(٢) انظر تاريخ ابن القلانسي ، ص ٨٥ .
(٣) ترجمته في تاريخ ابن عساكر وأمراء دمشق ٢٨ .
(٤) في الأصل : « قعدة » .

(سُبُكْتَكين بن عَبْدِ اللهِ التركي)

وقـد وَلِـيْ بهـا سُبُكتكينُ
وحَتْفُـه في رَبْعِهـا ضَمِينْ

أبو منصور ، سُبُكتكين بن عبد الله التركي (١) . تولى أمْرَها مَن قِبَل المستنصر المصري. وكان يُعرف سُبُكْتكينُ بهُمام الدولة، / [١٣١ آ] فجاءها في ذي الحجّة سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة . ولم يزل والياً عليها إلى أن مات بها في رابع عشرين شهرِ ربيع الأولِ سنةَ ثلاثِ وخمسين وأربعمائة . ودُفن في أسْفَل المغَارَةِ ، وكانت ولايته ثلاثةَ أَشْهُرٍ وسَبْعَةَ عَشَرَ يوماً .

* * *

(حسام الدولة بن البجناكي)

وجـاءَ مِـنْ بعـدُ حُسامُ الدّولـةْ
فلـم يَنَـلْ مـن المُقـامُ طَـوْلَـهْ

حسام الدولة بن البجناكي (٢) ، ولي إمرةَ دمشق للمستنصر . ووصلها يومَ الجمعة ثاني عشرين جُمادى الأولى سنةَ ثلاث وخمسين وأربعمائة . ونَزَلَ المِزَّةَ (٣) وسار عنها مَصروفاً ليلة الاثنين لثلاثَ

---

(١) ترجمته في تاريخ ابن عساكر وأمراء دمشق ٣٦ وانظر تاريخ ابن القلانسي ص : ٩٠ .

(٢) ذكره ابن القلانسي باسم الأمير حسام الدولة ابن البجناكي ، وذكر أنه ولي يوم الجمعة الثاني والعشرين من جمادى الأولى منها ونزل في المزة وأقام مدة، وورد الكتاب بعزله ، فانصرف عن الولاية وتوجه نحو حاب في شهر رمضان من سنة ٤٥٣ هـ - ص / ٩١ / . وترجمته في أمراء دمشق ص ١٦ .

(٣) تقدم التعريف بالمزة ص ٦٢ ج١ .

عَشْرَةَ ليلةً خلَتْ من شهرِ رَمضانَ من السنةِ المذكورةِ . وجاء بعده عُدَّةُ الدولة بن حَمْدان (١) ، وكان قد وليها بعد سُبُكْتكين.

* * *

(بدر الأرمني)

ثم تولى الأَمْرَ بَدْرُ الأَرْمَني
فلم تفت مدَّتُه من فِتَنِ

وكان ممن يُعتنى بِمَدْحِه
ويَنْثني عِطْفاهُ عِنْدَ صَدْحِه

بَدْرٌ بنُ عبدِ الله الأرمنيُّ المعروفُ بأمير الجيوش (٢) : وَلِيَ إِمْرَةَ دمَشْقَ للمستنصر فَقَدِمَها يومَ الأربعاءِ ثالثَ عشرينَ/ شهر [١٣١ ب] ربيع الآخر سَنَةَ خمسٍ وخمسين وأربعمائة (٣) . فأقام فيها إلى أن جرى بينه وبين الجند والرعية ما خاف منه على نفسه . فخرج منها هارباً في ليلة الأربعاء لأَرْبعَ عَشْرَةَ ليلةً خلَتْ من شهر رجب سنةَ ستٍ وخمسين .

---

(١) لم نقف على ذكر له .

(٢) ترجمته في تاريخ ابن عساكر وأمراء دمشق ص ١٦ ووفيات الأعيان ٢ / ٤٤٨ ه والوافي بالوفيات ١٠ / ٩٥ والنجوم الزاهرة ٣ / ٢٤ وتاريخ ابن القلانسي ٩١ والشذرات ٣ / ٢٨٣ .

(٣) ذكر ابن الأثير في تاريخه ج ٩ ص ، ٣٠ ، أن بدراً الأرمني وصل دمشق في عام ٤٥٥ ه ، واختلف هو والجند فثاروا به ، ووافقهم العامة ، فضعف عنهم ففارقها في رجب سنة ست وخمسين وأربعمائة . – ويشير ابن القلانسي إلى أنه نزل في أرض المزة من ذات السنة ومعه الشريف القاضي ثقة الدولة ذو الجلالين أبو الحسن يحيى بن زيد الحسيني الزيدي ناظراً في الأعمال ونفقات الأموال – ص ، ٩٢ .

ثم إنه قَدِمَها مرةً ثانيةً في سنة ثمانٍ وخمسينَ وأربعمائة في يومِ الأحد سادس شعبان والياً عليها وعلى الشام بأسره ، فوقع الخلاف بينه وبينهم مرة ثانية في يوم الجمعة تاسع عشرين جمادى الأولى سنة ستين وأربعمائة . فهرب وخرب القصر الذي خارج باب الجابية خراباً لم يُعْمَرْ بَعْدَه . وولي دمشق بعد هروبه عنها (١) ، وفي المرة الثانية جرت بينهم حروب وأَحْرَقَ أهلُ البلدِ القصرَ ، ونهبوا ما فيه ، ثم عاد إلى دمشق مقاتلاً في يوم الأربعاء ثامن عشرين شهرِ رمضانَ سنةَ ستين وأقام على مسجد القدم بعسكرٍ يكثُرُ عَدَدُهُ وتوجّه إلى مصر.

قَصَدَ عَلْقَمَةُ بنُ عبدِ الرزاقِ العليمي (٢) باب بدرٍ فرأى عليه أشراف الناس وكبارَهم وشُعراءَهم فلم يحصل لأحدٍ / دخولٌ إليه، [١٣٢ آ] فبيناهم كذلك إذ خرج بدرٌ يريد الصَّيْد ، فخرج علقمةُ في أثَرِه، وأقام إلى أن رجع من صيده ؛ فلما أقبل علا نَشْزاً (٣) من الأرض ، ثم جعل في عِمامَتِه رِيشَتَي نَعامةٍ ، ولما قَرُبَ منه أومأ بِرُقْعَة كانت معه وأنشأ فيها يقول :

نحن التُّجارُ وهذه أَعْلاقُنا
دُرٌّ وجُودُ يَمينِكَ المُبْتاعُ

(١) لم يذكر المصنف هنا من تولى دمشق بعد هروب بدر ، والذي تولاها هو حيدرة الآتي بعد قليل .

(٢) لم نقف على ترجمة له .

(٣) النشز ، بفتح النون والشين ، وبكسر الشين : المكان المرتفع ، كالنشاز .

قَلِّبْ وفَتِّشها بِسَمْعِكَ إنما
هي جَوْهَرٌ تختارُهُ الأسْماعُ

كَسَدَتْ علينا بالشّآم وكلّما
قلَّ النّفاقُ تعطّلَ الصُّنّاعُ

فأتاكَ يَحمِلُها إليكَ تِجارُها
ومَطِيُّها الآمالُ والأطْماعُ

حتّى أناخُوْها ببابِكَ والرَّجا
مِنْ دونِكَ السِّمسارُ والبيّاعُ

فَوَهَبْتَ ما لم يُعطِهِ في دَهْرِهِ
هَرِمٌ ولا كَعْبٌ ولا القَعْقاعُ (١)

وسَبَقْتَ هذا الناسَ في طَلَبِ العُلى
فالناسُ بَعْدَكَ كُلُّهُمْ أتباعُ

يا بَدْرُ أُقْسِمُ لَوْ بِكَ اعتصمَ الوَرَى
ولَجَوا إليكَ جميعُهُم ما ضاعوا

وكان على يده بازيٌّ فدفعه إلى البازِيار (٢) ، وانفرد من الجيش ،

---

(١) هرم : هو هرم بن سنان بن أبي حارثة المري ، من أجواد العرب في الجاهلية . توفي نحو سنة ١٥ ق هـ = ٦٠٨ م (الأعلام ٨ / ٨٢) . وكعب هو كعب بن مامة بن عمرو ابن ثعلبة الإيادي، من أجواد العرب أيضاً في الجاهلية ويضرب به المثل فيقال أجود من كعب بن مامة . (الأعلام ٥ / ٢٢٩) . والقعقاع : هو القعقاع بن شور الذهلي ، من بني بكر بن وائل، تابعي ، من الأجواد أيضاً ، ويضرب به المثل . (الأعلام ٥ / ٢٠١) .

(٢) البازيار : حامل البازي للأمير والذي يعتني به أثناء الصيد (دوزي) .

وجعل يستردُّ الأبياتَ وهو يُنشدها إلى أن استقر في مجلسه . ثم التفتَ إلى أصحابه وخاصَّتِهِ وقال : مَنْ أَحَبَّنِي / فَلْيَخلَعْ على هذا الشاعر ، [١٣٢ ب]
قال علقمة : فواللهِ لقد خَرَجْتُ مِنْ عنده ومعي سبعونَ بَغْلاً تحملُ الخِلَعَ . وأمر لي بعشرةِ آلافِ درهمٍ ، فقلت لمن في بابه : الحقوني يا مُتَخلفين ، فلحقوني بأجمعهم ،فما منهم إلا مَنْ خَلَعْتُ عليه ووهبتُ له .

وماتَ بدرٌ بمصر سَنَةَ خمسٍ وثمانين وأربعمائة (١) ، وولي بعده ابنُه الأفضل .

* * *

(حيدرة بن منزو، حصن الدولة)

ثُمَّ تَولى الأَمْرَ فيها حَيْدَرَةْ
في يَدِهِ قد أصبحتْ محتضرة

حَيْدَرَة بنُ منزو بن النعمان ، أبو المُعَلّى ، حِصْنُ الدولة (٢)

تولى إمرة دمشق بعد هروب بدرٍ أمير الجيوش في المرة الأولى . فوصلها في يوم السبت العشرين من شهر رمضان سنة ستٍ وخمسين وأربعمائة . ثم انصرف عنها ، وكان قد صادر الناس وعذَّبهَم وعَمَّ بلاؤه . وزعم أنَّ التقليد وصل إليه من المستنصر . وزاد عَبَثُه إلى أن خَرِبَتْ أعمالُ البلد ، ووقع بينه وبين العسكر وَحْشَة ، فخاف منهم

(١) وفاته في الوافي بالوفيات سنة ٤٨٧ وفي وفيات الأعيان سنة ٤٨٨ .

(٢) ترجمته في تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ / ٢٢ وأمراء دمشق ٢٨ والوافي بالوفيات ١٣ / ٢٢٦ واسمه فيه حيدرة بن مبرور وتاريخ ابن القلانسي ٩٢ .

وهرب إلى بانياس (١) ثم إلى صُور (٢) ، ثم إلى طَرَابُلُس (٣) ، وحُمِل منها مقيّداً إلى مِصْرَ وبقي فيها إلى أن قُتل سنة إحدى وثمانين (٤) وأربعمائة ،

[١٣٣ آ] وكان قد تغلب على دمشق / بغير ولاية ، وقيل : بل هو مُعَلّى بن حيدرة (٥) .

* * *

---

(١) بانياس : مدينة ومرفأ في سورية ، على شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، جنوبي مدينة اللاذقية .

(٢) صور : مدينة في جنوب لبنان على شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، أسسها الفينيقيون ، وهي مركز تجاري هام .

(٣) طرابلس أو أطرابلس : مدينة ومرفأ أيضاً على الشاطىء الشرقي للبحر الأبيض المتوسط شمالي بيروت تبعد عنها ٨٧ كم وهي مدينة قديمة كانت عاصمة اتحاد فينيقي ، أزدهرت عهد السلوقيين والرومان ، فتحها العرب سنة ٢٣ هـ = ٦٣٨ ، (وانظر معجم البلدان ١/٢١٦ و ٤/٢٥) .

(٤) جاء في الوافي ١٣ ص ٢٢٦ ترجمة ٢٧٢ ما يلي : حيدرة بن مبرور بن النعمان الأمير أبو المعلى الكتامي المغربي . ولي إمرة دمشق بعد هروب أمير الجيوش عنها ، ثم عزل بالأمير دري المستنصري . مات سنة ٤٥٦ هـ) وهذا ما يناقض ما جاء في النص في ذكره وفاة حيدرة سنة ٤٨١ هـ والصحيح أن الذي قتل سنة ٤٨١ هـ هو ابنه معلى بن حيدرة وليس حيدرة بن منزو الأب الذي مات سنة ٤٥٦ هـ كما جاء في الوافي وعند ابن القلانسي ص ٩٥ وعند ابن عساكر ج ٥ ص ٢٢ . وما أكده الصفدي في ترجمة معلى بن حيدرة ابن منزو بن النعمان كما ورد في النص في الصفحة التالية .

(٥) قال ابن القلانسي ص ١٦١ : (أن الأمير حصن الدولة معلى بن حيدرة بن منزو الكتامي . ولي دمشق قهراً وغلبة وقسراً من غير تقليد في يوم الخميس الثامن من شوال سنة إحدى وستين وأربعمائة . بحيل نمقها ومحاولات اختلقها ولفقها . وذكر ان التقليد بعد ذلك وافاه . . .) .

(قُطب الدولة بارز طُغان)

ثم تولّى بَعْدُ قُطْبُ الدَّوْلَة
وكان ممّن جَال فيها جَولَةْ

قُطبُ اللدولة بارز طُغان (١) . وَلِيَ إمْرَة دمشق مِنْ قِبلَ المستنصر في شعبانَ سَنَةَ ستين وأربعمائة بعد هروب أمير الجيوش بَدْرٍ ، فأقام والياً بها ، إلى أن خرج عنها في شهر ربيعٍ الأول سنةَ إحدى وستين وأربعمائة ،وخرج معه الشريف السّيد أبو طاهر حَيْدَرَة ابنُ إبراهيمَ الحُسيني .

* * *

(دُرّي بن عبد الله،شهاب الدولة)

ثم تولّى بَعْدَ ذاكَ دُرّيْ
وكَوْكَبُ السُّعودِ غيرُ دُرّيْ

دُرّيٌّ بنُ عبدِ الله ، شهاب الدولة (٢) . وَلي دمشقَ أيامَ المستنصر ،وقَدِمها في العشر الأخير من ذي القَعْدَة سنةَ ستٍ وخمسين وأربعمائةٍ . بعد عزل حَيْدَرة عنها ، ثم صُرِفَ دُرّيٌّ عنها في بقية هذه السنة ، وولي الرَّمْلَةَ . فتوجّه إليها ، وقُتِلَ بها في شهر ربيعٍ الآخر سنةَ ستين وأربعمائة . وخَلَتْ دمشقُ هذه المدَّة كلَّها من

---

(١) ترجمته في أمراء دمشق ص ١٦ وتاريخ ابن القلانسي ٨٤ .

(٢) ترجمته في تاريخ ابن عساكر وأمراء دمشق ص ٣١ والوافي بالوفيات ١٤ / ٨ وتاريخ ابن القلانسي ٩٢

الولاة إلى أن أعيد اليها أميرُ الجيوشِ بدرٌ الأرمنيُّ سنةَ ثمان وخمسين وأربعمائة .

* * *

(مُعَلّى بن حَيْدَرَة الكُتاميّ)

[١٣٣ ب] / ثم أتى فحازها مُعَلّى
ثم اختشى من الرَّدى فولّى

مُعَلّى بنُ حَيْدَرة بنِ منزو بن النعمان ، أبو الحسنِ الكُتامي(١). تقدم ذكر أبيه حَيْدَرة (٢) . وكان أبو الحسن يُلَقّبُ حِصْنَ الدولة.

تغلّبَ على دمشق في يومَ الخميس الثامن من شوال سنةَ إحدى وستين وأربعمائة . أيامَ المستنصر من غير أن يُؤْمَرَ له بذلك ، عند خلُوٍّ دمشقَ من مُتَوَلٍ بعد ما هرب أمير الجيوش بَدْرٌ الأرمنيُّ . فأساء السيرة في أهلها ، وصادَرَهُمْ ، وبَسَطَ العقوبةَ عليهم ، وادّعى أنّ التقليد (٣) وصله بعد ذلك إلى أنْ خَرِبَتْ أعمالُ البلد وانجلى كثيرٌ من أهلها . ووقعت بينَه وبين عسكر البلد وحشةٌ خاف منهم على نفسه، فهرب إلى بانياس ليلةَ الجُمُعَةِ ثاني عشرين ذي الحجة سنة سبع وستين وأربعمائة (٤) . وأراح اللهُ العبادَ من تَعَدّيْه وظلمه . ثم خرج عن

(١) ترجمته في تاريخ ابن عساكر وأمراء دمشق ص ٨٥ وانظر تاريخ ابن القلانسي ص ٩٥ .

(٢) انظر صفحة ٤٩ ج٢ .

(٣) التقليد : كتاب يصدر من الخليفة يسند فيه الخليفة مقاليد الولاية والحكم (صبح الأعشى ١٣ / ١٥٣)

(٤) انظر تاريخ ابن القلانسي ص ٩٥ - أحداث سنة ٤٦١ هـ .

بانياس في سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة خوفاً من عسكرٍ قَدِمَ من مصر وجُعل بِصُور . ثم توجّه منها إلى طَرابُلُس ، فأُخِذَ وحُمل إلى مصر ، فهلك / بها من الضَّرب في الاعتقال في سنة إحدى وثمانين وأربعمائة . [١٣٤ آ]

* * *

(انتصار بن يحيى المصمودي)

كــــذا عليهـــا غَـلَـبَ انتصـــارُ
وتـــمَّ فيهـــا الحصـــرُ والحِصـــارُ

وبعــد هــذا خَرَجَـتْ عَـنْ مِصْـرِ
فمـــا لَهـــا أمـــرٌ عليهـــا يَجـــري

وعـــادَ حُكْمُهـــا إلـــى بَغـــدادِ
والمُقْتَـــدي بهـــا علـــى السّـــوادِ (١)

انتصار بن يحيى المصمودي ، رزين الدّولة (٢) ، غَلَبَ على دمشق في المحرم سنة ثمان وستين وأربعمائة ، لما هرب عنها مُعَلّى بنُ

(١) المقتدي : هو الخليفة عبد الله بن محمد بن القائم بن المقتدر ، أبو القاسم . تولى الخلافة بعد موت جده القائم بأمر الله . ولد سنة ٤٤٨ هـ = ١٠٥٦ م ومات ببغداد فجأة سنة ٤٨٧ هـ = ١٠٩٤ م (النجوم ٥ / ١٣٩ الأعلام ٤ / ١٢٢) .

(٢) ترجمته في مختصر تاريخ ابن عساكر ٥ / ٦٠ والوافي بالوفيات ٩ / ٤٠٩ وتاريخ ابن القلانسي ١٠٨ وأمراء دمشق ١٣ ولقبه فيه (زين الدولة) لعله تصحيف .

حَيْدَرَةَ ، واجْتمعتِ المَصامِدَةُ (١) إلى انتصارٍ هذا ، وكان زِمامَهم المقدّمَ عليهم . وقوّوا نَفْسَه على الأمر ، فرضي أكثر الناس بذلك لِسَدادِهِ ، وحَميد رأيهِ وسيرته . فاستقر أمرُه يومَ الأحد مستهلَّ شهرِ المحرمِ ، وأقام عليها والياً إلى أن دخلها أُتْسِز في ذي القَعْدة من هذه السنة ، فعوّضه عنها ببانياس ويافا من الساحل (٢) .

* * *

(أيام أُتْسِزِ الخوارزمي)

وبعد ذا استولى عليها أُتْسِزُ
وكانَ في أُموره يَسْتَوْفِزُ

تكرّرتْ منه لها المُحاصَرَةُ
وقد تخطّاها إلى المُصادَرَهْ

[١٣٤ ب] / وغلَتِ الأَقواتُ والأَسعارُ
وكان في هذا عليهِ العارُ

---

(١) المصامدة : نسبة إلى مصمودة ، وهي قبيلة من البربر بالمغرب فيه موضع يعرف بهم . وكانوا طائفة من طوائف عساكر الخلفاء الفاطميين ، اعتمدوا عليهم في الحكم (انظر اللباب ٣ / ٢١٩ وخطط المقريزي ٢ / ٢٠ ومعجم البلدان ٥ / ١٣٦ وتاج العروس صمد) .

(٢) هذا النص في مختصر تاريخ ابن عساكر ٥ / ٦٠ وانظر تاريخ ابن القلانسي ص ١٠٨ . .

أُتْسِز بن أَوَق الخوارزمي التركي (١) . غلب على دمشق . وكان قد نزل عليها محاصراً في يوم الثلاثاء تاسعَ شهرِ رمضان سنة سبع وستين وأربعمائة . ثم انصرف عنها (٢) يوم الثلاثاء نصف شوال من السنة المذكورة ، ثم عاد إلى النزول عليها عَقيبَ هُروبِ مُعلّى بنِ حيدرةَ إلى بانياس في يوم السبت سَلْخَ ذي الحجة سنةَ سبعٍ وستين ، ورحل عنها يوم الجمعةِ لأربعٍ خَلَوْنَ من شهرِ صَفَرَ سنةَ ثمانٍ وستين وأربعمائة . ثم نزل عليها في شعبانَ سنة ثمان وستين. ولم يَزَلْ مُحاصِراً لها حتى غَلَتِ الأسعارُ ، ولم يُقْدَرْ على شيء من الأقوات ، وبلغتِ غِرارةُ (٣) القمح زائدةً عشرينَ ديناراً . ثم إنه فتحها صُلحاً ودخلها هو وعَسْكَرُه يوم الاثنين حادي عشرين ذي القعدة سنةَ ثمانٍ وستين وأربعمائة ، وسكن دار الإمارة داخل باب الفراديس (٤) ، وفي يوم الجمعة ثاني عشرينَ ذِي القعدة خطب على منبر جامع دمشق (٥)

---

(١) يسميه ابن الأثير ج ١ ، ص ، ١١١ ، (إقسيس) وذكر ابن القلانسي في ص ٩٨ في الهامش رقم / ٣ / (هو ابن ابق في تاريخ الإسلام وفي مرآة الزمان أنه مقدم الناوكية) . — وفي زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم ، ج٢، ص ، ٤٧ : (أنه سمى نفسه أتسز (الملك المعظم) وسماهأيضاً (ابن أوق التركي) وترجمته أيضاً في أمراء دمشق : ٤ والنجوم الزاهرة ٧ / ١٥٥ وولاة دمشق في العهد السلجوقي ١٧—١٨ وتاريخ ابن عساكر ٢ / ٣٣١ وهو فيه (أتسز بن آف بن الخوارزمي) والإشارة ص ٥٦ — ح١ والكامل ١٠ / ٦٨ والأعلاق الخطيرة — تاريخ لبنان والأردن ص ١٣١ — ج ٥ والوافي بالوفيات ٦ / ١٩٥ والدول المنقطعة ص ٦٧ .

(٢) في الأصل : « عنه » .

(٣) الغرارة : الجوالق ، معرب (جوال) والعامة تعربه بالشين (شوال) وهو كيس البر وغيره .

(٤) باب الفراديس : أحد أبواب دمشق القديمة ، في الناحية الشمالية . تقدم التعريف به ص ١٠٩ ج١ .

(٥) يريد الجامع الأموي الكبير .

[١٣٥ آ] للخليفة الإمام المُقتدي . وكان / ذلك آخرِ يومٍ دُعي [فيه] (١) للمصريين على منابر دمشق ، فأقام فيها مدّة ثلاث سنين وأحدٍ وعشرين يوماً. وقيل : لإحدى عَشْرَةَ ليلةً خَلَتْ من شهر ربيعٍ الآخرِ سنة إحدى وسبعين وأربعمائة .

وكان أُتْسِز لما دخل البلدَ أَنْزَلَ جُنْدَهُ دور الدّماشقَةِ ، واعتقل منهم جماعةً ، وشَمَّسَهم في مَرْجِ راهطٍ حتى افتَدَوا نُفوسَهُمْ بمالٍ أدّوه ، ورحل منهم جماعةٌ إلى طرابلس حتى أراحهم الله تعالى منه (٢) .

* * *

أيـام تـاج الدولـة تُتُـش

ثُـمَّ أتَـاهــا بعــدَ ذا المَــلْكُ تُتُشُــ
يا حُسْـنَـهُ لـو لـم يَخُـنْ ولـم يَغُشْ

فخــانَ مَــنْ بــه غَــدا مُسْـتَنْجِـدا
وجُــرِّعَ المســكـينُ كاســاتِ الــرَّدى

تُتُشَ بن أَلْب رَسْلان ، أبي شجاع ، محمدِ بنِ داود بنِ ميكالَ ، أبو سعيد ، تاجُ الدولةِ التركيُّ السَّلْجوقيُّ (٣).

استنجده أُتْسِز بن أوق صاحب دمشق على جيشٍ قَدِمَ من

---

(١) أضفناها ليقوم المعنى .

(٢) انظر تفاصيل هذا في الكامل ١٠/ ٦٨ ومابعدها ، وتاريخ ابن القلانسي ص ١٠٨

(٣) ترجمته في تاريخ ابن عساكر ١٠ / ٤٣٤ والكامل ١٠ / ١١١ والوافي بالوفيات ١٠ / ٣٧٨ والعبر ٣ / ٣٢٠ ولاة دمشق في العهد السلجوقي ١٨ ، تاريخ ابن القلانسي ص ١١٢ وأمراء دمشق . وانظر زبدة الحلب في تاريخ حلب – ابن العديم ، ج ٢ ، ص ٤٢٠ ، هامش / ١ .

مصرَ ، فأتى دمشقَ (١) في شهرِ ربيعٍ الآخرَ سنةَ إحدى أو اثنتين وسبعين وأربعمائة فَقَتَلَ أتسز (٢) ، وغلب على البلد ، وامتدت أيامُه إلى أن قُتِلَ (٣) / يومَ الأحد سابعَ عَشَرَ صَفَرَ سنةَ ثمانٍ وثمانين [١٣٥ ب] وأربعمائة بنواحي الرَّي (٤) . كان قد توجّه إلى خُراسانَ (٥) عند موتِ أخيه ملكشاه بنِ رَسلان (٦) ، فلقيه ابنُ أخيه بركيارق (٧) ، فقُتل في المعركة . وولي بعده ابنُه دُقاق .

---

(١) يذكر ابن الأثير (في الكامل) ،ج١٠ ،ص١١١،وابن العديم في زبدة الحلب ، ج٢،ص٤٢٩،وابن القلانسي ، ص ، ١١٢ (أن السلطان تاج الدولة وصل إلى دمشق لإنجاد أتسز من الجيش المصري عام ٤٧١هـ) . ويذكر ابن الأثير أيضاً في نفس الجزء والصفحة ما يلي: (قد ذكر ابن الهمذاني وغيره من العراقيين أن ملك تتش دمشق كان هذه السنة (أي سنة ٤٧١ هـ) . وذكر الحافظ أبو القاسم(ابن عساكر) الدمشقي في كتاب تاريخ دمشق، أن ملكه إياها كان سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة .

(٢) يذكر ابن الأثير في الكامل ، ج ١٠، ص ١١١ ، بأن سبب مقتل إتسز من قبل تتش مايلي : (أن إقسيس خرج إليه يلتقيه عند سور البلد ، فاغتاظ منه تتش ، حيث لم يبعد في تلقيه ، وعاتبه على ذلك ، فاعتذر بأمور لم يقبلها تتش ، فقبض عليه في الحال ، وقتله من ساعته وملك البلد ، وكان ذلك عام ٤٧١ هـ – أما ابن القلانسي ، ص / ١١٢ / فيذكر الرواية التالية : (لما وصل السلطان تاج الدولة تتش إلى عذراء في عسكر لإنجاد دمشق ، وخرج إتسز إليه ، وخدمه وبذل له الطاعة وسلم إليه البلد ، فدخلها وأقام بها مديدة ، ثم حدثته نفسه بالغدر باتسز، ولاحت له منه إمارات ، استوحش بها منه ، فقبض عليه في شهر ربيع الأول من عام ٤٧١ هـ وقتل أخاه ، ثم أمر بخنقه بوتر في المكان المعتقل فيه ، وملك تاج الدولة دمشق .

(٣) من أجل مقتل تاج الدولة تتش،انظر تاريخ ابن القلانسي،ص، ١٣٠ ، وتاريخ ابن الأثير ،ج ١٠،ص،٢٤٤ وبالتفصيل،وكذلك،زبدة الحلب ، ج ٢،ص ، ١١٩ .

(٤) الري : تقدم التعريف بها ص ٢١٣/١ .

(٥) خراسان : تقدم التعريف بها ص ١٨٢/١ .

(٦) هو أبو الفتح ملك شاه بن الب رسلان بن محمد ، جلال الدولة ، لقب بالسلطان العادل . ولد سنة ٤٤٧ هـ ، وقيل مات مسموماً سنة ٤٨٥ هـ (العبر ٣ / ٣٠٩ ووفيات الأعيان ٥ / ٢٨٣) .

(٧) هو أبو المظفر ، ركن الدين ابن السلطان ملكشاه . ولد سنة ٤٧٤ هـ ومات سنة٤٩٨ هـ (الوافي ١٠ / ١٢١ وفيات الأعيان ١ / ٢٦٨ ، السلوك ١ / ٣٤ العبر ٣ / ٣٤٩)

أيام شمس المُلوكِ دُقاقُ

وآلَ أمْرُها إلى دُقاقِ
بباطنٍ في الأمرِ واتفاقِ

دُقاقُ بنُ تُتش بن ألب رَسْلان ، أبو نصر ، شمسُ الملوكِ (١) . ولي إمرة دمشق بعد قَتْلِ أبيه . وكان بحلب (٢) . فراسَلَه خادمٌ لأبيه اسمه ساوتكين (٣) ، كان نائباً لأبيه في قلعةِ دمشقَ سِرْاً من أخيه رضوانَ بن تتش صاحبِ حلب (٤) ، فخرخ دُقاق إلى دمشق وحَصَلَ بها ، وأجلسه ساوتكين في مَنْصِبِ أبيه . ثم إنه دَبَّرَ هو وطُغْتكين المعروف بأتابك (٥) زوج أم دُقاق على ساوتكين ، فقَتل وَقَدِم أخوهُ رضوان فحاصرها ، فلم يَنَلْ مقصوداً وعاد إلى

---

(١) ترجمته في وفيات الأعيان ١ / ٢٩٦ والوافي بالوفيات ١٢ / ٢١ والكامل ١٠ / ٢٤٨ وزبدة الحلب ٢ / ٢٠٧ ومرآة الزمان ٨ / ٧٠ وتاريخ العظيمي ٣٧٤ والعبر ٣ / ٣٤٧ والدارس ٢ / ١٦٥ وتاريخ ابن القلانسي ١٣٠ ، ١٤٥ ، ١٥٦ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ / ٢٤٧ وأمراء دمشق وشذرات الذهب ٣ / ٤٠٥ . وقال ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ٥ / ١٨٩ : « دقماق بن تتش ، وسماه الذهبي وصاحب مرآة الزمان دقاقاً ، بلا ميم ، ولعل الذي قلناه هو الصواب ، فاننا لم نسمع باسم قبل ذلك يقال له دقاق ، وأيضاً فان جد السلجوقيين الأعلى اسمه دقماق ، وهذا من أكبر الأدلة على أن اسمه دقماق » .

(٢) ذكر ابن الأثير في تاريخه ١٠ / ٢٤٨ أنه لما قتل تاج الدولة أخذ غلام لأبيه اسمه ايتكين الحلبي ابنه دقاقاً وسار به إلى حلب ، وأقام عند أخيه الملك رضوان .

(٣) العبر ٣ / ٣١٩ .

(٤) انظر زبدة الحلب ٢ / ١٢١ ، والكامل ١٠ / ٢٤٨ .

(٥) ذكره المصنف بين الولاة انظر صفحة ٦١ .

حلب . ثم عَرَضَ لِدُقاق مرضٌ طوَّل (١) به ؛ وتوفي في ثامن عشر شهر رمضان سنةَ سبع وتسعين وأربعمائة . وقيل : إن أُمَّه زيّنت له جاريةً ، فسمَّته في عُنقود عنَبٍ مُعَلَّقٍ في شجرته ثقَبَتْه بإبرةٍ فيها خيط مسموم ، ثم نَدِمَتْ أُمُّهُ بعد ذلك ، وتَهرَّأ جَوْفُه ومات في سنةِ سبعٍ وتسعين (٢) ، ودُفن دُقاق بخانقاه الطواويس بدمشق (٣) . رحمه الله تعالى .

* * *

أيامُ أرْتاش

ثم تَوَلّى أمْرَها أرْتاشُ
ولم يَطِبْ فيها لَه مَعاشُ

وخافَ بَطْشَ طُغْتَكينٍ فهَرَبْ
فلم يجد فرارُه إلا العَطَبْ

---

(١) اختلفت الروايات التاريخية بسبب وفاة دقاق ، فابن القلانسي ، ص ، ١٤٤ ، وسبط ابن الجوزي في مرآة الزمان،ج ٨ ،ص ، ٧ ، وابن عساكر ، (مخطوط) المكتبة الظاهرية مجلدة / ٦ / ورقة / (٥٠ ب) / والعظيمي ، ص ٣٧٤ : يرون أن سبب وفاته يكمن في مرض أصابه لاختلاط في الغذاء انتابه فتوفي في السنة المذكورة في النص — أما ابن خلكان ، ج ١ ، ص ، ٢٦٤ ، والذهبي في العبر ، ج ٣ ، ص ، ٣٤٧ : فذكرا أن أمه سمته . بعنقود عنب كما ورد في النص .

(٢) في الأصل : « في سنة ثلاث وتسعين » وهو خطأ ، فقد تقدم أن وفاته كانت سنة ٤٩٧ وكذا في المصادر .

(٣) تنسب هذه الخانقاه إلى دقاق بن تتش أو لابنه ، ويقال لها أيضاً الخانقاه الطواويسية (الدارس ٣ / ١٦٤) وعلق الأمير جعفر الحسني عليها فقال : درست وشيد مكانها أبنية حديثة ، ويعرف مكانها القديم بحكر الفهادين بظاهر دمشق من ناحية الغرب .

أرتاش . ويقال : التاش ابن السلطان تُتُش بن رَسْلان . أخو دَقاق صاحب دمشق(١) سجنه أخوه في بَعْلَبَكَّ . فلما مات دُقاق أطلقه الأمير طُغْتكين (٢) وأقْدَمه دمَشْقَ ، وأقامه في السَّلْطَنة ، فلم يَقُم غيرَ ثلاثةِ أشهرٍ ، ثم إنه تَوهّمَ من طُغْتكين شرّاً (٣) فخرج سرّاً وتوجّه إلى بَغْدَوين مَلِكِ الفِرَنْج ، فلم ير منه إقبالاً . فتوجّه على الرحبةِ (٤) إلى الشرق فهلك هناكَ سنة سبعٍ وتسعينَ وأربعمائةٍ (٥)

* * *

(١) اسمه في الكامل ج ١٠ ، ص ، ٣٧٦ (بكتاش) ، وكذلك في المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ، ٢١٧ – أما الذهبي في العبر ، ج ٢ ، ص ، ٣٤٧ والصفدي في الوافي بالوفيات ج ٨ ، ص ٣٣٥ ، والعظيمي ، ص ، ٣٧٦ فسموه (أكتاش) .

وفي تاريخ ابن القلانسي : كان شمس الملوك رحمه الله قبل وفاته ، سير أخاه الملك ارتاش ابن السلطان تاج الدولة تتش إلى حصن بعلبك ليكون به معتقلا عند واليه فخر الدولة خادم أبيه كمشتكين التاجي ، فرأى ظهير الدين أتابك في حكم ما يلزمه لأولاد تاج الدولة أن أرسل الخادم المذكور في إطلاقه وإحضاره إلى دمشق ، فوصل إليها وتلقاه وأكرمه وبجله وخدمه وأقامه في منصب أخيه شمس الملوك دقاق وأجلسه في دست المملكة وكان في يوم السبت لخمس بقين من ذي الحجة عام ٤٩٧ هـ – وذكر ابن الأثير في تاريخه ، ج ١٠ ، ص ، ٣٧٦ مايلي : (بعد وفاة دقاق خطب أتابكه طغتكين لولد له صغير له سنة واحدة ، ثم قطع خطبته وخطب لبكتاش بن تتش عم هذا الطفل في ذي الحجة عام ٤٩٧ هـ وله من العمر اثنتا عشرة سنة – وذكر العظيمي في تاريخه ص ، ٣٦٨ أن ولادته كانت عام ٤٨٤ هـ .

(٢) والي دمشق القادم بعده .

(٣) يشترك ابن الأثير ، ج ١٠ ، ص ، ٣٧٦ ، وابن القلانسي ، ص ، ١٤٥ ، وابن عساكر ، تهذيب بدران ، ج ٢ ، ص ، ٣٦٥ في القول بأن سبب استيحاش أرتاش من طغتكين هو أن والدته خوفته منه باعتباره زوج والدة دقاق ، صفوة الملك التي لن تتركه حتى يستقيم الملك لولدها وربما عملت على قتله .

(٤) يقول ابن الأثير ، ج ١٠ ، ص ، ٣٧٦ مايلي : (إن طغتكين أشار عليه بقصد الرحبة ، فخرج إليها فملكها وعاد فمنعه طغتكين من دخول البلد ، فمضى إلى حصون له) ويؤكد ابن الأثير ، ج ١٠ ، ص ٣٧٦ ، وابن القلانسي ، ١٤٥ : بأن أرتاش خرج سراً من دمشق عام ٤٩٨ هـ وتوجه نحو الفرنجة ، ولما يئس من مساعدتهم سار نحو الرحبة.

(٥) ربما كان عام ٤٩٧ هـ الذي ورد في النص خطأ إذ جاء في تاريخ ابن القلانسي والكامل لابن الأثير أن خروجه من دمشق كان عام ٤٩٨ هـ . (الحاشية السابقة) .

أيامَ الأتابك طُغتكين

/ ثم تولّى الأمرَ طُغْتكينُ [١٣٦ ب]
وحالُه في مُلْكِه رَكينُ

وكان في ضبطِ النظامِ شَهْما
وكان في عين الفِرَنج سَهما

يُؤْثِرُ أَنْ يُعَمِّر البِلادا
وأن يكونَ مُلْكُه تِلادا (١)

الأمير أبو منصور طُغتكين (٢) الأتابك . كان من رجال تاج الدولة (٣) . زَوَّجَهُ بأم ابنه دُقاق . وكان مع تاج الدولة لما ذهب إلى الريّ (٤) لقتال ابن أخيه بَرَكْيارُوق (٥) ، ورجع إلى دمشقَ بعد

(١) في الأصل : (بلادا) تصحيف . والتليد : القديم الموروث .

(٢) طغتكين : كلمة أجنبية المصدر ، وقد اختلف في رسم اسمه ولفظه ، فمؤرخو الفرنجة يسمونه : Doldequine ، أو : Tugtokin — كما وردت عند ايليسيف ، في كتابه عن نور الدين الزنكي ، ج٣ ، ص ٢٩ ، و E, I², Art, Büride, R. le Tourneaux — وبعض المؤرخين العرب ، يرسمونه بأشكال أخرى ، منها : (طغركين) كما وردت عند ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٩ — ومراجع أخرى تسميه (طفتكين) كما وردت عند ابن الأثير في الكامل ، ج ١٠ ، ص ، ٣٥٧ وابن عساكر ، مخطوط المكتبة الظاهرية بدمشق ، مجلدة ٨ / ، ورقة / ٢٥٧ أ / — وطغتكين كلمة تركية معناها (الباز المقاتل) ، وصاحبها من أصل تركي ، ومثل ذلك عند أسامة بن منقذ في (الاعتبار) ، ص ، ٩ . وترجمته في تاريخ ابن عساكر ٨ / ٥١٢ ومختصر أخبار البشر ٢ / ٢٤٠ وتاريخ ابن القلانسي ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٤٤ ، ٢١٨ وشذرات الذهب ٤ / ٦٥ وذكر ابن كثير في البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ، ١٩٩ — بأن أباه كان من مماليك السلطان الب ارسلان وانظر ص ٥٧ المتقدمة .

(٣) كان من رجال تاج الدولة تتش بن أرسلا ن — ابن الأثير — ج١٠ ص ، ٦٥٢ .

(٤) الري : تقدم التعريف بها في حواشي ص ٢١٣ ج١ .

(٥) تقدم ص ٥٧ ج٢ .

قتل تاج الدولة (١) . وكان أتابكَ دُقاق مدةَ ولايته . وكان شهماً مَهيباً ، يُؤْثِرُ عِمارَةَ بلاده ، شديداً على المفسدين وعلى الفرنج . وامتدتْ أيامُهُ إلى أن توفي يومَ السابع وقيل : الثامن من صَفَرَ سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة(٢) ، ودفن عند مسجد الجديد قِبْلِيَّ المُصَلّى.

قال ابن القلانسي (٣) : إن المصحفَ العُثمانيَّ حمله عثمانُ رضي الله عنه من المدينة إلى طبريّة فحمله أتابك طغتكين إلى الجامع الأموي بدمشق .

* * *

أيامُ تاجِ الملوكِ بُوْري

ثم تولّى الأمرَ فيها بُوْري
وَزَنْدُهُ بالسَّعْد منها يُوْري

[١٣٧ آ] / تاج الملوك ، أبو سعيد ، بُوْري بن طُغْتكين (٤) ولد في شهر رمضانَ سنةَ ثمانٍ وسبعين وأربعمائة . وولّيَ إِمْرَةَ دِمشقَ بعد وَفاة

---

(١) يقول ابن القلانسي ، ص ، / ١٣١ / : كان طغتكين قد حظي عند السلطان تاج الدولة ورشحه بحجره وقدمه على أبناء جنسه من خواصه وبطانته ، واستنابه في تدبير أمور دمشق وحفظها أيام غيبته ، فأحسن السيرة فيها وأنصف الرعية ، وسلم إليه ابنه دقاق لتربيته ، وجعله أتابكه .

(٢) من أجل أسباب وفاة طغتكين ، انظر تاريخ ابن القلانسي ، ص ٢١٨ – ٢١٩ – وابن الأثير ، ج ١٠ ، ص ، ٦٢٥ – ومرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ، ٧٨ – العبر ، ج ٤ ، ص ، ٥١ ، وكلهم ذكروا أن وفاته كانت عام ٥٢٢ هـ .

(٣) انظر تاريخه ، ص ، ١٨٧ .

(٤) ترجمته في الوافي بالوفيات ١٠ / ٢٢٧ ومرآة الزمان ٨ / ٧٩ ودول الاسلام ٣١ والعبر للذهبي ٤ / ٥١٤ ومختصر تاريخ الإسلام للذهبي – ق ١٣٢ أ ، وولاة دمشق في العهد السلجوقي ص ٢١ وتاريخ ابن عساكر ١٠ / ٢٢١

أبيه (١) في سابعِ صَفَرَ سَنَةَ اثنتين وعشرين وخمسمائة . وكانت سيرتُه سيرةً قريبةً . وكان فيه حِلْمٌ وسَماحَةٌ .

وقَتَلَ أبا عليٍّ المَزْدقاني (٢) ، فوثبتِ العامّةُ على مَنْ كان بدمشق من الإسماعيلية فقتلوهم لما قُتِلَ الوزير ، وكان يَشْتَدُّ بهم ويُقَوّي أمرهم . ولم يزل بُوري بدمشق حتى وثب عليه أعجميان من الباطنية (٣) يوم الخميسِ لخمسٍ خلَوْنَ من جُمادى الآخِرَةِ ، فَجَرَحاهُ جِراحاتٍ أَثْخَنَتْه إلى أن مات يومَ الاثنين حادي عشرين شهر رجب سنةَ ستٍ وعشرين وخمسمائة (٤) .

* * *

---

(١) يذكر ابن الأثير ، ج ١٠ ، ص ، ٦٥٢ ، أن تاج الملوك بوري ، ملك دمشق بوصية من والده له بالملك وهو أكبر أولاده – أما ابن القلانسي فذكر في تاريخه ص ، ٢١٨ وصية والده وقال :(عندما اشتد المرض عليه أحضر ولده تاج الملوك وأمراء دولته وخواصه وأهل ثقته وأعلمهم بأنه أحس من نفسه بانقطاع الأجل ، ولم يبق غير الوصية بما يعمل عليه ويدبر الأمر بعدي وينتهي إليه ، وهذا ولدي تاج الملوك بوري هو أكبر ولدي والمترشح للانتصاب مكاني بعدي ، والمأمول لسد ثلمة فقدي ، ولاأشك في سداد طريقته ، وإيثاره لفعل الخير ومحبته ، وأن يكون مقتنعاً لآثاري في حفظ قلوب الأمراء والعسكرية) .

(٢) هو طاهر بن سعيد المزدقاني (وفي تاريخ ابن القلانسي ص ٣٥٤ : المزدغاني كان وزير ظهير الدين أتابك ووزير ابنه هذا تاج الملوك بوري قتله سنة ٥٢٣ هـ (مرآة الزمان أخبار سنة ٥٢٣) .

(٣) الباطنية : من الفرق الإسلامية الشيعية المتطرفة لزم هذا اللقب هذه الفرق لحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً ، ولكل تنزيل تأويلا ولهم ألقاب كثيرة ومعتقدات خاصة بكل فرقة منهم (انظر الملل والنحل للشهرستاني ١ / ١٩٢ ، قواعد عقائد آل محمد ص ٣٤) .

(٤) من أجل تسلم بوري السلطة ، والأحداث التي جرت في عهده ، وأسباب مقتله ، انظر تاريخ ابن القلانسي ، من ص ٢٢٠ – ٢٢٩ و ٢٣٠ – ٢٣٣ – وتاريخ ابن الأثير ، ج ١٠ ، ص ٦٥٢ و ٦٧٠ – ومرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٧٨ – ٨٠ والعبر ، ج ٤ ، ص ٥١٤ – ابن عساكر ، تهذيب بدران ، ج ٣ ، ص ٩٦ – العظيمي ، ص ٣٦٦ و ٤٠٦ ابن خلكان ، ج ١ ، ص ٢٦٤ ، المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٥ – ٦ – شذرات ، ج ٤ ، ص ٧٨ – وتاريخ ابن أبي الدم ، مخطوط ، ورقة : ١٨٢ ب ، ١٨٣ب ..

أيامُ شمسِ المُلوكِ إسماعيل

وحازها شَمْسُ المُلوكِ بَعْدَهْ
وكلُّ شيءٍ ينتهي لحدِّهْ
وقَتَلَتْهُ بَعْدَ ذاك أمُّه
وشمل الناسَ جميعاً غَمُّه

شمسُ الملوكُ ، أبو الفتح ، إسماعيلُ بن بوري بن طغتكين (١) ولي دمشق بعد قتل أبيه (٢) وكان شهماً مقداماً مهيباً ./ استردّ بانياس [١٣٧ ب] من أيدي الكفار في يومين . وكان الإسماعيلية (٣) قد سلموها إليهم وأسْعَرَ بلادَ الكفر بالغارات .

ثم إنه مدّ يده إلى أخذ الأموال . وعزم على المصادرات للكُتّاب والعُمّال .

وكتب إلى قسيم الدولة زنكي بن آق سُنْقر (٤) يستدعيه ليسلّم إليه

(١) ترجمته في وفيات الأعيان ١ / ٢٩٦ والوافي بالوفيات ٩ / ٩٨ – الترجمة ٤٠١٥ وتاريخ ابن القلانسي ص ٢٣٢ والكامل ١٠ / ٦٨٠ والشذرات ٤ / ٩٠ وولاة دمشق في العهد السلجوقي ص : ٢٢ .

(٢) تولى شمس الملوك إسماعيل ملك دمشق بوصية من والده تاج الملوك بوري بعد أن اشتد مرضه – الكامل ، ج ١٠ ، ص ، ٦٨٠ – تاريخ ابن القلانسي ، ص ، ٢٣٢ – ٢٣٤ – وانظر نص الوصية في صفحات ابن القلانسي السابقة .

(٣) الإسماعيلية : جماعة تعتقد بأن الإمام بعد جعفر الصادق هو ابنه البكر إسماعيل الذي توفي قبل أبيه والذي يعرف باسم محمد المكتوم ، وتعرف أيضاً بالسبعية ، لأنها تقول بأن الأئمة عند الشيعة سبعة ، كما تعرف بالاسماعيلية نسبة إلى إسماعيل بن جعفر بن محمد الصادق .

(٤) كان صاحب الموصل وحلب قتله بعض غلمانه عام ٥٤١ هـ (الكامل ١٠ / ٦٣٤ العبر ٤ / ١١٢ ، المختصر في أخبار البشر ٢ / ٢٣٩ مفرج الكروب ١ / ٣٧ ، البداية والنهاية ٢ / ١٩٩ زبدة الحلب ٢ / ٢٤٣) .

دمشق (١) . فخافته أمه زمرُّدة (٢) . فزيّنتْ له مَنْ قتَلَهُ في قلعةِ دمشقَ في ربيعٍ الآخرِ سنةَ تسعٍ وعشرين وخمسمائة (٣) . ونَصَّبَتْ أخاه محمودَ بنَ بوري (٤)

قال ابنُ واصل : أَمرَتْ ياقوتُ (٥) أمُّ شمسِ الدولة بولدها المذكور فقُتِلَ بين يديها وهو يستغيث إليها (الصَّنيعةَ) (الصَّنيعة) (٦) (زنهار) (زنهار) (٧) ، ولما قَضى نَحْبَه جعلته في بِساطٍ ملفوف ثم أمرتِ الأمراءَ فدخلوا عليه ، فرَأَوْه مقتولاً . قالت : انظروا إلى

---

(١) من أجل الأحداث في عهد شمس الملوك إسماعيل انظر : تاريخ ابن القلانسي من ص٢٣٥ – ٢٤٣ – وتاريخ ابن الأثير ، ج ١٠ ، من ص ٦٧٩ – ٦٨٤ – و ج ١١ منه : ص ٦ – ١١ – والمختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ، ٧ ، ٨ – وتاريخ ابن عساكر ، تهذيب بدران ، ج ٣ ، ص ١٥ – ومرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٨٧ و ٩٣ – والنجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ، ٢٥٢ .

(٢) هي زمردة بنت جاولي ، أخت الملك دقاق صاحب دمشق . قتلت ابنها إسماعيل المذكور بعد أن كثر فساده ولمواطأته الفرنج سنة ٥٢٩ هـ في قلعة دمشق . توفيت بالمدينة سنة٥٥٧هـ ودفنت بالبقيع واسمها عند ابن واصل (ياقوت) وعند ابن القلانسي (خاتون) صفوة الملك (الدارس ١ / ٥٠٢ وأعلام النساء ٢ / ٣٧ والأعلام ٣ / ٤٩) .

(٣) من أجل أسباب مقتل شمس الملوك اسماعيل ، انظر تاريخ ابن القلانسي ، ص ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، – وتاريخ ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ٢٠ ، ٢١ – ومرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٩٣ – والعبر ، ج ٤ ، ص ٧٧ – وتاريخ ابن عساكر ، مخطوط الظاهرية مج ٢ ، ص ٤١٥ – والوافي ، ج ٩ ، ص ، ٩٩ – ووفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ، ٢٥٦ .

(٤) والي دمشق القادم بعده .

(٥) اسم آخر لزمردة .

(٦) الصنيعة : الإحسان .

(٧) زنهار : كلمة فارسية معناها : أمان ، عهد . (قاموس الفارسية ، تورك لغتي) .

سلطانكم وما عمل به ظُلْمُه للناس . ثم أحْضَرَتْ أخاه شهابَ الدين(١) صغيراً ، فعقدت له السلطنةَ ، وأقامت بتدبير المملكة .

* * *

أيامُ محمود بنِ بُوْري

ثم تولّى أمْرَهَا مَحْمودُ
وأمرهُ في مُلْكِهَا مَرْدودُ

[٢.١.٢٨] شهاب الدين ، أبو القاسم ، محمودُ بنُ بوري (٢) . ولي دمشق بعد قتلة أخيه شمسِ الملوك على ماتقدم . وكانت أمُّه زُمُرُّدة هي المدبِّرة الملكَ إلى أن تزوجها أتابك زَنكي ، وخرجت إلى حلبَ . وكان المدبرُ مُعين الدينِ (٣) أنر أحدُ مماليكِ جَدِّهِ طُغْتكِين ، وذلك في سنة تسع وعشرين وخمسمائة . وكانت الأمور على السَّداد إلى أن وثبَ عليه

---

(١) وهو محمود بن بوري .

(٢) قال ابن القلانسي في تاريخه ، ص، ٢٤٧ – (بعد مقتل اسماعيل ، نودي بشعار أخيه شهاب الدين محمود بن تاج الملك بوري ، وجلس في منصبه بمحضر من والدته خاتون صفوة الملك ، وحضر الأمراء وأماثل الأجناد وأعيان الرعية ، فسلموا عليه بالإمرة . وترجمته في البداية والنهاية ١٢ / ٢١٥ والعبر ٤ / ٧٨ والنجوم الزاهرة ٥ / ٢٦٥ والوافي بالوفيات ٣ / ٤٦٠ ومرآة الزمان ٨ / ٩٣ والكامل ١١ / ٢١ وتاريخ ابن عساكر ٣ / ١٥ .

(٣) اسمه في تاريخ ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ، ٦٨ (أنز) – وسماه أبو شامة في الروضتين ، ج ١ ، ص ٣٣ ، (آيز) . وتوفي بدمشق سنة ٥٤٤ هـ . ودفن تحت قبة العونية خلف دار البطيخ (مفرج الكروب ١ / ٩ – حاشية ٤ ، الوافي بالوفيات ج ١٩ ص ٤١٠ ، ذيل الروضتين ١ / ١٦٣ .

جماعةٌ من خدمه فقتلوه ،وذلك في ليلة الجمعة رابع عشرين شوال سنةَ ثلاثٍ وثلاثين وخمسمائة (١) .

* * *

أيامُ محمد بنِ بوري

ثم تولّى بَعْدَهُ محمدُ
أخوه والغدر فليس يُحْمَدُ

جمال الدين ، أبو المظفَّر محمدُ بنُ بوري بنِ طُغْتكين (٢). وكان أبوه قد ولاّه بَعْلَبَكّ فأقام بها سنين . إلى أن دبَّر على أخيه محمود مَنْ قَتَلَهُ . ووصل إلى دمشقَ ووَلِيَ أمرَها في شوال سنةَ ثلاثٍ وثلاثين وخمسمائة (٣) . وكان ضَعيفَ السيرةِ . ولم تَطُل

---

(١) من أجل الأحداث في عهد شهاب الدين محمود ، انظر تاريخ ابن القلانسي ، ص ، ٢٤٧ ، ٢٥٢ – ٢٥٥ ، ومن ٢٦٤ – ٢٦٩ – وتاريخ ابن الأثير ج ١١ ص ، ٣٨ ، ٣٩ – والمختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ، ١٠ – ١٢ – مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٩٩ – ١٠٠ – ١٠٤ – الروضتين ، ج ١ ، ص ، ٣٢ – والعبر ، ج ٤ ، ص ، ٩٢ – وزبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ – والبداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ، ٢١٢ – والنجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٢٦٥ – وتاريخ ابن عساكر ، مخطوط الظاهرية ، مج ١٩ ، ورقة ، ٢١٤ .

(٢) ترجمته في الوافي بالوفيات ٢ / ٢٧٣ والبداية والنهاية ١٣ / ٢١٦ والمختصر في أخبار البشر ٣ / ١٤ والنجوم الزاهرة ٥ / ٢٦٥ ومرآة الزمان ٨ / ١٠٤ وتاريخ العظيمي ص ٤١٧ والروضتين ١ / ٣٣ والشذرات ٤ / ١٠٥ .

(٣) جاء في تاريخ ابن الأثير ١١ / ٦٨ أنه بعد مقتل شهاب الدين محمود ، كتب إلى أخيه جمال الدين محمد بن بوري صاحب بعلبك وهو بها بصورة الحال ، واستدعوه ليملك دمشق بعد أخيه ، فحضر في أسرع وقت ، فلما دخل البلد جلس للعزاء بأخيه ، وحلف له الجند وأعيان الرعية وسكن الناس ، وفوض أمر دولته لمعين الدين أنر وانظر تاريخ ابن القلانسي ، ص ، ٢٦٩ .

مُدّتُه فمات في ثامنِ شعبانَ سنةَ أُربعٍ وثلاثينَ وخمسمائةٍ ، وأجلس ابنُه أبق وهو دون البلوغ .

* * *

[١٣٨ ب] / **أيــام المظفـر أَبَــق**

ثــم تــولّــى الأمــرَ بَعْــدَه أَبَــق
وكــان مُلْكُهــا لــه ثــم أَبَــق (١)

أبو سعيد المظفر أبق بنُ محمد بن بُوري بنِ طُغْتِكين (٢) . وُلد بِبَعْلَبَكَّ ، وقَدِمَ دمشقَ مع أبيه محمد . فلما مات أبوه مَلَكَ دمشقَ يوم الجمعة ثامنَ شعبانَ سنةَ أربعٍ وثلاثين وخمسمائة (٣) . وكان أتابكُ زنكي بنُ آق سُنْقر صاحبَ حَلَبَ وبعضَ الشام والموصلِ والجزيرةِ محاصِراً لدمشق ، فلم يصل منها إلى مقصودٍ ، ورَحَلَ عنها (٤) .

---

(١) أبق ، الثانية : هرب .

(٢) سماه أبو شامة في الروضتين ، ج ١ ، ص ، ٣٣ (آتق) . وترجمته في تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ / ٣١٧ والوافي بالوفيات ٦ / ١٨٨ والكامل ١١ / ٧٤ ووفيات الأعيان ١ / ٢٦٥ والعبر ٤ / ١٨٥ والباهر ٥٩ والمختصر في أخبار البشر ٣ / ١٥ والشذرات ٤ / ٢٦١ .

(٣) يذكر ابن القلانسي ، أن الأمير عضب الدولة أبي سعيد آبق بن جمال الدين محمد ، قد نصب بعد فقد أبيه في مكانه ، وأخذت له العهود بذلك ، وكان ذلك عام ٥٣٤ هـ — ص ٢٧١ .

(٤) من أجل العلاقة بين عماد الدين الزنكي ومجير الدين آبق ، انظر الكامل ، ج ١١ ، ص ، ٥٣ ، وتاريخ ابن القلانسي ، ص ٢٧٠ — ٢٧٣ — والروضتين ، ج ١ ، ص ، ٣٣ .

وكان أَبَق صغيراً ، ومعين الدين أنُر مملوكُ جده طُغتكين (١) والرئيس أبو الفوارس المسيّبُ بنُ علي الصوفي (٢) يُدَبِّران أَمْرَهُ فلما مات أَنُر انبسطت يدُ أَبَقَ قليلاً (٣) ، وأبو الفوارس يدبر الأمور ،وبعد مدة دبّر أبقُ وجماعةٌ من بِطانته على الرئيس وأخرجوه من دمشق إلى صَرْخد(٤) واستوزر أخاه أبا البيانِ حَيْدَرَةَ بنُ عليٍّ(٥) مُدَيْدَةً ، ثم استدعى عطاء بن حفاظ السُّلمي(٦) الخادم مِنْ بعلبك، وجعله مقدَّماً على العسكر . وقَتَلَ أبا البيانِ . ثم قبض على عطاء

(١) كان معين الدين أنر ، قد ضبط الأمور وساس البلد في عهد مجير الدين آبق ، حيث كان صغيراً في السن – أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ، ٣٣ – ويقول ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ، ١٤٧ – (وهو الحاكم والأمر له ، وكان أبق صورة أمير لا معنى تحتها) .

(٢) انظر تاريخ ابن القلانسي ص ٢١٦ وثمار المقاصد ص ٧٥ وأخباره مفصلة في الروضتين ص ٦٠ – ٩٠ وصفحات أخرى .

(٣) يذكر ابن القلانسي ، ص ، ٣٠٦ (بعد وفاة معين الدين أنر ، اجتمع حسام الدين بلاق ومؤيد الدين الرئيس ومجاهد الدين بزان وأعيان الأجناد في مجلس مجير الدين بالقلعة وإليه الأمر والتقدم وتقررت الحال بينهم على ما اتفق من صلاح الحال) . – انظر الروضتين ج ١ ، ص ، ٦٤ من أجل وفاة معين الدين أنر .

(٤) صرخد : بلدة ملاصقة لأراضي حوران ، وهي قلعة حصينة ، وولاية حسنة (انظر معجم البلدان ٣ / ١٠٤) وهي اليوم مركز منطقة في محافظة السويداء في جنوب الجمهورية العربية السورية .

(٥) لم يزل حتى عمل على أخيه ، وقلعه من وزارة مجير الدين وولي منصبه وقتله مجير الدين صبراً وعلق رأسه على حافة الخندق سنة ٥٤٨ هـ (الوافي بالوفيات ١٣ / ٢٢٧) .

(٦) ينسب إليه مسجد عطاء خارج باب شرقي بدمشق . مدحه الشاعر عرقلة الكلبي ، قتله صاحب دمشق مجير الدين سنة ٥٤٨ هـ (الروضتين ١ / ٩٥ ، مفرج الكروب ١ / ١٢٧ الكامل ١١ / ١٩٧ زبدة الحلب ٢ / ٣٠٤ ، تاريخ ابن القلانسي ٣٢٦ ، مرآة الزمان ١٣٥ ، نور الدين زنكي لإيليسيف ص ٤٨٣) .

[٢،١٣٩] وقَتَلَهُ (١) ولم يلبث / بعد ذلك إلا يسيراً ، حتى قَدِمَ الملكُ العادلُ أبو القاسم محمودُ بنُ زَنْكي (٢) محاصِراً للبلد ، وأقام عليها مدةً وسُلِّمت إليه بالأمان يومَ الأحد عاشرَ شهر صفرَ سَنةَ تسعٍ وأربعين وخمسمائة (٣) . ووفى لأبَقَ بما جعله له ، وسلَّم إليه حِمْصَ ، فأقام بها يسيراً . ثم انتقل منها إلى بالِسَ .(٤) فسلِّمت بأمر العادل فأقام بها مدةً ، ثم توجَّه إلى بغدادَ فأكرمه المقتفي(٥) . وتوفي ببغداد في سنة أربع وستين وخمسمائة .

* * *

---

(١) يقول سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان ، ج ٨،ص/١٣٦ / في مقتل عطاء الخادم : (ليتسنى لنور الدين الزنكي احتلال دمشق كان ينفر عليه بعض أمرائه وذلك في قوله لمجير الدين في كتاب وجهه إليه : « نفر عليك عطا بن حفاظ الخادم قلوب الرعية فاقبض عليه » ، وعندما قبض عليه قال له عطا : « لا تقتلني ، فإن الحيلة قد تمت عليك وذهب ملكك وسترى » . فلم يلتفت إليه وقتله . وكان ذلك عام ٥٤٨ هـ .

(٢) وهو الملقب بنور الدين الشهيد . سيأتي الكلام عليه بعد قليل .

(٣) انظر الكامل ١١ / ١٩٧ والروضتين ١ / ١٩٤ وتاريخ ابن القلانسي ٣٢٦ — ٣٢٩ وزبدة الحلب ٢ / ٣٠٣ ومرآة الزمان ٨./ ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٦ .، ومفرج الكروب ١ / ١٢٧ وتاريخ ابن أبي الدم — ق ٣٦٥ وتاريخ ابن عساكر ٢ / ٣١٧ ، المختصر في أخبار البشر ٣ / ٢٩ .

(٤) بالس : بلدة بالشام ، بين حلب والرقة . كانت على ضفة نهر الفرات الغربية ، فلم يزل الفرات يشرق عليها قليلا قليلا حتى صار بينهما أيام ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ=١٢٢٩م أربعة أميال (معجم البلدان١/٣٢٨)وهي اليوم بلدة في الجمهورية العربية السورية أقيمت عندها آلات دفع مياه الفرات لحلب . وأبو عبيدة بن الجراح هو الذي فتحها وضمها هارون الرشيد إلى جند العواصم .

(٥) المقتفي : هو المقتفي لأمر الله محمد بن أحمد ، أبو عبد الله بن المستظهر بالله ولد في ربيع الأول سنة ٤٨٩ هـ = ١٠٩٦ م وبويع بالخلافة سنة ٥٣٠ هـ . قال ابن الجوزي : عادت بغداد في أيام المقتفي إلى يد الخلفاء بعد ما كانت بيد السلاجقة . دامت خلافتة ٢٤ سنة وثلاثة أشهر . مات سنة ٥٥٥ هـ = ١١٦٠ م ببغداد . (تاريخ الخلفاء ص : ٤٣٧ والوافي بالوفيات ٢ / ٩٤ — الترجمة ٤١٥) .

أيامُ نورِ الدينِ الشهيد

ثم تولّى الأمرَ نُورُ الدينِ
وأصْبَحتْ في عِقْدِهِ الثّمينْ

أولُ بانٍ للحديثِ دارا
وابنُ الأثيرِ قالَ ذا فَسارا

وكانَ مَلْكاً عادلاً فقيها
يَغدو على السُّنَّة يَقْتَفيها

فما حَوتْ من بعدِ ذَا فَواحِشا
وسكَّنَتْ جأشَ الفُجورِ الجائشا

طاهرةً من دَنَسِ الآثامِ
مَحْسُودَةَ الأيّامِ والأنامِ

أتَمَّ دَوْرَ سُوْرِها سِوارا
بِمِعْصَمٍ في عِصْمَةٍ توارى

/ وعَمَّرَ المدارسَ الظَّريفَهْ [١٣٩ ب]
وَقْفاً على رأيِ أبي حَنِيْفَهْ

ومارس العليل مارستانُ
فصحَّت الأديانُ والأبدانُ

أمـا رَأيْـتَ الـرُبْـطَ والـزوايـا
ضَمّـتْ خَبَايـا الحُسْـن فـي حنـايـا (١)

وأسـقطَ البـاطـلَ فـي المُكوسِ (٢)
فـارتفـعَ الحـقُّ عـلى الـرؤوسِ

وجـاهَـدَ الفـرَنْـجَ بـالإيمـانِ
فحـازَ صُلْـبَ الكفـر والصُلْبـانِ

حـتى غَـدَتْ آمنـةً النـواحـي
ثُغُـورُهـا تَبْسـم عـن أقـاحـي (٣)

الملك العادلُ نورُ الدين ، أبو القاسم محمودُ بنُ زَنْكي بنِ آق سُنْقُر التركي (٤)

---

(١) الربط : جمع رباط ، وهو دار الصوفية ، أو المكان المسبل للعبادة . والرباط في الأصل : المكان أو الحصن الذي يرابط فيه الجيش لحماية الثغور ، ثم أطلق على البيوت الموقوفة على الفقراء يقيمون فيه للحراسة والعبادة . (انظر لسان العرب – ربط – وخطط المقريزي ٢ / ٤٢٧) . والزاوية كذلك ، والجمع زوايا .

(٢) المكوس : جمع (مكس) ، وهو ما يأخذه العشار (الذي يعشر الناتج الزراعي) ، والجباية ، وما يوضع من الضرائب على كل عمل أو نشاط اقتصادي يقوم به الأفراد غير الزراعة ويدعى المال الهلالي ، وأطلق في عهد المماليك المكس على المقرر (انظر خطط المقريزي ١ / ١٠٣ – ١١١) .

(٣) الأقاحي : جمع (أقحوان) وهو نبات له زهر أبيض وأوراق زهره مفلجة صغيرة ، ويسمى أيضاً البابونج .

(٤) ترجمته في مفرج الكروب ١ / ١٢٦ والنجوم الزاهرة ٥ / ٣٠١ والبداية والنهاية ١٢ / ٢٧٧ ووفيات الأعيان ٥ / ١٨٤ وتاريخ ابن القلانسي ٢٨٨ وتاريخ ابن عساكر ٣ / ٢٨٨ والروضتين ١ / ٥١ ومرآة الزمان ٩ / ١٢٤ ونور الدين لإيليسيف ج ٣ ص ٣٠٩ – ٤٠٣ ، ٤٤٥ ، ٤٤٨ ، ٤٦٥ ، ٤٦٩ .

كان جـده آق سُنْقُر (١) قد ولاّه السلطانُ أبو الفتح ملكشاه بن الب رَسْلان (٢) حَلَبَ ، ووَلِيَ غيرَها ، وفتح غَيْرَها من البلاد كالرُّها (٣) والمَعَرَّة (٤) وكَفَر طاب (٥). ولما توفي رحمه الله تعالى في ليلة الأحد سادس شهر ربيع الأول سنةَ إحدى وأربعين وخمسمائة قَتَلَهُ بعضُ خَدَمه على قلعة جَعْبَر (٦) وهو يحاصرها . وقام ابنُه نُورُ الدين مُقامَه في ولاية الشام .

ومولده يوم الأحد سابعَ عَشَرَ شهرِ شوال سنة إحدى عَشْرَة وخمسمائة . وفتح — رحمه الله / حصوناً ومُدناً كثيرة . [١٤٠ آ]

---

(١) آق سنقر : أصل البيت الأتابكي ، جعله ملكشاه من أعيان أمرائه ،ولقبه قسيم الدولة . قتله تاج الدولة بعد معركة قرب حلب سنة ٤٨٧ هـ (تاريخ ابن القلانسي ص ١٩٦ — ٢٠٨ والروضتين ١ / ٢٤ — ٢٧) .

(٢) تقدم التعريف به ص ٥٧ ج٢ .

(٣) الرها : مدينة في الجزيرة الفراتية بين الموصل والشام (معجم البلدان ٣ / ١٠٦) . وتعرف قديماً بأدسا ، وسماها العرب (الرها) أو (الرهاء) وهو تحريف للاسم اليوناني (كلرهو) وبعد انتقالها إلى أيدي العثمانيين عرفت باسم أورفا (بلدان الخلافة الشرقية ١٣٤) .

(٤) المعرة : بلدة في شمال سورية يقال لها (معرة النعمان) فيها قبر أبي العلاء المعري ، تتبع محافظة إدلب ، تبعد عن حلب ٨٦ كم على طريق حماة .

(٥) كفرطاب : بلدة بين معرة النعمان وحلب . وأصل (الكفر) بمعنى التغطية والمراد مكان الزرع والحرث . وظاهر كلام صاحب (الروض المعطار) أن (طاب) بمعنى الصفة لكفر نيابة قال : سمي بذلك لأن حوله أرض كريمة ، كما قال : وأرضه صحيحة الهواء ، ومن سكنها لا يكاد يمرض . وقيل : إنها نسبة إلى رجل اسمه طاب (المختار من صبح الأعشى ٥ / ٦١ ومعجم البلدان ٤ / ٤٧٠) .

(٦) قلعة جعبر : تقع على نهر الفرات ، مقابل صفين ، كانت تعرف بدوسر ، فتملكها رجل من بني نمير يقال له جعبر بن مالك ، فغلب عليها ، فسميت باسمه ، بينها وبين الفرات ميل واحد . (معجم البلدان ٤ / ٣٩٠) . وقال القلقشندي : وهي قلعة من ديار بكر من البر الشرقي الشمالي من الفرات أيضاً ، كانت تعرف بالدوسرية نسبة إلى دوسر وهو عبد النعمان بن المنذر وهو الذي بناها أولا لما جعله النعمان على أفواه الشام (المختار من صبح الأعشى ٥ / ٨٢) .

وأظهر بحلبَ السُّنّةَ ، وغيّرَ البِدَعَ وأقام شعار الدين ، وأبطل من التأذين ما كان للرافضة ، ونشر مذاهب السُّنّة وحاصر دمشق مرتين ولم يقدَّر له مُلْكُها ، ثم قصدها الثالثة ، فتمَّ له أمرُها صلحاً (١) في يوم الأحد عاشرَ شهرِ صَفَرَ سنةَ تسعٍ وأربعين وخمسمائة . فضبط أمورَها وحصَّن سُوْرَها . وبنى بها المدارس والمساجد والرُّبطُ والزوايا، وعمّر بها البيمارستان (٢) المشهور

قال ابن الأثير : وعمَّر بدمشق دارَ الحديث ، ووقف عليها وقُوفاً كثيرة . وهو أول من بنى داراً للحديث فيما علمنا — ووسَّع أسواقَها وطرُقاتِها ، وأبطل المُكُوسَ والمَغارم كَدارِ البطيخ (٣) ، ودارِ البَقْلْ ، وضمان النهرِ والكِيالة ، وسوقِ الغنم وغير ذلك (٤). وأمر بترك ما كان يؤخذ على الخمر من المَكْس ، وعاقب على شُرْبها، وأقام حدودها

واستنقذ من العدو معاقِلَ . وجاهد الفِرَنْجَ وبذل الجُهْدَ فيهم وأسَرَ من ملوكهم جماعةً كجوسلين وابنه ، وابن الفنش وقومس/ [١٤٠ ب] طَرَابُلُس (٥) . وكان شديدَ البأسِ والإقدام في الحروب وحكى عنه بعضُ خُدّامِه أنه كان يسأل الله تعالى أن يَحْشُرَهُ في بُطون السّباع وحَواصِلِ الطير

---

(١) انظر الروضتين ١ / ٣٣ وما بعدها .

(٢) يريد البيمارستان النوري ، الذي يقع في سوق الحميدية بدمشق .

(٣) لعلها (خان البطيخ) الذي يقع شمالي قلعة دمشق (غوطة دمشق ص٢٤٤ ج١) .

(٤) انظر تاريخ ابن القلانسي ص ٣٢٨ — ٣٢٩ والروضتين ١ / ٩٦

(٥) القومس: الأمير . وهو تعريب لكلمة (comes) والفرنسية (Comte) . وانظر السلوك ٥٩ .

وكان أحسنَ الناس لُعْباً بالكُرة ، يُجري الفرسَ ويتناولها من الهواء ويرميها إلى آخر الميدان ، وكان يمسك الجَوْكان (١) بِكُمِّ قَبائه (٢) استهانَةً به .

وكان يُكرم العلماءَ وأهلَ الخير ، ويتَوَخّى العدلَ في الأحكام والقضايا . وبنى في أكثر مملكته دُورَ العَدْل ، وأحضرها القضاةَ والفقهاء للفصل . وحضرها بنفسه في أكثر الأوقات . وأدرَّ على الضعفاء والأيتام الصَّدقات . وتعهد ذوي الضرورات والحاجات والمستورين بالصلات والهِبات . وبنى المكاتب للأيتام ، وأقام لهم الفقهاء المؤدبين ورتب لهم الخبز(٣) والأدم والكساوى في الصيف والشتاء. وأوقف على ساكني الحرمين ومجاوري مكةَ والمدينة . وأكرم أميرَ المدينة وأحسنَ إليه ، وأجرى له الضيافة لما قَدِمَ عليه ، وجهز معه عسكراً لحفظ المدينة . وأقطع أمير مكة إقطاعاً (٤) . ورفع عن الحُجّاج / ما كان [١،١٤،٢] يؤخذ منهم من المكس . وأقطع أمراء العرب الإقطاعات نظيرَ ما كانوا يأخذونه من الحُجّاج . واستخرجَ العينَ التي بأُحُد في المدينة الشريفة ،

---

(١) الجوكان : لفظ فارسي وهو المحجن الذي تضرب به الكرة ، وقد يقال له الصولجان . ومن يحمله للسلطان يدعى جوكندار — والجوكان : عصا مدهونة طولها نحو أربعة أذرع ، برأسها خشبة مخروطة معقوفة تزيد نصف ذراع (صبح الأعشى ٥ / ٤٥٨ ، السلوك ١ / ٤٣٥ — ح ١ — ذيل المعاجم العربية ٢ / ٣٥١) .

(٢) القباء : ثوب يلبس فوق الثياب . وعامة أهل الشام يقولون (قنباز) وقد يقال له (قفطان) أو (فرجية) وصفه المقريزي بأنه أبيض أو مشهر بأحمر وأزرق ، ضيق الأكمام مزركش أو غير مزركش (خطط المقريزي ٢ / ٢١٥) .

(٣) الخبز ، والجمع أخباز ، ومعناه الإقطاع عامة (ذيل المعاجم العربية — دوزي) .

(٤) الإقطاع : ما يقطع من الأراضي والبلاد والضياع للأمراء والجند والموظفين ليتخذوا من غلاتها أرزاقهم (ذيل المعاجم العربية — دوزي) وللاطلاع على نشأة الإقطاع وتطوره في العهود المختلفة انظر خطط المقريزي ١ / ٩٥ .

وكانت السيولُ قد طَمَّتْها . وبنى الجسورَ في الطرقات والخانات للسَّبيل ، وحصَّل الكثير من الكتب الصحيحة في العلوم الشرعيّة ، ووقفها على أهل العلم ، وجَدَّدَ كثيراً من قُنِيِّ السبيل ، وأجرى المياه فيها .

واستنجده العاضد صاحب مصر مرتين على الفِرَنْج ، وجَهَّز لهم شيركوه (١) عَمَّ صلاح الدين (٢) وأعانوه على الفرنج ونصروه . وجهَّز صلاحَ الدين مع عمه أسدِ الدين إلى مصر ،فقدَّر الله أن مَلَكَها.

وكان عفيفَ الفَرْج . يتحرّى في مأكله ومَشْرَبِه ومَلْبَسِه ، بَريئاً من التكبُّر والتجبُّر ، مثابراً على تتبُّع السُّنّة والاقتداءِ بالسَّلَف الصالح . وسمع الحديث وأَسْمَعَهُ . ولم يُسمَعْ منه كلمةُ فُحْشٍ . وكان يزور الصالحين ، ومتى شُكِيَ من وُلاتِه رَدَعَهم وكفّهم أو عزَلَهم .

وليس هذا بموضع استيفاءِ محاسنه(٣) ، فإنَّ أَمْرَه أشهر من أن يُذْكَر . والشمسُ لا تَخفى بكل مكان .

[١٤١ب] / ولما عمَّر مدرستَه الحنفية بدمشق قال عَرْقَلةُ الشاعرُ (٤) :

(١) ذكره المصنف بين الولاة انظر الصفحة القادمة رقم ٧٩ .

(٢) ذكره المصنف انظر الصفحة القادمة رقم ٨٠ .

(٣) من أجل أخبار نور الدين الزنكي وحياته ، انظر ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٥٠ – ٩٦ – والكامل ج ١١ ، ص ، ٤٠٢ – ومفرج الكروب ، ج ١ ، نور الدين الزنلي لإيليسيف ، الجزء الثالث ، وتاريخ ابن القلانسي ، من ص ٢٨٨ – ٣١٥ .

(٤) البيتان في ديوان عرقلة ص ٧٠ . وعرقلة : هو حسان بن نمير بن عجل ، أبو الندى ، الكلبي ، الدمشقي ، الشاعر الخليع . توفي سنة ٥٦٧ هـ ومدح السلطان صلاح الدين ، وفقد إحدى عينيه في سفره إلى حلب . (ترجمته في الوافي ١١ /٣٦٤ وخريدة القصر – قسم شعراء الشام ١/ ١٧٨ وفوات الوفيات ١ / ٢٢٢ ومقدمة ديوانه) .

ومدرسة سيدرس كل شيء
وتبقى في حمى علم ونسك

تضوّع ذكرها شرقاً وغرباً
بنور الدين محمود بن زنكي

قال العماد الكاتب (١) :

يا ملكاً أيامه لم تزل
بفضله فاضلة فاخره

غاضت بحار الجود مذ غيبت
أنمُلك الفائضة الزاخره

ملكت دنياك وخلفتها
وسرت حتى تملك الآخره

وقال أيضاً :

عجبت من الموت كيف اهتدى
إلى ملك في سجايا ملك

وكيف ثوى الفلك المستدير
في الأرض والأرض وسط الفلك

ومدحه مهذب الدين بن القيسراني بقصائد طنانة (٢) ومنها :

(١) تقدم التعريف به ص ٤٣ ج١ .

(٢) هو الشاعر محمد بن نصر بن صغير . له قصائد كثيرة في مدح نور الدين الشهيد ، ذكرها أبو شامة في الروضتين ج ١ / ٥٨ — ٥٩ وغيرها ، وشبهه العماد الأصفهاني هو وابن منير الطرابلسي بالفرزدق وجرير ، وذكره في الخريدة . مات سنة ٥٤٨ هـ .

شَفَعَ الشجاعةَ بالخضوع لربِّهِ
ما أحسنَ المحرابَ في المحرابِ

وقال من قصيدة :

فاسْعَدْ بما نلْتَهُ من كُلِّ صالحةٍ
يأوي إلى جنَّةِ المأْوى لها حَسَبُ

وإنْ لا يكُنْ أَحَدُ الأبدال في فلك التَّـ
ـقْوى فلا يُتمارى أنك القُطْبُ (١)

[١٤٢آ] / فلو تُناسِبُ أفلاكَ السماء بها
لكان بينكُما من عِفَّةٍ نَسَبُ

هذا وهل كانَ في الإسلامَ مَكْرُمَةٌ
إلا شَهِدْتُ وعُبَّادُ الهَوى غُيَّبُ

وكان أسمرَ طويلاً حسنَ الصورة ، ليس بوجهه شَعْرٌ سوى حَنَكِهِ . وتوفي — قَدَّسَ اللهُ رُوْحَهُ — بقلعة دمشقَ بالخوانيق (٢) يومَ الأربعاء حادي عشرَ شوالَ سنةَ تسعٍ وستين وخمسمائة ،

---

(١) البدل والقطب : من مصطلحات الصوفية . . فالأبدال : رجال من الأولياء ، يذهب المتصوفون إلى أنهم أربعون ، سموا بالأبدال لأنهم يتناوبون رعاية الدين ، فاذا قضى أحدهم أبدل بآخر حتى آخر الحياة والدنيا (انظر تاريخ ابن عساكر — المجلدة الأولى ص ٢٨٥) . والقطب : ملاك الشيء ومداره . وسيد القوم .

(٢) الخوانيق : قال أبو شامة في الروضتين : ج-١ ، ص ، ٢٢٨ (قال ابن شداد : وكانت وفاة نور الدين ، بسبب خوانيق اعترته ، عجز الأطباء عن علاجها ، ويذكر أيضاً في نفس الصفحة :) أن طبيباً بدمشق يعرف بالرجبي ، وهو من حذاق الأطباء ، استدعاه نور الدين في مرضه الذي توفي فيه مع غيره من الأطباء ، وكان في بيت صغير بقلعة دمشق ؛ وقد تمكنت الخوانيق منه وقارب على الهلاك ، فلا يكاد يسمع صوته، فقال له =

وكان في أول مرضه أشار عليه الأطباء بالفَصْد فامتنع ؛ وكان مَهيباً فما رُوْجِع ، في ذلك .

وتقدم ذكر مَوْلِدِه . وعَهِدَ بالمُلْكِ لولده الصالحِ إسماعيلَ وهو ابنُ إحدى عَشْرَةَ سنةً .

* * *

(شيْركُوه ، أسَدُ الدين بنُ شـادي)

وشِيرْكُوه كانَ فاسْمَعْ راغبا
أيامَ نورِ الدين فيها نائبا.

شيركوه (١) أسدُ الدين بنُ شادي ، تولّى دمشقَ نيابةً عن نور الدين . وقام بحرب الفِرَنْج ، وفَتَحَ من حصونهم غَيْرَ حِصْنٍ.

وحجَّ بالناسِ سنة خمسٍ وخمسينَ وخمسمائة . وجهّزه نور الدين

= الأطباء: الآن ينبغي أن تنتقل إلى مكان فسيح ،فله أثر في هذا المرض – وشرع في علاجه فلم ينفع فيه الدواء وعظم الداء ومات – وذكرت نفس الرواية عند ابن الأثير ،ج ١١ ، ص ، ٤٠٢ – السلوك م ١ ص ٥٥ حاشية (٨)

(١) يقول ابن الأثير في ج ١١ ، ص ، ٣٤١ : (إن شيركوه وأخوه نجم الدين بن أيوب ابنا شاذي من بلد دوين ، وأصلهما من الأكراد الروادية ، وهذا النسل هم أشرف الأكراد فقدما من العراق وخدما مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد ، فجعل نجم الدين مستحفظاً لقلعة تكريت وهي له ، فسار إليها ومعه أخوه شيركوه . ترجمته في وفيات الأعيان ٢ / ٤٧٩ والعبر ١ / ١٨٦ والوافي ١١ / ٢١٤ وترويح القلوب ٣٨ وأمراء دمشق ٤١ ومن أجل حياة ابن شيركوه والأحداث في عهده : انظر تاريخ ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ، ٣٤١ – ٣٤٢ – والروضتين ، ج ١ ، ص ، ١٦٠ – زبدة الحلب ، ج ٢ من ص ٣١٦ – ٣٢٨ – ومفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج ١ ، ص ، ١٤٨ – ١٦٨ .

إلى مصر لما استنصروا على الفرنج ثلاثَ مراتٍ . وملك مصر في الثالثة وزيراً للعاضد في شهورِ سنةِ أربعٍ وستين وخمسمائة بعد أن حصرها الفرنج وطمعوا في ملكها . وقتل شاور الجذامي (١) / وزير العاضِدِ (٢) لما تحقّقَ منه الغَدْرَ بهم. [١٤٢ ب]

وتوفي بمصر في الثاني والعشرين من جُمادى الآخِرة سنةَ أربع وستين وخمسمائة . وكانت ولايتُه بمِصرَ الوزارةَ شهرين ويومين . وولّى العاضِدَ بعده صلاحَ الدين يوسُفَ ابن أخي شيركوه (٣).

* * *

(صلاحُ الدين الأيوبي)

كذا صلاحُ الدين كان شُحْنَتَهْ
لأنّه استجاد منه ذِهْنَتَهْ

كان العادل نور الدين (٤) ـ قَدَّسَ اللهُ رُوْحَه ، قد أقام صلاحَ

---

(١) من أجل مقتل شاور – انظر زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ، ٣٢٧ .

(٢) هو العاضد لدين الله أبو محمد عبد الله بن الأمير يوسف ابن الحافظ لدين الله. ولد لعشر بقين من المحرم سنة ٥٤٦ هـ = ١١٥١ م وقيل سنة ٥٤٠ و ٥٤٤ كما في النجوم الزاهرة ٥ / ٣٣٤ . أنهى حكمه السلطان صلاح الدين الأيوبي ، وكان آخر الخلفاء الفاطميين بمصر ، وكان ذلك في عاشوراء سنة ٥٦٧ هـ = ١١٧١ م (خطط المقريزي ١ / ٣٥٧ واتعاظ الحنفا ص ٢٨٧ وفيات الأعيان ٣ / ١٠٩ ومرآة الزمان ٨ / ٢٩٠ والروضتين ١ / ٤٩٢ ومفرج الكروب ١ / ٢٠١ والعبر ٤ / ١٩٧ والوافي ١٧ / ٦٨٥)

(٣) يأتي الكلام عنه بعد قليل .

(٤) محمود بن زنكي . تقدم ص ٧٢/٢ .

الدين (١) بدمشق قبل ما جهزه إلى مصر صُحْبَةَ عمّه أسدِ الدين. وفيه يقول الشاعر عَرْقَلَةُ (٢) :

رُوَيْدَكُمْ يا لُصُوصَ الشامِ
فإنّي لكم ناصحٌ في (المقال)(٣)
إياكم سميَّ النبي الكريمُ (٤)
يوسُف رب الحجى والجمالِ
فذاكَ يُقَطِّعُ أيدي النّسا
وهذا يُقَطِّعُ أيدي الرِّجالِ (٥)

* * *

(إسماعيلُ بنُ نورِ الدين زنكي)

وبَعْدَ نُورِ الدِّينِ إسماعيلُ
قام وما لِسَعْدِهِ دَليلُ

كان نُور الدين قد عَهِدَ بالملك إلى وَلَدِهِ الملكِ الصالحِ إسماعيل(٦). وَحَلَفَ له الأمراءُ، وحضر بعد موته القاضي كمالُ الدين(٧)، وشمس

(١) الأيوبي . يأتي الكلام عنه بعد قليل .
(٢) الأبيات في ديوان عرقلة ص ٨٧ .
(٣) في ديوان عرقلة : مقالي .
(٤) في ديوان عرقلة : وإياكم من سمي النبي .
(٥) إشارة إلى قصة نبي الله يوسف الواردة في القرآن الكريم .
(٦) ترجمته في مفرج الكروب ٢ / ١ — ٤ والبداية والنهاية ١٢ / ٢٠٨ والروضتين ١ / ٢٣٠ والكامل ١١ / ٤٠٥ والشذرات ٤ / ٢٥٨ .
(٧) في مفرج الكروب لابن واصل ،ج٢، ص١ — ٢ — مايلي: (اسم القاضي كمال الدين الشهرزوري ، والأمير شمس الدين محمد بن المقدم،والطواشي جمال الدين ريحان =

[١٤٣ آ] الدين بنُ المقدَّم ، وجمالُ الدين ريحان ،/ وهو أكبر الخدَّام ، والعدلُ أبو صالح ابنُ العَجَمي أمينُ الأعمال . والشيخُ إسماعيلُ خازنُ بيت المال . وتحالفوا على أن تكون أيديهم واحدةً ، وأن ابنَ المقدَّمِ (١) هو مقدَّمُ العَساكرِ . كل هذا خوفاً من السلطان صلاحِ الدين. ولم يمضِ غير قليلٍ ، حتّى وردتَ كتب صلاح الدين (٢) تعزية الملك الصالح(٣) في أبيه ، وأرسل معها دنانير مِصْرِيّة عليها اسم الصَّالح . ويعرفه أنَّ الخطبةَ على منابر الديار المصرية قائمةٌ باسم الصالح كما كانت لوالده .

واتفق وقوع الفتنة بين السُّنّة والشّيعة في حلب ، فتوجَّه الصالحُ إليها ، واستخلف بدمشق الأميرَ شمسَ الدين بنَ المُقَدَّم ؛ فلما كان في سنة سبعين وخمسمائة ، وصل السلطانُ صلاحُ الدين من مِصْرَ إلى دمشقَ ، وكان قَصْدُ صلاح الدين تربية الصالح لِصِغَرِ سِنِّهِ وكِبَرِ الممالكِ عليه ، خدمةً لوالده ورعايةً لعهده ؛ فلما وصل إلى دمشق تسلّمها بغير قتال (٤) .

* * *

= وهو من أكبر الخدم ، والعدل شهاب الدين أبو صالح بن العجمي أمين الأعمال،والشيخ اسماعيل خازن بيت المال) . ويذكر ابن واصل أيضاً في مفرج الكروب ج٢ ص ٢٠ : (أن جمال الدين هو متولي القلعة) . – أما ابن الأثير ج ١١ ، ص ، ٤٠٥ فذكر أن الأمير شمس الدين هو محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدم . وهو الذي تولى تربية إسماعيل بن نور الدين .

(١) ذكره المصنف بين الولاة . انظر صفحة ٩٣ القادمة ،وهو شمس الدين محمد .

(٢) الرسالة التي أرسلها صلاح الدين إلى اسماعيل في مفرج الكروب ج ٢ ، ص ، ٤ ، وفي ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٣٠ – ٢٣١ ، بضعة أسطر زيادة .

(٣) انظر مفرج الكروب ، ج ٢ ، من ص ١ – ٤ .

(٤) من أجل فتح صلاح الدين دمشق : أنظر ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، من ص ١٧ – ٢١ – الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٣٦ ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٣٢٧ – ومن أجل التفصيلات في الرسائل المتبادلة بين صلاح الدين والمقدم جمال الدين متولي القلعة بدمشق انظر : الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٣٦ – والكامل ج ١١ ، ص ٤١٥ .

أيامُ السلطان صلاحِ الدين
ـ قدّس اللهُ رُوْحَه ـ

/ وجاءَ مِنْ مِصْر صلاحُ الدينِ [١٤٣ ب]
بِعَسْكَرٍ أربى على الظُّنونِ
فحازَها طَوْعاً بلا قتالِ
كما تَسُوْغُ شَرْبَةُ الزُّلالِ
ما انتشرت ذوائبُ الأعِنَّةْ
ولم تفد كواكبُ الأسِنَّهْ
ولم تَسِلْ سيوفُه سُيولا
ولم تَجِرَّ حَرْبُهُ ذُيولا
فأصبحتْ عامرةَ الأوطانِ (١)
بالغةَ الأوطارِ بالأوطانِ
أحْيا الذي قَدْ سَنَّ نُور الدينِ
وزاد ما أمكنَ من تحسينِ
حتّى حَذا في كلِّ فعل حَذْوَهُ
وربَّما زادَ وعَدّى شأوَهُ
فطَهّرَ الساحِلَ من أنجاسِهِ
بَتَّ من الكُفْر قِوى أمْراسِهِ (٢)

---

(١) في أمراء دمشق ، ص ١٥٩ ، (الأركان) .
(٢) في أمراء دمشق ، ص ١٥٩ :
بت من الكفر قوى أمراسه فطهر الساحل من أنجاسه

وجمَّلَ المَلِكَ بفتحِ القُدْسِ
وذاكَ للدِّينِ شِفاءُ النَّفْسِ

وكم أثارَ النَّقْعَ كالدُّخانِ
يَلْمعُ فيه شَرَرُ الخُرصانِ (١)

ونُشِرَتْ سَحائِبُ القَشاعِمْ (٢)
وانهمَرَتْ من الدما الغَمائمْ

وكم هَمَتْ قوسٌ بِوَبْلِ النَّبْلِ
وصَكّتِ الأُذْنَ رُعودُ الطَّبْلِ

وأَوْمَضَتْ بَوارِقُ السُّيوفِ
واعتَرضَتْ طَوارِقُ الحُتوفِ

وكم فَرى من الفِرَنجِ ودَجا
وكم أثارَ في لُقاهم وَهَجَا

وكم مَلا عَيْنَ المَلاعيْنَ عَمى
وكم أَغاثَ مُسْلِماً وسَلَّما

[١٤٤آ] / السلطان صلاح الدين ، أبو المُظَفّر يوسُفُ بنُ نجمِ الدين أيوبَ (٣) .

---

(١) الخرصان : السنان أو القضبان ، وقال بعضهم : الخرصان : الدروع — لسان العرب ، ج ٧ ، ص ٢٢ .

(٢) القشاعم : (أم قشعم) : الحرب والمنية .

(٣) ترجمته في السلوك ١ / ٤١ — ١١٤ وخطط المقريزي ٢ / ٢٣٣ والروضتين ج ٢ صفحات كثيرة ، ومفروج الكروب ٢ / ٢٢ حتى آخر الجزء،النجوم ٦ / ٣ — ٦٣ والبداية والنهاية ١٣ / ٢ والكامل ١٢ / ٥ — ٩٧ .

لمّا توفي نور الدين — رحمه الله ، — وعَلِمَ السلطانُ أن ولدَه الصالحَ إسماعيلَ ، ما يستقلُّ بأعباء المُلك لاتساعِ أقطارِه . خرَجَ من مصر ، وقصد دمشقَ ليكفل ابنَ نورِ الدين . فوصلها وملكها بغير قتالٍ . وكان قد جاء في عساكرَ كثيرة إلى الغاية .

وسلك طريق نور الدين — رحمه الله — ، وحذا حَذْوَهُ واتّبعَ آثارَه في عِمارَةِ المساجدِ والخَوانق والرُّبُطِ والزّوايا والمدارس ، وأربى على نور الدين في جميع ذلك .

وصانَ دمشقَ وحَماها . وملكَ بعدَ ذلك جميعَ ما مَلَكَهُ نورُ الدين . ومَلَكَ اليمنَ ، وملك من الغرب طَرَابُلُسَ وقابِسَ (١) وأكثر بلاد إفريقية .

وفي سابع عشرين شهرِ رجبَ سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، فتح القدسَ (٢) ، وفتح السواحلَ (٣) ، وطهَّرَها من دَنَسِ الكُفْر بالفِرَنْجِ وهذه مَنْقَبَةٌ عظيمة .

وكان شافعي المذهب ، أَشْعَرِيَّ الاعتقادِ يُلَقِّن أولادَه مِنْ صِغَرِهم عقيدةَ الأشعريِّ كما يُلَقِّنُهُمُ القرآنَ . وسمع الحديثَ وأَسْمَعَهَ أولادَه / ، وروى الحديث وأسمعه ، وكان قد وُلِد [١٤٨ ب]

---

(١) قابس : مدينة بين طرابلس الغرب وسفاقس ، على ساحل البحر (في ليبيا) وساحلها مرفأ السفن ، وانظر معجم البلدان ٤ / ٢٨٩ .

(٢) تفاصيل وقعة حطين وفتح القدس عام ٥٨٣ هـ في مفرج الكروب ٢ / ١٨٨ — ١٩٤ .

(٣) انظر مفرج الكروب ٢ / ٢٤٢ — ٢٦١ والكامل ١١ / ٥٤١ — ٥٤٦ وتاريخ الحروب الصليبية لرنسيمان ج ١ ص ٣٩٣ و ٢ / ٦٤٩ — ٧٠٥ .

بتكريت (١) سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة . وأقام في المُلْك أربعاً وعشرين سنة . وتوفي بقلعة دمشق (٢) بعد صلاة الصبح يومَ الأربعاء سابع عشر شهر صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة . وحضر الفاضل (٣) وفاته . وغسّله الدَّوْلَعيُّ الخطيبُ (٤) وصلّى عليه القاضي محيي الدين

---

(١) تكريت : بلدة مشهورة بين بغداد والموصل ، وهي إلى بغداد أقرب (معجم البلدان ٢ / ٣٨ والروض المعطار ١٣٣) . وتبعد عن الموصل تجاه بغداد ٢٥٥ كم (الدليل الأزرق — الشرق الأوسط ص ٦٢٢) .

(٢) قلعة دمشق : بعض موقع هذه القلعة كان داراً رومانية منحت عندما فتح المسلمون دمشق للصحابي الجليل أبي الدرداء ، ثم أخذها الضحاك بن قيس ، وعوض أبا الدرداء عنها داراً ملاصقة للجامع الأموي (مكان المدرسة الصادرية اليوم) ولما احترقت (الخضراء) التي كانت دار الإمارة جنوبي الجامع الأموي انتقلت دار الإمارة إلى جهة دار الضحاك بن قيس . وفي سنة ٤٦٩ هـ أصبحت قلعة أنشأها أتسز بن أوق الخوارزمي حاكم دمشق ، وتلاحقت الزيادات فيها أيام الملك العادل أخي صلاح الدين الأيوبي ، ثم هدمها وجعل لها اثني عشر برجاً ووزعت على أولاده وأمرائه وعمرت من أموالهم على هيئتها الحاضرة . تبلغ مساحتها ٣٣٠٠٠ م٢ وتقع في الزاوية الشمالية الغربية من سور دمشق القديم . (انظر قلعة دمشق لعبد القادر الريحاوي وخطط دمشق لصلاح الدين المنجد ص ٧٧ — ٧٩ والأعلاق الخطيرة — تاريخ دمشق ص ٣٧ — ٣٩ وإعلام الورى ص ٨٠ — ح ١ وولاة دمشق ص ٣٤ ونشرات دار الآثار بدمشق ، وأصبحت بعد ذلك سجناً مركزياً ، ثم نقل منها السجناء مؤخراً ، وشرعت مديرية الآثار في ترميمها وإزالة ما حولها من أسواق وأبنية منذ بضع سنوات .

(٣) هو القاضي الفاضل واسمه عبد الرحيم البيساني ، كان وزير صلاح الدين الأيوبي . ولد بعسقلان سنة ٥٢٩ هـ = ١١٣٥ م ومات بالقاهرة سنة ٥٩٦ هـ = ١٢٠٠م وكان من أئمة الكتاب . له تصانيف كثيرة . (النجوم الزاهرة ٦ / ١٥٦ ، خطط المقريزي ٢ /٣٦٦ ، حسن المحاضرة ١ / ٢٧٠ وفيات الأعيان ٣ / ١٥٨) .

(٤) هو أبو القاسم عبد الملك بن زيد بن ياسين الدولعي ، ولد بالدولعية سنة ٥٠٧ هـ ومات بدمشق وهو خطيبها ومدرسها في ١٢ ربيع الأول ٥٩٨ هـ . له تصانيف (طبقات الشافعية للسبكي ٤ / ٢٦١ ، معجم البلدان — الدولعية — مفرج الكروب ٢ / ٤٢١ وفيات الأعيان ٧ / ٢٠٣) .

ابنُ الزكي (١). ، وصلّى الناس عليه إرسالاً . وأُعيد إلى الدار التي في البستان التي كان فيها مريضاً . ودفن في الصُّفَّة الغربيّة ، ونقله ولده الأفضل نور الدين علي (٢) إلى تربته المجاورة للكلاّسة (٣) يوم عاشوراء سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، ومشى بين يدي التابوت ، وأراد العلماء حَمْلَه على رقابهم ، فقال الأفضل : إنه يكفيه دعاؤكم الصالح ، وأُخرج من باب البريد (٤) ، وصلّى عليه قدّام النَّسْر (٥) ، وتأسّف الناس عليه يوم موته ، حتى إن الفِرَنْجَ تأسَّفوا عليه لأنه يَصْدُقُهم إذا عاهدهم أو هادَنَهم .

---

(١) هو القاضي محيي الدين أبو المعالي ، محمد بن علي بن محمد ، فقيه دمشقي شافعي ، تولى قضاء دمشق سنة ٥٨٨ هـ وتولى قضاء حلب بعد ما فتحها صلاح الدين . ولد بدمشق سنة ٥٥٠ هـ وبها توفي سنة ٥٩٨ ودفن بسفح جبل قاسيون . (وفيات الأعيان ٤ / ٢٢٩ والنجوم الزاهرة ٦ / ١٨٦ ، الثغر البسام ٥٢ — ٥٥ والتاريخ المنصوري ص ٢٤ —ح ١ ووفاته فيه سنة ٥٩٧ هـ . ومفرج الكروب ٢١٨ — ٢٢٨) .

(٢) ذكره المصنف بين الولاة . انظر صفحة ٩٧ القادمة .

(٣) ذكر ابن واصل ، ج ٢ ، ص ٤٢٢ : أن الملك الأفضل أمر ببناء التربة ، عند مسجد القدم ، وتولى عمارتها بدر الدين مودود والي دمشق ، فاتفق وصول الملك العزيز تلك السنة للحصار ، وهم قد شرعوا في عمارتها ، فخرب ما كان قد ارتفع من البناية ، ثم استقرأ (اشترى) الملك الأفضل حدود الجامع ليجعل التربة فيها ، فوقف لدار كانت لبعض الصالحين وهي في حد البنيان الذي زاده القاضي الفاضل في المسجد ، فاشتراها منه وأمر بعمارتها في الروضتين ج٢ ، ص ٢٢٤ إضافة كلمة(قبة) وعمرت ، ونقل إليها السلطان يوم عاشوراء سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة بكرة الخميس .

(٤) ذكر ابن واصل في مفرج الكروب ج٢ ، ص ٤٢٣ : (وأخرج من باب القلعة في البلد على دار الحديث إلى باب البريد ، وأدخل منه إلى الجامع ووضع قدام (باب) هـ ، الكلمة أضيفت من الروضتين ، ج٢ ص ١٢٤ — النسر ، وصلى عليه القاضي محيي الدين بن الزكي .

(٥) يريد قبة النسر الموجودة في صحن الجامع الأموي .

[١٤٥آ] ولم يُخلِّفْ إلا سبعةً وأربعين درهماً ، وديناراً واحداً صُوريّاً/ ولم يُخلِّفْ مُلْكاً ولا عقَاراً .

هذا وفتَحَ الشامَ والجزيرة وغيرَها والقُدس والساحلَ جميعَه

وخلّفَ سبعةَ عشَرَ ولداً ذكَراً ، وابنةً صغيرةً .

وهو الذي خلع العاضِدَ (١) وقطع دعوتَهم وأعاد الدّعوة لبني العباس بالديار المصرية .

إلا أن نورَ الدين كان يكاتبه بالأمير الاسفهسلاّر (٢) صلاح الدين ، وكافةِ الأمراء بالديار المصرية ، ولا يُفرده بالمكاتبة .

وبعث أميرَ المؤمنين المستضيءُ (٣) من بَغداد إلى نور الدين وإلى صلاح الدين بالخِلَعِ الكاملة (٤) السُّود ، وخِلَعُ صلاحِ الدين أقلُّ

---

(١) تقدم ص ٢/٨٠ .

(٢) من ألقاب أصحاب أو أرباب السيوف ، وكان في الدولة الفاطمية لقباً على صاحب وظيفة صاحب الباب ، ومعناه مقدم العسكر ، وهو مركب من لفظين ، اسفه « بالفارسية » بمعنى مقدم ، و (سلار) (بالتركية) بمعنى العسكر ، وهو لقب يختص بأمراء الطبلخانات (صبح الأعشى ٣ / ٤٧٩) .

(٣) المستضيء بأمر الله اسمه الحسن بن يوسف بن محمد ، أبو محمد بن المستنجد بالله . ولد سنة ٥٣٦ ﻫ أمه أم ولد أرمنية ، اسمها غضة ، بويع بالخلافة يوم موت أبيه سنة ٥٦٦ ﻫ ومات سنة ٥٧٥ ﻫ (تاريخ الخلفاء ص ٤٤٤ وفوات الوفيات ١ / ٢٦٩ وخريدة القصر — قسم شعراء العراق ج ١ ص ٩ والبداية والنهاية ١٢ / ٢٦٢ والوافي ١٢ / ٣٠٩)

(٤) الخلع : جمع خلعة ، ثوب أو نحوه يمنحه السلطان أو الخليفة إلى أحد المقربين إليه عنواناً على رضاه ، وكانت الخلعة تشتمل عادة على جبة مطرزة وعمامة وطيلسان وسيف ، ومنح الخلع من التقاليد التي عرفت عن الخلفاء، يخلعون على وزرائهم بمناسبة توليهم العرش وعلى قضاة المذاهب الأربعة وغيرهم ورجال الأدب ، وكبار الضيفان بما يناسبهم (القاموس الإسلامي ج ٢ ص ٢٧٢) وانظر معجم الألبسة لدوزي .

مِنْ خِلَعِ نورِ الدين . وسيَّر إليه موفق الدين خالد بن القيسراني (١) ليحاسبه على الأموال ويطالبه بها .

قال أبو شامة – رحمه الله – في الروضتين : إنَّ الذي أسقطه صلاح الدين وسامح به لعدَّة سنين متقدمة آخرُها سنةُ أربعٍ وستين وخمسمائة، مبلغُه نَيِّفٌ عن ألفِ ألفِ دينار وألفي ألف إرْدَبّ .

ولما مَلَكَ الديارَ المصرية ، أسقط من مُكُوْسِها شيئاً حَمْلُه في كلّ سَنَةٍ مائة ألف دينار / وهو الذي عَمَّرَ قلعةَ الجبل (٢) ، وأدار السورَ على القاهرة ، ووصله بمصر .

[١٤٥ ب] / وكان يعطي في وقت الضيق كما يُعطي في وقت السَّعَةِ ،وكان نواب خزانته يُخْفُونَ عنه كثيراً من الأموال خوفاً من تفرقتها. وقال مرة : يمكن أن يكون من ينظر إلى المال كمن ينظر إلى التراب، كأنه أراد بذلك نفسه . ولم يقل يوماً : أَعْطَيْنا فلاناً ،ولا زِدْنا فُلاناً . وذكر القاضي (٣) في بعض رسائله أنه كان يريد كل يوم سبعة عشر ألف

---

(١) هو موفق الدين خالد بن محمد بن صغير القيسراني ، نسبة إلى قيسارية ، وهي بليدة بالشام، على الساحل . وكان كالوزير الملك العادل نور الدين . (مفرج الكروب ١ / ٢١٨ – ح ١ وعلق محققه أنه لم يعثر على ترجمة تؤكد مولده ووفاته) وانظر السلوك ج ١ ق ١ ص ٥١ – ٥٣ والوافي ج ١٣ ص ٢٨٢ وترجمته فيه مفصلة ، والعبر ٤ / ٢٦٦ وذكر الزركلي في الأعلام ٢ /٢٩٨ نقلا عن الوافي بالوفيات أن مولده كان بحلب . ووفاته بدمشق سنة ٥٨٨ ﻫ = ١١٩٢ م . وانظر أيضاً بغية الطلب ص ٢٨١ .

(٢) تقع هذه القلعة على قطعة من جبل المقطم وتشرف على القاهرة ومصر والنيل والقرافة ، وكان موضعها يعرف بقبة الهواء ، ثم صار من تحته ميدان ابن طولون ، ثم صار موضعها مقبرة فيها عدة مساجد إلى أن أنشأها السلطان صلاح الدين أول الملوك بديار مصر على يد الطواشي بهاء الدين قراقوش الأسدي في سنة ٥٧١ ﻫ وصارت بعد ذلك دار الملك بديار مصر إلى يومنا هذا (أيام المقريزي) . انظر خطط المقريزي ٢ / ٢٠١ – ٢٠٧ والنجوم الزاهرة ١٢ / ٧) .

(٣) أي القاضي الفاضل المتقدم الذكر .

دينار وكسور ، وحَسَبَ ما وهبه على مَرْج عكا (١) من الخيل ، فكان عشرة آلاف فرس .

ومن شجاعته أنه رابَط العدوُّ المدة المديدة بجمعٍ يتضاعف على جيشه عدده . وكان يشارف بنفسه تعبئةَ الصفوف ، ويخرق العساكر مَيْمَنَةً ومَيْسرةً ومعه غلام واحد لا غير ، ومعه جنيب (٢) ، ويقرأ عليه بين الصفّين جُزْءَ حديث .

وقال يوماً : في نفسي — إن يسّرَ الله لي فَتْحَ بقية الساحل — قسمتُ البلاد ، وأوصيتُ ، وودَّعتُ وركبتُ البحر إلى جزائره أتتبع الكفّار حتّى لا / يبقى على وجه الأرض من يكفر بالله ، أو أموت . [١٤٦آ]

ومدحه شعراءُ عصره ، وكان مُمَدَّحاً ، يجيز الشعراء ، بخلاف نور الدين — رحمه الله — فإنَّه قال فيه أسامةُ بن منقذٍ (٣) :

---

(١) المرج : المكان المتسع ، وعكا . أو (عكة) بلدة في فلسطين على ساحل البحر الأبيض المتوسط فتحها عمرو بن العاص سنة ١٥ هـ . قال الشماني في تاريخ صفد: بناها عبد الملك بن مروان . بينها وبين طبرية ٢٤ ميلا وكانت قاعدة هذا الساحل قبل صفد ، فلما خربت أقيمت صفد مقامها وصارت هي ولاية (المختار من صبح الأعشى ٥ / ١٠٤) . وهي مرفأ شمالي فلسطين إلى جوار خليج حيفا ، تقلبت عليها أحداث كبيرة وبخاصة زمن الحروب الصليبية ، ثم طواها النسيان بعد خرابها سنة ١٢٩١ م إلى أن أعاد بناءها فخر الدين المعني ، واستكمل تحصينها مجدداً في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي على يد أحمد باشا الجزار . (القلاع أيام الحروب الصليبية ص ٩٤ — ٩٥) .

(٢) الجنيب : الفرس

(٣) أسامة بن منقذ بن مرشد بن علي بن مقلد الكناني الكلبي الشيزري ، أبو المظفر ، مؤيد الدولة ، أمير . من أكابر بني منقذ أصحاب قلعة شيزر ، من علماء الأدب والتاريخ . ولد في شيزر سنة ٤٨٨ هـ = ١٠٩٥ م وتوفي بدمشق ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م (الوافي بالوفيات ٨ / ٣٧٨ ، وفيات الأعيان ١ / ١٩٥ ، مقدمة كتاب : من الاعتبار) .

سُلْطانُنا زاهدٌ والناسُ قد زَهِدوا
لهُ وكلٌّ عن الخيراتِ مُنْكَمِشُ (١)

أيامُهُ مثلُ شهرِ الصومِ طاهرةٌ
من المعاصي وفيها الجوعُ والعطشُ

ورثاه ابنُ الساعاتي بقصيدةٍ طَنّانَةَ كتبها لابنه العزيز(٢) :

لئن كان ليلُ الحزن عَمّتْ غَياهِبُهْ
فقد نابَ عن بَدْرِ التّمام كَواكِبُهْ

ومنها :

هوى جَبَلُ الدين الحنيف وزُعزِعَتْ
بِريْحِ المنايا العاصفاتِ مَناكِبُهْ

وأغمد سيف الله من كلِّ مارقٍ
وسيم وكانت مُحْرِماتٍ قواضِبُهْ

وما ابْتَسَمَ البرقُ السماويُّ بعده
ولكنّه حَلّتْ عليه ذَوائِبُهْ

وما اهتزّ عِطْفُ الدهرِ إلا كآبةً
غَداةَ ثَوى عنه أخوه وصاحِبُهْ

---

(١) البيتان في معجم الأدباء ٥ / ٢٠٤ ورواية الأول فيه : . . . . . فكل على الخيرات منكمش .

(٢) ابن الساعاتي : شاعر مشهور . تقدم التعريف به ص ٦١/١٠ .

ومنها :

ولم يكُ فينا يوسفٌ غيرَ يوسفٍ
لِكَفِّ زمانٍ موبقاتٍ مَشاغبُهْ

عَجِبْتُ له لم تُغْنِه سَطَواتُهُ
ولم تُثْنِه آراؤه وتجاربُهْ

[١٤٦ ب] / ويغتالُه المِقْدارُ لا هو دافعٌ
بَوادِرَه عنه ولا ذاكَ هائبُهْ

وقيل : إنه كان بحماة فكتب إلى أخيه العادل (١) :

ولما جرى العاصي وَطَيَّع أَدْمُعي
لِبُعْدِكَ قال الناسُ أَيُّهما النهرُ

وكان القاضي الفاضل (٢) حاضراً فقال :

ولما بدا وَجْهُ ابنِ أَيُّوبَ مُشْرِقاً
مَعَ البَدْرِ قال الناس أَيُّهما البدرُ

ونُقِش على صندوق قبره من كلام القاضي الفاضل : اللهم فارْضَ عن تلك الروح ، وافتح له أبواب الجنة ، فهي آخر ما كان يرجوه من الفتوح .

* * *

---

(١) ذكره المصنف . انظر الصفحة ١٠٣ القادمة .

(٢) تقدم التعريف به ص ٨٦/٢ .

(الأمير شَمْسُ الدين محمدُ بنُ المُقَدَّم)

وابنُ المُقَدَّمِ الذي بِها وَلِي
نِيابةً عَنْهُ فَصَدِّقْ مِقْوَلي

الأمير شمسُ الدين محمدُ بن عبد الملك بن المقدّم (١)

كان من كبار أمراء الدولتين النُّوريّة والصلاحيّة (٢) . وهو الذي سلّم سِنْجار (٣) لنور الدين ، وسكَن دمشق . ولما توفي نور الدين كان أحَدَ من قام بسلطنة ولده الصالح ، ثم إن صلاح الدين أعطاه بَعْلَبَكّ ، ثم أنه عصى عليه ، فجاء اليه وحاصره ثم أعطاه بعضَ القِلاع عِوَضاً عنها (٤) . ثم إنه استنابه على دمشق .

[١٤٧ آ] / وكان بطلاً شجاعاً ، حضر وقعةَ حِطِّيْنَ (٥) وعكّا والقدس والسواحل ، وتوجّه إلى الحج . فلما بلغ عرفاتٍ ضرب الكُوْسات (٦) ،

---

(١) ترجمته في مفرج الكروب ٢ / ٢٥٠ والروضتين ٢ / ١٢٣ والبداية والنهاية ١٢ / ٣٢٩ والشذرات ٢ / ٢٧٦ .

(٢) النورية . نسبة إلى نور الدين زنكي،والصلاحية : نسبة إلى صلاح الدين الأيوبي.

(٣) سنجار : مدينة على شاطيء نهر الفرات ، في طرف بلاد الروم ، غربي الفرات ، لها قلعة كان ملكها أيام ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ الملك الأفضل علي ، الآتي ذكره بعد قليل . (معجم البلدان ٣ / ٢٦٢) وهي اليوم مركز قضاء سنجار في لواء الموصل . وقال القلقشندي : هي مدينة من ديار ربيعة من الجزيرة (الفراتية) جنوب نصيبين (التركية) (المختار من صبح الأعشى ٥ / ١٧١) .

(٤) القلاع التي أعطاها صلاح الدين لابن المقدم هذا هي : (بارين ، كفرطاب) مفرج الكروب ٢ / ٧١

(٥) حطين قرية بفلسطين بين ارسوف وقيسارية ، بها قبر شعيب عليه السلام وقعت فيها معركة شهيرة بين صلاح الدين الأيوبي وملوك الأفرنج في منتصف ربيع الآخر سنة ٥٨٣ هـ وكانت سبباً لاستعادة بلاد الساحل من يد الصليبيين (معجم البلدان) وتبعد عن مدينة طبريا نحو ٩ كم غرباً . دمرها اليهود وأقاموا مكانها مستعمرات . (معجم بلدان فلسطين : ٢٩٥) .

(٦) الكوسات : صنوج من نحاس تشبه الترس الصغير ، يدق بأحدها على الآخر بايقاع مخصوص . (صبح الأعشى ج ٤ ص ٩) .

ورفع عَلَمَ صلاحِ الدين ، وكان أميرَ الركبِ العراقي طاستكين (١) فأنكر ذلك عليه . واقتتلوا ، فجاءه سهمٌ في عينه فخرَّ صريعاً ، وحمله طاستكين ، وخاطَ جُرْحه . فتوفي من الغد يعني سنة أربع وثمانين وخمسمائة (٢) .

ولما بلغ السلطانَ خبره بكى عليه وتأسّف له .

وله الدّار الكبيرة التي داخل باب الفَراديس (٣) وإلى جانبها المدرسة المُقَدَّمِيَّة (٤) ، ثم إنّ الدار صارت لصاحب حماة ، ثم صارت لِقَراسُنْقُره ،وهي الآن بيد أولاده . وله تربةُ ومسجدٌ وخان، وكل ذلك داخلَ بابِ الفراديس .

* * *

---

(١) طاستكين : هو الأمير الكبير مجد الدين ، أبو سعيد المستنجدي.مات سنة ٦٠٠ هـ بتستر ، وهي بلدة في الأهواز . تولى إمرة مركب العراق أيام المستضيء بالله سنين عديدة . (الوافي ١٦ / ٣٨٥ ، النجوم ٦ / ١٩٠ ، الشذرات ٥ / ٨ . مرآة الزمان ٨ / ٥٢٧ ، عوات الوفيات ٢ / ١٢٩ ، البداية والنهاية ١٣ / ٤٥) .

(٢) وفاته في الروضتين ٢ / ١٢٣ سنة ٥٨٣ يوم عرفة .

(٣) أحد أبواب دمشق القديمة ، على الحائط الشمالي للسور . لايزال قائماً .

(٤) في دمشق مدرستان بهذا الاسم : الأولى هي المقدمية البرانية أوقفها الأمير الغازي المجاهد يونس بن يوسف بن المقدم سنة ٦١٨ هـ ، ولما توفي دفن فيها ، ولا أثر لها اليوم . والثانية ، هي المدرسة المقدمية الجوانية ، داخل باب الفراديس الذي يقع على الجدار الشمالي لسور دمشق أوقفها هذا الأمير شمس الدين محمد بن المقدم ، صاحب هذه الترجمة ومع بداية القرن الخامس عشر الهجري تلاشت هذه المدرسة نهائياً وأقيم محلها (مقام السيدة رقية) الذي لايزال قائماً ، ويجري توسيعه اليوم توسعة كبيرة (انظر خطط دمشق لأكرم العلبي ص ٢١٩ — ٢٢١ ، ومدارس دمشق للشيمساني ص ٨٢ والدارس ١ / ٥٩٤ والأعلاق — تاريخ دمشق ص ٢١١) .

(٥) الجوكنداري الجركسي المنصوري القلاووني ، ولي نيابة حلب ، وتوفي في مراغة سنة ٧٢٨ هـ . (الدرر الكامنة ٣ / ٢٤٦ ، خطط المقريزي ٢ / ٣٨٨ — المدرسة القراسنقرية) .

(توران شاه بن أيوب)

وناب تورانُ شاه عن أخيه
بها وكانَ في العُلى يَليه
وذاك بعد أن أتى من اليَمنْ
وتَركَ المالَ به وما افتَتَنْ

الملكُ المعظّمُ شمسُ الدولة توران شاه بنُ أيوب ، أخو السلطان صلاح الدين (١) .

كان يُلَقّبْ فَخْرَ الدين ، ثم لُقّب / سَيْفَ الدين ، وكان أسنّ من صلاح الدين ، وكان يُرَجّحُهُ على نفسه وسيّره إلى النوبة (٢) سنةَ ثمانٍ وستين وخمسمائة ففتحها ولم يَرَها تُساوي التعب ، ورجع منها بغنائم ورَقيقٍ كثير . ثم جهزّه بعد ذلك إلى اليمن ، وبها عبد النبي بن مهدي (٣) قد استولى على أكثر اليمن ، فقَدِمَها وظفَرَ بعبد النبي وقتله ومَلَكَ مُعْظَمَ اليمن . [١٤٧ ب]

(١) ترجمته في وفيات الأعيان ١ / ٣٠٦ والوافي ١٠ / ٤٤١ وخطط المقريزي ٢ / ٣٧ ومرآة الزمان ٨ / ٣٦٢ والكامل ١١ / ٤٦٨ وطبقات الشافعية للسبكي ٥ / ٥٢ ومفرج الكروب ٢ / ٤٨ والشذرات ١ / ٤٢٥ .

(٢) بلاد واسعة جنوب مصر .

(٣) هو عبد النبي بن المهدي بن علي بن مهدي الحميري ، صاحب زبيد ، وليها استقلالا بعد موت أخيه المهدي سنة ٥٥٩ هـ ، قاتل ملوك اليمن ، واجتمع له ملك الجبال والتهائم (جمع تهامة وهي ما انخفض من الأرض) ، قبض عليه صاحب صنعاء ، وقتله سنة ٥٧٠هـ = ١١٧٤م وفي مفرج الكروب أن توران شاه هو الذي قتله (الأعلام ٤ / ٣٢٠) وهذا ما ذكر هنا أيضاً .

وكان سَمْحاً جَواداً ، ثم إنه كَرِهَ مُقام اليمن فتركها ووصل إلى دمشق سنة إحدى وسبعين وخمسمائة أو في آخرها وقد مهّد اليمن ، ولما قَدِمَ على أخيه السلطان صلاح الدين استنابه على دمشق لما رجع إلى مصر وكان قد ملّكَهُ بَعْلَبَكَّ ، ثم عوّضه أخوه عنها بالإسكندرية إقطاعاً ، فذهب إليها وتوفي بها سنة ست وسبعين وخمسمائة في صفر ، ونقلته بعد ذلك أختُه ستُّ الشام(١) إلى دمشق ودفنته في مدرستها المعروفة بها في دمشق (٢) .

وكانت اليمن أكثرها له ، وله بها نواب يحملون إليه الأموال من زَبيد (٣) وعَدَن (٤) ، وما بينهما .

[١٤٨ آ] وبعد هذا مات وعليه ديون / نحو مائتي ألف دينار ، فوفاها أخوه صلاح الدين عنه ، لأنه كان سمحاً جواداً ، مُكِبّاً على اللهو واللعب . وكان فيه شرٌ وظلم .

---

(١) ست الشام : هي زمرد خاتون بنت أيوب ، بنت مدرسة بظاهر دمشق سميت باسمها ، فيها قبرها وقبر أخيها توران شاه وزوجها ناصر الدين بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص (ترجمتها في وفيات الأعيان ٣ / ٢٤٤ والوافي بالوفيات ١٥ / ١١٩ وترويح القلوب ٦٤ والدارس ١ / ٣١٦ ومفرج الكروب ٣ / ٦٣ – ح ٣ والبداية والنهاية ١٣ / ٨٤ والشذرات ٥ / ٦٧) .

(٢) قال صاحب الروضتين ج ٢ ص ١٩ : وقبر توران شاه الآن في التربة الحسامية بالعونية . ظاهر دمشق ، نقلته إليه أخته ست الشام بنت أيوب عام ٦١٦ هـ . وانظر وفيات الأعيان ٣ / ٢٤٥ .

(٣) زبيد : مدينة في اليمن أحدثت أيام المأمون ، بإزائها ساحل المندب (معجم البلدان ٣ / ١٣١) وهي اليوم مركز قضاء زبيد في جمهورية اليمن – وهي قريبة من البحر الأحمر على الطريق الواصلة عدن بمكة المكرمة .

(٤) مدينة مشهورة ومرفأ على ساحل بحر العرب ، في اليمن ، كانت عاصمة جمهورية اليمن الديمقراطية ، وجاء في الروض المعطار أن أول من نزلها عدن بن سبأ فعرفت به (المختار من صبح الأعشى ٥ / ٣١١) .

وقال مهذّب الدين محمد بن علي الخيمي : رأيت في النوم شمسَ الدولة توران شاه بعد موته فمدحتُه بأبياتٍ ، وهو في القبر فلَفَّ كَفَنَهُ ورمى به إليّ وقال :

لا تَستقلَّــنَّ مَعْروفــاً سَــمَحْتُ بــهِ
مَيْتــاً فأصبحتُ منــه عــاريَ البَــدَنِ

ولا تَظُنَّــنَّ جُــودي شــابَه بَخَــلٌ
مِــنْ بَعْدِ بَــذْلـيَ مُلْكَ الشــامِ واليمــنِ

إني خرجــتُ مِــن الدنيــا ولــيس معــي
مِــنْ كــلِّ ما ملكــتْ كَفِّــي سِــوى كَفَنِي

* * *

أيامُ الأفضــلِ عَــليٍّ

ثــم تَوَلاّهـــا عــليٌّ الأَفْضَــــلُ
وهــو امــرؤٌ فــي ذاتِــهِ مُكَمَّــلُ

شــارك فــي عــلــمٍ كثــيرٍ وأدبْ
وشِــعْــرُهُ كالــدُّرِّ فــي تــاجِ الذَّهَــبْ

لكــنَّ سَــيْــفَ الحــظِّ منــه نــابِ
فــأدركتْــــهُ حِــرْفَــــةُ الآدابِ

لما توفيّ السلطانُ صلاحُ الدين – رحمه اللهُ تعالى – كان قد فرَّق

المماليكَ على أولاده فجعل دمشقَ وأعمالَها للملك الأفضل نورِ الدين(١) علي . والديارَ المِصرية لولده العزيز عثمان(٢) /،وحلَبَ وأعمالَها [١٤٨ ب] لولده الظاهر غازي(٣). وحرّانَ والرُّها(٤) وكلَّ ما هو شرقيُّ الفُرات لأخيه الملك العادل (٥) . وحماةَ والمعرّةَ وسَلَمْية ومَنْبِجَ وقلعةَ نَجْمٍ (٦) لناصر الدين محمد بن عمر بن شاهنشاه (٧) . وبَعْلَبَكَّ وأعمالَها لمجاهد الدين شيركوه .

---

(١) ترجمته في الروضتين ٢ / ٢٢٤ ومفرج الكروب ٢ / ١٧٧ وترويح القلوب ص ٩ ووفيات الأعيان ١ / ٥٢٨ والكامل ١٢ / ٤٢٨ . وانظر أيضاً الكامل ١٢ / ٩٧ .

(٢) هو السلطان عماد الدين ، أبو الفتح عثمان ، بويع بالسلطنة بعد أبيه الملك الناصر صلاح الدين سنة ٥٨٩ هـ ومات بمصر سنة ٥٩٥ هـ ، وكانت ولادته سنة ٥٦٧ هـ . (وفيات الأعيان ٣ / ٢٥١ وخطط المقريزي ٢ / ٢٣٥) .

(٣) من ملوك الدولة الأيوبية . ولد بالقاهرة سنة ٥٦٨ هـ = ١١٧٣ م ومات بحلب سنة ٦١٣ هـ = ١٢١٦ م ، ودفن في قلعتها . (الأعلام ٥ / ٣٠٢ وشذرات الذهب ٥ / ٥٥)

(٤) حران : تقدم التعريف بها ١٩٣/١ . والرها تقدم التعريف بها ٧٣/٢ .

(٥) ذكره المصنف . انظر صفحة ١٠٣ القادمة .

(٦) المعرة : تقدم التعريف بها ٢ / ٧٣ . وسلمية : بليدة في ناحية البر ، من أعمال حماة ، بينهما مسيرة يومين ، وكانت تعد من أعمال حمص أحياناً (معجم البلدان ٣ / ٢٤٠) وقال القلقشندي : بلد من عمل حمص بناها عبد الله بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ابن عبد المطلب ، وأسكن بها ولده ، وهي على طرف البادية ، نزهة ، كثيرة المياه والشجر ، ومياهها من قني ، بينها وبين حمص مرحلة . (المختار من صبح الأعشى ٥ / ٤٥) . وهي اليوم مركز منطقة سلمية ، من محافظة حماة ، وتقع في شرقها إلى الجنوب قليلا ، تبعد عن حماة ٣٤ كم وعن حمص ٣٧ كم (جدول المسافات القطر العربي السوري ص ٧٢) .

وقلعة نجم: قلعة حصينة مطلة على الفرات،على جبل،تحتها ربض عامر ، وعندها جسر تعبر عليه القوافل من حران إلى الشام ، وهو المعروف بجسر منبج ، بينها وبين منبج أربعة فراسخ (معجم البلدان ٤ / ٣٩١) وفي (المختار من صبح الأعشى ٥ / ٨٠) أنها من بناء السلطان محمود بن زنكي ، ونقل عن (التعريف) أنها من جملة بناء المأمون .

(٧) يلقب بالملك المنصور . توفي بحماة سنة ٦١٧ هـ (السلوك ١ / ١ / ٢٠٥ ، التكملة ٣ / ٣٠ ، سير أعلام النبلاء ١٣ / ١٥٤ وذيل الروضتين ١٢٤) وقال ابن الأثير في الكامل ١٢ / ٩٧ : « كان ولده غازي بحلب فاستولى عليها وعلى جميع أعمالها مثل حارم=

وكان العادل عند وفاته بالكَرَك (١) وهي له فتوحه .

وكان مولدُ الأفضل عليٍّ يومَ الفطر سنة خمس وستين وخمسمائة بالقاهرة . وتوفي فجأة بِسُمَيْساط(٢) سنة اثنتين وعشرين وستمائة . واستقلَّ بالسَّلْطَنَة بدمشقَ يومَ ماتَ والدُه ، ثم جرت له ولأخيه العزيز عثمان حروبٌ وفتنٌ (٣) ، ثم إن عمَّه العادلَ وأخاه العزيزَ عثمانَ اتفقا عليه وقَصَداه إلى دمشق وحارَباه وأخذاها منه ، فالتجأ إلى صَرْخَد (٤) . وأقام بها قليلاً فمات أخوه العزيز . وأقاموا ولده

= وتل باشر واعزاز وبرزية ودرب ساك ومنبج وغير ذلك . وفي الجزء ١٢ ص٩٨: وكان بحماة محمود بن تقي الدين عمر فأطاعه وصار معه ، وكان بحمص شيركوه بن محمد ابن شيركوه فأطاع الملك الأفضل . . . » .

(١) مدينة في جنوب الأردن ، وفيها قلعة حصينة قريبة إلى الشوبك (معجم البلدان ٤ / ٤٥) وقال صاحب تقويم البلدان : هي مدينة محدثة كانت ديراً تديره الرهبان ، ثم كثروا فكبروا بناءه ، وأوى إليهم من يجاورهم من النصارى ، فقامت الأسواق ، ثم دخله الفرنج وأداروا أسواره فصارت مدينة عظيمة ، ثم بنوا قلعة حصينة ، وبقي الفرنج فيها حتى فتحها السلطان صلاح الدين بن أيوب على يد أخيه العادل أبي بكر . وقال البلاذري في فتوح البلدان ، وكانت مدينة هذه الكورة في القديم الفرندل (المختار من صبح الأعشى ٥ / ١١٠) . واسمها باليونانية (كراكموبا) وباللاتينية (كراك دومنتريال أو بيترا ديزرتي) و (سيفيتاس بيترّاسنس) وهي مدينة وقلعة في جنوب الأردن على بعد عشرة أميال تقريباً إلى الشرق من الطرف الجنوبي لبحر الميت (القلاع أيام الحروب الصليبية ص ٥٥) .

(٢) سميساط : مدينة على شاطىء نهر الفرات ، في طرف بلاد الروم ، غربي الفرات ، لها قلعة (معجم البلدان ٣ / ٢٥٨) . وهي سموساطا عند الروم . وكانت تعرف بقلعة الطين (بلدان الخلافة الشرقية ص١٤٠ومروج الذهب١/١١٨)وهي جنوب الجمهورية التركية.

(٣) انظر مفرج الكروب ٣ / ١٠ ، ١٤ ، ١٥ .

(٤) صرخد : بلد ملاصق لبلاد حوران ، وهي قلعة حصينة وولاية حسنة ، ينسب إليها الخمر (معجم البلدان ٣ / ٤٠١ والمختار من صبح الأعشى ٥ / ٣٤) . وهي اليوم بلدة في محافظة السويداء في جنوب القطر العربي السوري ، ومركز منطقة يقال لها صلخد ، جنوب السويداء إلى الشرق قليلا ، تبعد عنها ٣٠ كم وعن دمشق ١٣٧ كم . ومن أجل الأحداث بين العادل والأفضل وأخذ العادل دمشق انظر الكامل ١٢ / ١٢١ – ١٢٧ .

محمداً وهو صبي ، فطلبوا له الأفضل ليكون أتابكَهُ (١) . فَقَدِمَ ومشى في ركاب ابنِ أخيه (٢) .

ثم إن العادلَ عَمِلَ على الأفضل وقَصَدَهُ في مصرَ وأخذها ، لأنَّ عساكرَه كانت مُفرَّقة في الربيع وأعطاه / الأفضل ميّافارِقين (٣) [١٤٩ آ] وسُمَيْساطَ . فاستنجد بأخيه الظّاهر غازي ، وسار إلى دمشق ، وأشرف على أخْذِها . فجرت بينهما منازَعةٌ بتدبير العادل آلت إلى الرحيل عنها (٤) . ولما توفي الظّاهر استنجد الأفضلُ بكيكاوس السلجوقي (٥) سلطانِ الرومِ فقصدا دمشقَ سنةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وستّمائةٍ ، فلما أخذ الرّومي تل باشِر (٦) ومَنْبِجَ لم يُعْطِ الأفضلَ منهما شيئاً ، انثنى عنه في الباطن ، وكان الأشرف بِحلَبَ مقيماً لنصرة

---

(١) الأتابك : كلمة تركية مركبة من (أتا) بمعنى الأب و (بك) بمعنى السيد . وهو لقب سلجوقي لأكبر أمراء الجيش (ذيل المعاجم العربية ١ / ٨٠) وانظر دائرة المعارف الإسلامية .

(٢) انظر تفاصيل ذلك في الكامل ١٢ / ١٤١ .

(٣) ميافارقين : عدها القلقشندي من مدن الجزيرة الفراتية . وقال ابن سعيد : هي قاعدة ديار بكر ، وقال ابن حوقل : هي بين الجزيرة وإرمينية (المختار من صبح الأعشى ٥ / ١٦٨) . وهي مدينة في الجمهورية التركية ، والظاهر أن (ميافارقين) تحريف لاسمها (ميفركت) الآرامي ، أو (موفركن) الأرمني ، وسماها اليونان (مريتروبولس) أو مدينة الشهداء ، (المختار من معجم البلدان ج ٣ ق ٢ ص ٣٦٦ — ح ١) .

(٤) انظر التفصيل في الكامل ج ١٢ ص ١٤١ ، ١٤٢ .

(٥) يلقب بعز الدين ، تولى بعد أخيه الملك علاء الدين كيقباذ . وتوفي سنة ٦١٧ هـ (التاريخ المنصوري ٧٩ — ٨٠) . وفي الكامل ١٢ / ٣٤٧ (عز الدين كيكاوس بن كيخسرو ملك الروم) .

(٦) تل باشر : قلعة حصينة ، وكورة واسعة في شمالي حلب ، بينهما يومان ، وأهلها نصارى أرمن ، ولها ربض وسوق ، وهي عامرة آهلة (المختار من معجم البلدان ٣ / ٢١٦) وتسمى أيضاً تل باجر تتبع منطقة جرابلس بين حلب وعينتاب ، على نهر الساجور (الدر المنتخب لابن الشحنة ١٦٩) .

العزيز ، فخرج بعساكر حَلَبَ للقاء الرومي (١) ، ووقعت العُرْبانُ على بعض عساكر الرومي فاستباحوهم أسراً وقَتْلاً . وعَلِمَ الروميُّ بانثناء الأفضل عنه ، فولّى هارباً(٢) وبقي الأفضلُ بعد ذلك بِسُمَيْساطَ إلى أن توفي . وحُمل إلى حلب ودُفن فيها

وكان صحيحَ العقيدةِ ،عنده علمٌ وأدب ،يحبُّ العلماءَ ويحترمُهم، وله مع أبيه مَشاهدُ في الجهاد معروفة . وآثار جميلة ، ووقف أوقافاً جليلةً على قُبّةِ الصَّخْرة (٣) ولشعراء عصره فيه أمداحٌ ، ومن ذلك قولُ ابنِ سَناءِ المُلك (٤) :

[١٤٩ ب]

/ مَلِكٌ اسمُــه عـــليٌّ ولكن كيــدهُ في حروبــه كيدُ عَمْرِو (٥)

لـيس يَنْفَــكُّ بـين فَتْـكٍ وفَتْـحٍ حِـيْنَ يَختــالُ بـين نَصْـلٍ ونَصْـرِ

---

(١) أي كيكاوس ملك الروم .

(٢) من أجل الأحداث المتعلقة بعلاقة كيكاوس مع الأفضل ، انظر الكامل ج ١٢ ، ص ٣٤٧ -

(٣) قبة الصخرة : هي القبة التي بدأ بناءها عبد الملك بن مروان عام ٦٦ هـ فوق صخرة الإسراء والمعراج وراء المسجد الأقصى ، في القدس . (انظر تاريخ قبة الصخرة لعارف العارف ، وقبة الصخرة لأحمد فكري ، وبخاصة مقالته في مجلة (عالم الفكر) - المجلد ١١ لعام ١٩٨٠ ، وتاريخ الطبري ، والعقد الفريد ٢ / ٤٣ ومروج الذهب ٣ / ٦ وتاريخ اليعقوبي ج ٣ ومعجم البلدان) .

(٤) ابن سناء الملك : هو هبة الله بن جعفر بن سناء الملك بن عبد الله ، أبو القاسم : شاعر ، من النبلاء ، كتب في ديوان الإنشاء بمصر مدة . وولد فيها سنة ٥٤٥ هـ = ١١٥٠ م ، وبها توفي سنة ٦٠٨ هـ = ١٢١٢ م ، له ديوان موشحات نشره الدكتور جودة الركابي . (انظر معجم الأدباء ١٩ / ٢٦٥ وخريدة القصر - قسم شعراء مصر ج ١ ص ٦٤ وحسن المحاضرة ١ / ٢٣٢ ووفيات الأعيان ٦ / ٦١ والشذرات ٥ / ٣٥ ،والأعلام ٩ / ٥٧) .

(٥) لعله يريد عمرو بن العاص الذي كان أحد الدهاة .

وَجْهُـهُ البـدرُ فـي الحـروب فـلا تَعْـ
جب إذا كـان ينومُه يومَ بَدْرِ (١)

وقال لمّا حاربه عمه العادلُ أبو بكر :

ذي سُنـّةٌ بين الأنـام قديمـةٌ
أبـداً أبـو بكـرٍ يجـور عـلى عَـلِي

وكتب إلى الإمام النّاصر (٢) وقد حاربه أخوه عثمان وعمُّه أبو بكر العادل :

مَـوْلايَ إنَّ أبـا بكـرٍ وصـاحبَـهُ
عثمان قـد غصبا بالسيف حـقّ علي (٣)

وهُـوَ الـذي كـانَ قَـدْ وَلاَّه والـدُهُ
عليهمـا واسـتقـام الأمـر حـين وَلِـيْ

فخـالفـاه وحَـلاَّ عِـقْـدَ بَيْعَتِـهِ
والأمـر بينهمـا والنّـصُّ فيـه جَـلِـيْ

فانظـرْ إلى حَـظِّ هـذا الاسمِ كيفَ لَقِـيْ
مـن الأواخِـرِ مـا لا قـى مـن الأُوَلِ

---

(١) إشارة إلى غزوة بدر التي كان النصر حليف المسلمين ، والهزيمة للمشركين .

(٢) هو الخليفة الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء بأمر الله الحسن بن المستنجد ، أبو العباس ، أمه أم ولد يقال لها زمرد ، وقيل : نرجس . بويع بالخلافة سنة ٥٧٥ هـ ، ودامت خلافته ٣٦ سنة و ١١ شهر إلا يومين ، وولد سنة ٥٥٣ هـ = ١١٥٨ م ، وتوفي سنة ٦٢٢ هـ = ١٢٢٥ م (السلوك ١ / ١ / ٢١٧ والأعلام ١٠/١ / ١١٠) . وانظر مفرج الكروب : ٦٩٣/٣ .

(٣) في مفرج الكروب . . . . عثمان قد أخذا بالسيف إرث علي .

فكتب الإمام الناصر جوابَه :

وافَى كتابُك يا بْنَ يُوسُفَ مُعْلِنـاً
بالحق (١) يُخبرُ أن أصلَك طاهِـرُ

غصبوا عَلِيّاً حَقّه إذْ لم يكن
بعد النبي له بيَثْرِبَ ناصِرُ

فاصبرْ فإنّ غداً (علَيّ)(٢) جزاؤهم
وابشر فناصرُك . الإمامُ الناصرُ

/ وأجاب الرومي (٣) أيضاً : [١٥٠آ]

اصبرْ فناصرُ دينَ الله يَبْعَثُها
شَعْواء تنُسي لَظى صِفّيْنَ والجَمَلِ

وابشرْ فأَحْمَدُ مِنْ خَصْمَيكَ مُنْتَصِرٌ
لله فاغْنَ عن التفصيلِ والجُمَلِ

* * *

أيامُ العادل أبي بكر

ثم تولاّها المليكُ العادلُ
ولم يكن له فيها مُعادِلُ

(١) في مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٦٩ . « بالصدق » .
(٢) في مفرج الكروب : « عليه » .
(٣) الرومي المراد هو كيكاوس السلجوقي ، سلطان الروم ، المتقدم الذكر . وفي الأصل المخطوط : « ابن الرومي » تصحيف . إذ إنّ الشاعر ابن الرومي (علي بن العباس) ولد سنة ٢٢١ هـ وتوفي سنة ٢٨٣ هـ .

ثم استمر الملك في بنيه
في خامل منهم وفي نبيه

الملكُ العادلُ ، سيفُ الدين ، أبو بكر محمدُ بنُ أيّوب ، أحدُ إخوة السلطان صلاح الدين (١) .

كان يُلازمُ صلاحَ الدين دون إخوته ، وصلاحُ الدين يُحبُّه . وكان مَوْلدُه ببَعْلَبَكَّ سنة أربع وثلاثين وهو أصغر من صلاح الدين بسنتين . وقيل : مولدُه سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة . وقيل : ولد سنة أربعين ؛ واشتهر بكنيته ونشأ في خلعة نور الدين مع أبيه ، وحضر مع أخيه في جميع فتوحاته وملك من الكَرْخِ (٢) إلى قريب هَمَذان(٣) والشامَ والجزيرةَ ومصرَ واليمنَ .

[١٥٠ ب] وكان حسنَ التدبير حليماً صفوحاً مجاهداً عفيفاً / متصدّقاً ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، طهّر جميع ولاياته من الخمر والخواطىء والمكُوس والمَظالم . كذا قال أبو المظفرِ ابنُ الجَوْزي (٤) .

---

(١) ترجمته في خطط المقريزي ٢ / ٢٣٥ وذيل الروضتين ١١١ ومفرج الكروب ٣ / ٦٧ والكامل ١٢ / ٣٥٠ والبداية والنهاية ١٣ / ٧٦ وبدائع الزهور ١ / ١ / ٢٦٨ .

(٢) الكرخ : تقع بغداد على جانبي نهر دجلة ، والجانب الغربي منها يسمى الكرخ ، وبه سكن أبو جعفر المنصور ، والجانب الشرقي بناه المهدي بن المنصور وسكنه فسماه (عسكر المهدي) (المختار من صبح الأعشى ٥ / ١٨٤) .

(٣) همذان : مدينة في إيران ، في الجهة الشمالية الشرقية على خط عرض شمالا ٣٤° – ١٨° تقريباً ،وعلى خط طول شرقاً ٤٨° – ٤٠° تقريباً وهي مدينة (أكيتان) القديمة . انظر مراصد الاطلاع ٣ / ١٤٦٤ . وهي غرب الري وغرب أصفهان إلى الشمال قليلا ، جنوب غربي طهران العاصمة فيها قبر ابن سينا .

(٤) أي في كتابه (مرآة الزمان) .

قال شيخنا الذهبي (١) ، والعُهْدَةُ عليه في هذه المُجازفة : وكَفَّن في غَلاء مصر ثلاثمائة نَفْسٍ . وكان له ميلٌ إلى العلماء ، وصنَّف له الإمام فخر الدينَ كتاب « تأسيس التقديس » (٢) وجهزَّه إليه من خُراسان ، فأجازه عليه بألف دينار

ولما قسّم المُلْكَ بين أولاده كان يُصَيِّفُ بالشام ويُشَتِّي بمصر :

وكان يأكل عندما ينام رضيعاً (٣) ، ورِطْلاً بالدمشقي من خبيصٍ (٤) وسكَّر . وكان قليل الأمراض ، وكان نكّاحاً غيوراً لايدخل إلى داره طواشياً (٥) إلا قبل البلوغ ، وكان عفيفاً لا يعْرف غير حَلائِله (٦) .

سَلْطَنَ أولادَه الذكورَ ، وزوَّج بناتِه بملوكِ الأطراف،وكان له سبعة عشر ولداً ذكراً ، وكان له عدَّة بنات .

وتوفي في سابع جُمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة بِعَالِقين (٧) قريباً من دمشق .

---

(١) للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي مصنفات كثيرة منها في التاريخ (دول الإسلام) و (تاريخ الإسلام) وفي التراجم (سير أعلام النبلاء) وغيرها

(٢) هو فخر الدين محمد بن عمر الرازي ، الإمام ، المفسر ، أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل . أصله من طبرستان ومولده في الري سنة ٥٤٤ هـ ونسبته (الرازي) وإليها . رحل إلى خوارزم وخراسان وغيرهما وتوفي في هراة سنة ٦٠٦ هـ . له مصنفات جمة منها رسالة بعنوان (تأسيس التقديس) في التوحيد مطبوعة بعنوان (أساس التقديس) (معجم المطبوعات ١ / ١٩١٦ وانظر كشف الظنون ١ / ٣٣٣ والأعلام ٧ / ٢٠٣) .

(٣) لعله يريد خروفاً رضيعاً .

(٤) الخبيص : ضرب من الحلوى .

(٥) الأصل : « طواش » والطواشي : من قطعت خصيتاه .

(٦) الحلائل : جمع (حليلة) وهي الزوجة .

(٧) عالقين : قرية بظاهر دمشق (الأعلاق الخطيرة — تاريخ دمشق ص ٣٥٨ — ح ٢)

[١٥٠١ آ] ولما مات أخوه صلاح الدين واستقر بعده المُلْكُ لولده / الأفضل ، قصده العزيز عثمان . والظّاهر غازي صاحبُ حلب، فلم يزل عمّهم العادل حتى أصلح بينهم (١) ، وعاد كلٌّ إلى مكانه .

ثم إنّ العزيز عاد وقصد دمشق ووصل إلى الصنمين(٢) ورجع إلى مصر لاختلاف الآراء عليه .

ثم إنّ العزيز والعادل اجتمعا وجاءا إلى دمشق وحاصراها (٣) في جُمادى الآخِرة سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة . فخامر أهل البلد (٤) وفتحوا الأبواب . ودخل العادل في العشرين من شهر رجب من السنة المذكورة (٥) . ورجع العزيز . وأقام العادل بدمشق ، وأخرج الأفضل من دمشق إلى صَرْخد (٦) .

ومن أمداح شرف الدين بن عُنَيْن (٧) في العادل قَوْلُه من القصيدة (٨) :

مــاذا علـى طيــفِ الأَحِبّــةِ لـو سَــرَى
وعليهــمُ لــو ســامحوني فــي الكَــرى

(١) من أجل هذه المصالحة انظر مفرج الكروب ٣ / ص ٣٠ - ٣٣ .

(٢) الصنمين : تقدم التعريف بها ص ١٨٥ . وفي مفرج الكروب ٣ / ٤٦ أن العزيز وصل إلى الفوار من أرض السواد وخيم به .

(٣) في الأصل : « وحاصرها » .

(٤) خامر أهل البلد : خاتلهم .

(٥) انظر مفرج الكروب ٣ / ٦١ - ٦٧ .

(٦) صرخد : تقدم التعريف بها في الصفحة ٩٩ ج٢ .

(٧) ابن عنين : هو شرف الدين ، أبو المحاسن محمد بن نصر ، المشهور بابن عنين ، الأنصاري ، الدمشقي ، شاعر مشهور ، ولد بدمشق سنة ٥٤٩ هـ وتوفي سنة ٦٣٠ هـ . له ديوان حققه خليل مردم بك ، ونشره مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٤٦ م (الأعلاق الخطيرة - تاريخ دمشق ٨٧ -ح ٣ ، وفيات الأعيان ٥ / ١٤) .

(٨) القصيدة طويلة ، وهي في ديوانه ص ٣ - ٨ .

ومنها :

مـا فـي أبـني بكـرٍ لمـن رامَ الهُـدى
شَـكٌّ يُـرِيْـبُ بـأنـه خَيْـرُ الـوَرى

* * *

أيامُ المُعَظَّم عيسى

وبعـدَ هـذا المـلكُ المُعَظَّـمُ
عيسـى غـدا فـي مُلكـه يُحَكِّـمُ

وكـان ذا فضـائـلٍ وفَضـل
بـلا تكلُّـفٍ عـديـمُ المِثـلِ

/ منفـرداً بمذهـب النُّعمـانِ (١) [١٥١ ب]
مـن دون أهـل بيتـه السُّـلْطاني

أثَّـرَ فـي منـازل الحجـاز
آثـارَ بِـرٍّ مـالَهـا مُـوازِ

وسـلَّـم القُـدْسَ ولـم يَحْتَـجْ
لَضعفـه عـن قـوَّة الفـرَنـجْ

---

(١) النعمان : هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطة . . الإمام المجتهد ، الفقيه ، ولد سنة ٨٠ هـ = ٦٩٩ م وتوفي سنة ١٥٠ هـ ، وهو أحد أئمة المذاهب الأربعة لأهل السنة والجماعة . (ترجمته في تذكرة الحفاظ ١٦٨ وطبقات الفقهاء للشيرازي ٦٧ ووفيات الأعيان ٥ / ٤٠٥ والنجوم الزاهرة ٢ / ١٢ وتاريخ التراث العربي ٢ / ٣١) .

لكـــن أتـــى دِمـيـــاطَ فـاســـتردّهــا
مِـن بعـد مـا فَـلَّ الفِـرَنْـجُ حَـدَّهــا

فـهــذه كـانـــت لـــــه كَفّـــــاره
تَـزْرَعُ فـي الشـكـر لــه شَكـاره (١)

السلطانُ الملكُ المعظمُ عيسى ابن الملكِ العادل أبي بكر محمدِ بنِ أيوبَ ، الفقيهُ الأديبُ الحنفي (٢) .

ولد بالقاهرة سنةَ ستٍّ وسبعينَ وخمسمائة . وتوفي سنة أربع وعشرين وستمائة .

نشأ بالشام وحَفِظ القرآن ، وبَرَعَ في مذهب أبي حنيفة ، واعتنى (بالجامع الكبير) (٣) ، وشَرَحَهُ في عدة مجلدات بمعاونة غيره ، ولازم الشيخَ تاجَ الدين الكِنْديّ (٤) وأخذ عنه (كتاب سيبويه) . وشَرْحَه للسِّيرافي ، وأخذ عنه (الحُجّةَ في القراءات) لأبي عليٍّ الفارسي ، و (الحَمَاسة) (٥) ، وغيرَ ذلك . وحَفِظَ (الإيضاحَ) لأبي

(١) الشكارة : ما يربى من دود القز لإنتاج الحرير . ولعله يريد الحصة أو النصيب .

(٢) ترجمته في وفيات الأعيان ٣ / ٤٩٤ والكامل ١٢ / ٤١٧ وذيل الروضتين ١٥٢ وترويح القلوب ٦٣ .

(٣) في الكامل ١٢ / ٤٧٢ أنه أمر أن يجمع له كتاب في اللغة (جامع كبير) فيه كتاب الصحاح للجوهري ، ويضاف إليه ما فات الصحاح من التهذيب للأزهري والجمهرة لابن دريد وغيرهما .

(٤) هو أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد الكندي ، بغدادي المولد والمنشأ . الدمشقي الدار والوفاة ، نحوي ، أديب . ولد سنة ٥٢٠ هـ وتوفي سنة ٦١٣ هـ ، ودفن بجبل قاسيون . (معجم الأدباء ١١ / ١٧ بغية الوعاة ٢٤٩ البداية والنهاية ٣ / ٧١ وفيات الأعيان ٢ / ٣٣٩ والوافي ١٥ / ٥٠ وإنباه الرواة ٢ / ١٠٠) .

(٥) لأبي تمام .

علي (١) ، وسمع (المُسْنَد) (٢) ، وسمع من ابن طَبَرْزَد (٣) وغيرِهِ . وله ديوان شعرٍ ، سمعه القُوْصيُّ (٤) منه، وصنَّف في العَروض / وكان مع ذلك لا يُقيم الوزنَ في بعض الأوقات (٥) .

وكان محباً لمذهبه (٦) متغالياً فيه ، / قال له والده : كيف خالفتَ [١٥٢ آ] أهل بيتك وصِرْتَ حنفياً ؟ فقال : أما يكون فينا واحدٌ مسلمٌ (٧) ؟ أو كما قال . وجعل لمن يعرض (المفصَّل) للزَّمَخْشَرِيِّ مائة دينار ، ولمن يحفظ (الجامع الكبير) مائتي دينار . ولمن يحفظ (الإيضاح) ثلاثين دينار . سوى الخِلَع (٨) ، وحَجَّ في أيام والده .

وجدَّد البِرَكَ والمَصانع ، وأحسن إلى الحاجِّ ، وبنى بُسْورَ دمشقَ الطَّارمة (٩) التي على باب الحديد ، والخانَ الذي على باب

---

(١) الفارسي .

(٢) لعله مسند الإمام أحمد بن حنبل .

(٣) ابن طبرزد : أبو حفص عمر بن أبي بكر محمد بن معمر ، المؤدب المعروف بابن طبرزد والمحدث المشهور ، البغدادي ، الملقب موفق الدين ، كان عالي الإسناد في سماع الحديث . ولد سنة ٥١٦ هـ وتوفي ببغداد سنة ٦٠٧ ، ودفن بباب حرب . وطبرزد: اسم لنوع من السكر . (ترجمته في وفيات الأعيان ٣ / ٤٥٢ والتكملة ٢ / ٢٠٧ — الترجمة ١١٥٨ وسير أعلام النبلاء ١٣ / ١١٦ والنجوم ٦ / ٢٠١ والكامل ١٢ / ١٢٢ والشذرات ٥ / ٢٦) .

(٤) القوصي : هو عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن الحسن بن علي ، أبو القاسم القوصي ، ويقال له ابن وهيب . كاتب ، شاعر ، من أهل قوص بمصر . توفي سنة ٦٣١ هـ = ١٢٣٤ م (الأعلام ٤ / ٨٧) .

(٥) أي وزن البيت من الشعر .

(٦) أي المذهب الحنفي .

(٧) الأصل : « واحداً مسلماً » .

(٨) الخلع : جمع خلعة . تقدم التعريف بها ٨٨/٢ .

(٩) الطارمة : بيت من خشب ، دخيل (خطط المقريزي ٤٤٤) . وهي لفظة فارسية الأصل، معناها البيت من الخشب يبنى سقفه على هيئة قبة لجلوس السلطان أو النائب =

الجابية ، وبنى بالقدس مدرسةً ، وبنى عند جعفر الطيارِ مَسْجداً ، وعمل بمَعَانَ(١) دار مُضيف(٢)،وحمّامين .وكان قد عزم على أن يبني في كل مَنْزلةٍ من طريق الحاج (٣) .

وكان يُحبُّ العلماءَ ويبحث معهم .

وكان فيه شجاعة وإقدام ، ساق على فَرَسٍ واحد من دمشق إلى الإسكندرية في ثمانية أيّام إلى أخيه الملك الكامل ، فلما اعتنقه قال: اطلع واركب . فقال :

وإذا المَطِيُّ بنا بَلَغْنَ مُحَمَّداً
فظُهورُهنّ على الرِّجالِ حَرامُ

[١٥٢ب] / فطرب لذلك الكامل وأعجبه

وكان الفرنج قد ملكوا دِمْياط . فاجتهد غايةَ الاجتهاد في أمرها حتى ردَّها على الإسلام . وتوجَّه إليها بالعساكر في جُمادى الآخرة سنةَ ثمانَ عَشْرَةَ وستمائة . وقال الشيخ عَلَمُ الدِّيْنِ السَّخاوِيُّ(٤) :

سَرَى المَلِكُ المولى المعظّمُ في الدُّجى
فأصبحَ نَجْمُ النصرِ بعد مَغيبهِ

=(محيط المحيط،وذيل المعاجم العربية) . والطارمة أو الطرمة أو الطيارة : قبة أو غرفة عالية مفتوحة من جوانبها ، يطل الجالس فيها على ما حوله . (ولاة دمشق – ٧٧ ح ١) .

(١) معان : مدينة في جنوب المملكة الأردنية الهاشمية ، تبعد عن عمان ٣٢٤ كم على طريق عمان – العقبة (الدليل الأزرق – الشرق الأوسط ص ٤٧٢) .

(٢) أي دار ضيافة .

(٣) أي مثل ذلك .

(٤) هو علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي،أبو الحسن . عالم بالقراءات والأصول واللغة والتفسير،وله نظم . ومصنفات ، أصله من (سخا) بمصر ،سكن دمشق وتوفي بها سنة ٦٤٣ هـ (الأعلام ٤/٣٣٢) .

وردْ على الإسلام بعد كآبة
سُروراً وداوى الدِّيْنَ بعد شُحوبِه

تَجَلّى بعيسى غَمُّها واغتدى به
فريداً وأضحى فَخْرُها مِنْ نصيبِه

ومن شهامته أن الملكَ الكاملَ كان مع اتساع مملكته يخافه ، وما جَسَرَ الكامل على أن يتحرك من مصر إلاّ بعد موته : وكان يكتب إليه إذا أنكر منه حالةً . لئن لم تنته لآخُذَنّكَ بمن مَعك .

واشتهر عنه أنّه دخل عكا ، وكشف أحوالها في زيٍّ زَيّاتٍ ، وأقام بها أياماً . ورهن خاتَمه عند دكاني . ولما عاد إلى دمشق كتب إلى صاحبها وأعلمه بما جرى ، وأمره أن يَفُكَّ خاتَمَه ويُنْفِذَه ، فقامت قيامته ، وكاد يموتُ غيظاً .

وحضر رسولٌ من عند القاضي يطلب / واحداً من مماليكه (١) [١٥٣ آ] فامتنع . فلّما علم به أحضره وعِمامَتُه في رقبته ، وقال للرسول : هذا غريمُك ؟ قال : نعم ، قال : خذه على هذه الحالة إلى القاضي ؛ وإن غيَّرت عِمامَتَه من رقبته شَنَقْتُكَ . فارتجَّتْ له المدينة بالدعاء وحكم القاضي على المملوك بما أراد . وأمر المعظّمُ بعد ذلك بإخراجه من القلعة ، وقَطَعَ خُبْزَه (٢) . وكان عنده عَزيزاً ، وقال : ذاك أدبُ الشَّرْعِ وهذا أدبي . وبقي مهجوراً مدّةً إلى أن شُفِعَ فيه .

وكان يقسمُ الليلَ أثلاثاً : فالأولُ يشرب فيه ويخلو بلذاته ، والثاني ينام فيه ، والثالث يدخل الحمام ويصلّي ويطالع .

---

(١) في الأصل : « ممالكه »
(٢) الخبز : الإقطاع .

قال شيخنا الذهبي : وكان يشرب المسكر ، ويجوِّز شُرْبه . واستسنّ ظُلماً كثيراً . وكان يَلْبَس كَلوتةً (١) صفراء بلا شاش . وكان لا يتكلف . يخترق الطرق ويزاحم النّاس ، ولما كثُر هذا منه ، ضُرب به المَثَلُ فيقال : هذا مُعَظَّميٌّ بلا كُلْفَة .

وملك من العريش (٢) إلى حمص والكَرَك (٣) والشَوْبك (٤) والعُلى (٥) ، وخرَّب القدس لعجزه عن حفظه(٦) / وذلك في المحرَّم [١٥٣ ب] سنة ست عشرة وستمائة . وخرج النّاس معه هاربين ، وقطعوا شعورهم ورَمَوْها في الحَرَم ، وتركوا أموالهم وأثقالهم(٧) ، وما شكّوا أن الفرنج يُصَبِّحونهم ، وامتلأت بهم الطرقات إلى مِصْرَ وإلى الكَرَك ، وإلى دمشقَ ، وحصل غلاء وشدائد ، وقال بعضهم :

فـي رَجَـبٍ حَـلَّـلَ المحـرَّمْ
وخـرَّبَ الـقُـدْسَ بـالمحـرَّمْ

(١) الكلوتة : لباس للرأس يلبسها السلطان والعسكر بدل العمامة ، وكانت العادة أن تكون صفراء مضربة تضريباً عريضاً ، ولها كلاليب (الخطط التوفيقية ١ / ٥٢ وولاة دمشق ص ١١٧ - ح ٢) .

(٢) تقدم التعريف بها ص ٥ ج٢ .

(٣) تقدم التعريف بها ٩٩/٢ .

(٤) الشوبك : قلعة حصينة في أطراف بلاد الشام بين عمان وأيلة (العقبة) والبحر الأحمر ، قرب الكرك ، (انظر معجم البلدان ٣ / ٣٧٠) .

(٥) موضع من ناحية وادي القرى - قرب المدينة ، بينها وبين الشام (معجم البلدان ٤ / ١٤٤) .

(٦) انظر ذيل الروضتين ص ١١٥ - حوادث سنة ٦١٦ ففيه تفاصيل تسليم القدس . وما جرى فيها .

(٧) الأثقال : جمع (ثقل) : المتاع .

وقال مجد الدين محمد بن عبد الله الحنفي :

مَـــرَرْتُ عـــلى القُـــدْسِ الشّـــريفِ مُسَلِّماً
عـــلى ما تَبَقّـى مـن رُبُـوعٍ كَأَنْجُـــمِ

ففاضَـــتْ دموعُ العـــين مـــني صبابـةً
على ما مضى فـي عصرنـــا المتقـــدمِ

وقـــد رامَ (١) عيسى أن يُعَفّـي رُسُـوْمَـه
وشَـــمّرَ عـن كَفّـيْ لئيـــمٍ مُـــذَمّـمِ

فقلـتُ لـــه شُـــلّتْ يَمينُـــكَ خَلّهـــا
لمعتـــبرٍ أو ســائلٍ أو مســـلّمِ

ولـــو كـــان يُفـدى بالنفـوسِ فَـدَيتُـــه
بنفسي وهـــذا الظـــنّ في كـل مُسْـــلمِ

وكتب إليه ابن عُنَيْن ، وقد مرض مرضةً :

انظـر إلـيّ بِعَيْـــنِ مولى لـم يَـــزَلْ
يـولي النّـــدى وتَـــلافَ قبـــل تَـــلافـــي

أنـا كالـــذي أحتـــاجُ مـا تحتـاجُـــه
فاغنـــم ثـــوابي والثنـــــاءَ الــوافـــي

/ فجاء إليه بنفسه وقال له : أنت الذي ، وأنا العائد ، وهذه [١٥٤ آ] الصِّلة (٢) ، ودفع إليه صُرَّةً فيها ثلاثمائة دينار .

---

(١) في ذيل الروضتين ١١٦ : « وقد رام علج » .
(٢) إشارة إلى أن اسم الموصول يحتاج إلى صلة وعائد ومحل من الإعراب .

ومن شعره :

يا دُرَّةَ الغَوّاصِ بل يا ظَبْيَةَ الـ..
..قنّاص بل يا دُمْيَةَ المِحْرابِ

عاديتُ فيكَ عصابةً كانوا على
قُرْبِ الديارِ وبُعْدِها أحبابي

وتوفي في سَلْخِ ذي القعدة سنةَ أربعٍ وعشرين وستمائة ، ودُفن بالقلعة ، ثم نُقل إلى تربته ومدرسته بجبل قاسيون(١).

* * *

أيامُ الناصرِ داود

ثم تَولاّها المليكُ النّاصِرْ
داودُ ذُو الفَضْلِ أبو المفاخِرْ

وخطُّه مثلُ الرياض النّاضِرَه
ونظمُهُ ذو النّفثَاتِ الساحِرَهْ

وإنّما كان قليلَ السّعدِ
من أوّلِ الدّنّ تَحَسّى الدُّرْدِيْ (٢)

---

(١) المدرسة المعظمية : كانت في جبل قاسيون إلى جانب المدرسة العزيزية ، شمال حي العقيف ، جنوب المقبرة ، دفنت فيها أم المعظم هذا سنة ٦١٢ في قبة بنى عليها ابنها المعظم المدرسة المعظمية سنة ٦٢١ ه ،وقد ظلت قائمة حتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، عندما أزيلت برمتها ودخلت في البيوت مع أختها العزيزية (خطط دمشق لأكرم العلبي ص ٢١٧) . وأول مدرس فيها القاضي مجد الدين قاضي الطور (القلائد الجوهرية ١٤٣ ، ١٤٣ ، الدارس ١ / ٥٧٩ ، مرآة الزمان ٨ / ٦٤٤ ، مدارس دمشق ١٥٥) .

(٢) الدردي ، من الزيت ونحوه : الكدر الراسب في أسفله .

راحَ إلـــى بغـــدادَ للخليفـــهْ
بجوهـــرٍ ذي قيمـــةٍ شَـــريفـهْ

فعَـوَّضـــوهُ عنـــه بـالحِـرمـــانِ
وعـــاد بـالخيبـــةِ والخُسْـــرانِ

السلطانُ الملكُ النّاصرُ صلاحُ الدين ، أبو المفاخر داود بن عيسى ابن محمد بن أيوب (١) وُلد بدمشقَ في جُمادى الآخِرةِ سنة ثلاث وستمائة . وتوفي سنة ست وخمسين وستمائة . / وولي السّلطنَةَ بعد [١٥٤ ب] أبيه سنة أربعٍ وعشرين وستمائة عقيب موت والده (٢) . وكان حنفي المذهب . عالماً فاضلاً ، مناظراً ، كاتباً ، شاعراً ، بارعاً . له اليد الطولى في النظم والأدب وحُسن الخط . ولمّا ولي أحبّه أهلُ دمشق، وسار عمّه الكامل (٣) من مصر ليأخذ منه دمشق . فاستنجد بعمّه الأشرف(٤) ، فجاء لِنُصْرَتِه ، ونزل بالدّهْشة (٥) . ثم تغيّر عليه، ومال لأخيه الكامل . وأَوْهَمَ الناصرَ أنه يُصْلِحُ قضيتَهُ ، فاتفقا عليه ، وحاصراه أربعة أشهر ، وأخذا دمشق منه (٦) وتوجّه الناصرُ داودُ إلى الكَرَكِ ،

(١) ترجمته في البداية والنهاية ١٣ / ١٩٨ والعبر ٥ / ٢٢٩ والوافي ١٣ / ٤٨٠ وترويح القلوب ٧٣ والتاريخ المنصوري – صفحات كثيرة ، ذيل الروضتين ص ٢٠٠ .

(٢) وعمره نحو ٢٠ سنة (الكامل ١٢ / ٤٧٢ والتاريخ المنصوري ص ١٧٧ والمختار من مآثر الإنافة ٢ / ١٧٧ – ١٧٨) .

(٣) سيأتي الكلام عنه .

(٤) سيأتي الكلام عنه ص ١٢٣ .

(٥) في دمشق دهشتان هما قيساريتان تجاريتان : إحداهما كانت شرقي الجامع الأموي ، والأخرى كانت غربية ، أو قبلية لجهة الغرب، وكلتاهما داخل باب جيرون . (القلائد الجوهرية ١ / ٧٤) .

(٦) انظر تفاصيل العلاقة بين الأشرف والكامل والناصر في الكامل لابن الأثير ج ١٢ ص ٤٨٣ – ٤٨٥ وذيل الروضتين ص ١٥٢ – ١٥٣ .

وكانت لأبيه ، وأعطي معها الصَّلت (١) ونابُلُس (٢) وعَجلون (٣) وأعمال القدس . ثم إن الناصر بعد الثلاثين (٤) قصد الإمام المستنصر (٥) في بغداد ، وتوجّه إليه على البريّة ، ومعه خَواصُّه والشيخُ شمس الدين الخُسْرُوشاهي (٦) ، وفَخْرُ القضاة ابن بصاقة (٧) كاتبه ،

---

(١) الصلت : بلدة لطيفة من عمل البلقاء في جبل الغور الشرقي – جنوبي عجلون (في المملكة الأردنية الهاشمية) على مرحلة منها ، بها قلعة بناها الملك المعظم عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب (المختار من صبح الأعشى ٥ / ٣٣ والأعلاق الخطيرة – تاريخ لبنان والأردن وفلسطين ص ٨٣) .

(٢) نابلس : مدينة مشهورة في فلسطين ، بين جبلين ، كثيرة المياه ، وأرضها حجر ، شمالي القدس ، على بعد ٦٧ كم منها ، هي اليوم في الضفة الغربية من نهر الأردن ضمن الأراضي المحتلة .

(٣) عجلون : بين بلد السواد من أعمال الأردن وبين بلاد الشراة ، محدثة ، صغيرة على جبل يطل على غور نهر الأردن ، ترى من القدس ومن جبال نابلس (الأعلاق الخطيرة تاريخ لبنان والأردن وفلسطين ص ٨٦) . ويقال لقلعتها الربض ، والباعونة ، وتقع غرب الأردن على بعد ٣٠ ميلا شمال غرب عمان ، شيدت فوق نهر صخري على ارتفاع يزيد عن ٣٠٠٠ قدم أسسها الأمير عز الدين أسامة بن منقذ عام ١١٨٤ – ١١٨٥ م لحماية الجناح الغربي لمنطقة دمشق وطريق المواصلات الحيوي بين دمشق والقاهرة الذي يسمى درب الحجاج (القلاع أيام الحروب الصليبية ص ٧٤ – ٧٥) .

(٤) أي بعد سنة ٦٣٠ هـ .

(٥) تقدم التعريف به .

(٦) اسمه عبد الحميد . كان إماماً فاضلا أقام عند الملك الناصر داود سنين كثيرة بدمشق والكرك ، وتوفي بدمشق سنة ٦٥٢ هـ ودفن بقاسيون على باب تربة الملك المعظم (مرآة الزمان ٨ / ٥٢٧) .

(٧) ابن بصاقة : فخر القضاة ، نصر الله بن هبة الله بن محمد بن عبد الباقي الغفاري ، أبو الفتح : كاتب مترسل ، ومن الشعراء . ولد بقوص سنة ٥٧٧ هـ = ١١٨١ م وقرأ الأدب بمصر والشام ، وولي كتابة الإنشاء في مصر ، وكان خصيصاً بالملك المعظم عيسى ، ثم بابنه الناصر داود . مات بدمشق سنة ٦٥٠ هـ = ١٢٩٢ م (الأعلام ٨ / ٣٠٤ وفوات الوفيات ١ / ٥٩٧ بدائع الزهور ١ / ١ / ٢٩٠ ووفاته فيه سنة ٦٤٩ وحسن المحاضرة ١ / ٢٧١ والشذرات ٥ / ٢٥٢) .

وقَدَّمَ له جواهرَ نفيسةً عظيمةً لم يقدر على مثلها ، ونفائسَ وتُحفاً وامتدحه بقصيدة عظيمةٍ أَوَّلُها :

/ ودَانٍ أَلَـمَّـتْ بالكثيـب ذوائبُـه [آ١٥٥]
وجُنْحُ الدُّجى وَجفٌ تجولُ غَيَاهِبُهْ (١)

تُقَهْقِـهُ في تلك الرُّبـوعِ رُعُـوْدُهْ
وتبكي على تلك الطُّلول سَحائبُهْ

أَرِقْـتُ لـه لمـا تَوالَـتْ بُرُوْقُـهُ
وحَلَّـتْ عَزاليـه (٢) وأَسْـبَلَ ساكِبُهْ

إلى أن بـدا مـن أشقـر الصُّبح قـادِمٌ
يُـراع لـه مِـنْ أَدْهَـمِ الليـلِ هـارِبُـهْ

وأصبح ثغـرُ الأُقحـوانـة ضاحكـاً
تُـدَغْـدِغُـه رِيْـحُ الصَّبـا وتُـلاعبُـه

تمـر علـى نبـت الريـاض بليلـةً
تجمشـه (٣) طـوراً وطـوراً تُـداعِبُـهْ

وأقبـل وجـهُ الأرض طَلْقـاً وطالَمـا
غـدا مُكْفهـراً موحشـاتٍ جوانبُـهْ

---

(١) الكثيب : التل من الرمل . والوجف ، سرعة السير ، ووجف الشيء : اضطرب

(٢) عزاليه : العزالي جمع الأعزل ومؤنثه العزلاء ، مصب الماء من القربة ونحوها . ويقال (أنزلت السماء عزاليها) إشارة إلى شدة وقع المطر .

(٣) تجمشه : جمشه : لاعبه ، قرصه .

كساه الحَيَا (١) وَشْياً من النبت فاخراً
فغادر فينا غَوْرَه وغَوارِبه (٢)

كما عاد بالمستنصرِ بنِ محمدٍ
نظامُ المعالي حين فُلَّتْ كتائبُهْ

إمامٌ تجلّى الدين منه بماجدٍ
تحلت بآثار النبي مَنَاكِبُهْ

وهي أحد وأربعون بيتاً ، كلها من هذا النّمط . وطلب الحضور بين يديه ، فامتنع كرامةً لعمِّه الكامل . وأعجبت القصيدةُ الخليفةَ إعجاباً زائداً ، واستدعاه في الليل سِرّاً ، وأدخله من باب السِّر بعد شَطْرٍ من اللّيل ، وجاراه في أنواعٍ من العلوم والشعر ، وخَلَعَ عليه خِلْعَةً سنيّةً ، وأخرجه ليلاً ، وكانت خِلْعَتُهُ / سوداء مذهبة ، [١٥٥ ب] وعمامة سوداء مذهبة ، وخلع على أصحابه وجماعته خِلَعاً جليلةً ، وأعطاه أموالاً ، وبَعَثَ معه رسولاً مشربشاً (٣) إلى عمِّه الكامل يشفع فيه في إخلاص النيّة له وإبقائه على مملكته بالإحسان إليه . وخرج الكامل إلى تَلَقِّيهما ، وأقبل على الناصر ، وزاد الخليفة في ألقابه الوليَّ المهاجرَ ، وتوجّه الرسولُ معه إلى الكَرَكِ ليرتِّبَه في المملكة . وجعل

---

(١) الحيا : المطر — الخصب — النبات .

(٢) غواربه : جمع غارب — أعلى كل شيء أو السنام والعنق ، ومنه غوارب الماء : أي أعالي موجه .

(٣) المشربش : لابس الشربوش أو الشربوس ، والشربوس : قلنسوة مثلثة الزوايا من الأعلى وقد تلف عليها عمامة ، فيقال : عمامة بشربوس (معجم الألبسة — دوزي) .

الناصرُ رَنْكَهُ (١) أسودَ انتماءً إلى الخليفة . ثم إنه وقع الكامل والأشرف ، وأراد كل منهما أن يكون الناصر معه ، فمال إلى الكامل. وكان الرسولان قد اجتمعا عنده ، وكل منهما يقول له : إنه يزوِّجُهُ ابنته ويعطيه ممالكَه بَعْدَه . فأرضى رسولَ الأشرفِ بجوابٍ إقناعي وكتب إلى عمه الكامل بأنه مال إليه، وترك عمّه الأشرف . وكتب في الجواب :

وما شِئتُ إلا أنْ أذِلَّ عَواذلي
عَلى أنَّ رأيي في هَواكَ صَوابُ

ويعلم قومٌ خالَفوني وشَرَّقوا
وغَرَّبْتُ أني قد ظَفِرتُ وخابوا

قلت : يكفيه من علم الأدب ، أنه استشهد بهذين . وهما لأبي الطيب [١٥٦ آ]

وكان الأشرفُ في البلاد الشرقيّة ، والكامل صاحبُ مصر وهي في عِداد الغرب . وكأن هذين البيتين ما صنعهما المتنبي إلا لهذه الواقعة .

واتّفق أنَّ الأشرفَ مات بعد ذلك . ولو كان النّاصر سار إليه فاز بمملكته وزواج ابنته ، ولكنَّ قليلَ السعد سيِّءُ التدبير .

---

(١) الرنك : لفظ فارسي بمعنى اللون ، واستخدم بمعنى الإشارة أو الشعار أو الرمز الذي يتخذه السلطان أو الأمير المملوكي لنفسه ، وكذلك للدلالة على وظيفة الأمير . والأصل المباشر لرنوك المماليك هو أساتذتهم الأيوبيون . وقد يمثل الرنك معنى من المعاني التي يهواها الأمير أو السلطان كالشجاعة التي تمثلها السلطان بيبرس في الأسد ، فاتخذ الأسد رنكاً له ونقشه على نقوده ، ومن أمثلة الرنوك الدالة على مهنة صاحبها : الدواة أو المقلمة لكتاب السر والدوادارية والكأس للساقي ، والسيف والخنجر للسلاح دار ، والإبريق أو البقجة للطشتدار (لمزيد من التفاصيل انظر السلوك ج ١ ص ٦٧ – ح ٤ وصبح الأعشى ٤ / ٦١ وما بعدها والنجوم الزاهرة ٧ / ٤ .

ثم اتفق موتُ الكامل بدمشق والنّاصر عندَه في دار أسامة (١) فتشوّف إلى السّلطنة ، ولم يكن يومئذ (أمير عنه) (٢) ، ولو بذل المال لحلفوا له . فتسلطن الجواد (٣) ، وخرج الناصر عن دمشق وحشد وجاء بالعساكر ، وخرج الجواد إليه ، ووقع المصافُّ (٤) بينهما ، بين جنين (٥) ونابلس ، فانتصر الجواد عليه ، ونهب خزائنه وكانت على سبعمائةِ جَمَلٍ ، وافتقر الناصر منها .

ولما ملك الصالح نجم الدين أيوب على ما سيأتي (٦) . سار لقصد مصر وجاء عَمُّه الصالح إسماعيل ، ومَلَكَ دمشقَ ، وتسحّبَ جيشُ نجم الدين عنه . وبقي في جماعة قليلة في نابلس. وجهّز الناصر إليه جماعةً فأمسكوه وأحضروه إلى الكَرَكِ / فاعتقلهُ مكرّماً ، ونزل الناصر عند موت الكامل إلى القدس ، ومَلَكَهُ وطَرَدَ الفِرَنْجَ عنه . [١٥٦ ب]

وقال جمال الدين يحيى بنُ مَطْروح (٧) في ذلك :

---

(١) هي دار أسامة الجبلي ، لا أسامة بن منقذ ، وداره هذه استولى عليها الملك المعظم ، ثم صارت من بعده لولده الناصر داود ثم اشتراها نجم الدين البادرائي وعمرها مدرسة ، وهي موجودة الآن تعرف بالمدرسة البادرائية وشرقيها حمام يعرف بحمام سامة (والعامة يسمونه سامي) ، وموقعها داخل بابي الفراديس والسلامة ، شمال جيرون ، وشرقي المدرسة الناصرية الجوانية (القلائد الجوهرية ١ / ٢١٤ — حاشية ١ والدارس ١ / ٢٠٥) .

(٢) كلمة مبهمة في الأصل المخطوط .

(٣) الجواد : هو الملك الجواد يونس . يأتي الحديث عنه ص ١٤١ .

(٤) المصاف : موقف القتال .

(٥) جنين : بليدة حسنة بين نابلس وبيسان ، في الضفة القربية المحتلة من نهر الأردن .

(٦) في الصفحة ١٤٣ القادمة .

(٧) هو جمال الدين ، أبو الحسن يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن الحسين بن مطروح ، من أهل صعيد مصر ، اتصل بخدمة الملك الصالح أيوب عندما كان نائباً بمصر عن أبيه . وتوفي سنة ٦٤٩ هـ أو ٦٥٠ ودفن بسفح المقطم ، وكانت ولادته سنة ٥٩٢ هـ بأسيوط . (النجوم ٧ / ٢٧ ، حسن المحاضرة ٦ / ١٤٣ ، وفيات الأعيان ٦ / ٢٥٨ ، بدائع الزهور ١ / ١ / ٢٩٠ ، الأعلام ٨ / ١٦٢) .

المسجدُ الأقصى له عادةٌ
سارَتْ فصارَتْ مَثَلاً سائرا
فَناصِرٌ طهّرهْ أوّلاً
وناصِرٌ طَهَّرهْ آخِرا
إذا غدا للكفرِ مُسْتَوْطَناً
أن يبعثَ اللهُ له ناصِرا

واتفق الناصرُ مع الصالح أيوب ، وهو عنده في الاعتقال ، ما يفعل به إنْ مَلَكَ مصر فقال : أنا غلامك . وشَرَطَ عليه أشياءً . فاما ملك مصر أيوب ، وقع منه التسويف والمغالطة ، فغضب الناصر ورجعَ إلى الكَرَكِ ، وبعث الصالح عسكراً فاستولوا على بلاد الناصر ، فقلّ ما في يد النّاصر ، وحار . فجهزّ يسأله أن يُسلّمه الشّوْبك ، ويعطيه خُبْزاً (١) بمصر فأجابه ، ورحل إلى مصر مريضاً ، وترك ولدَه المعظم نائباً على الكَرَك ، وأخذَ ما عنده من الجواهر النفيسة ، وسار إلى بغداد ، وأودع الجوهر الذي كان معه للخليفة ، وكانت قيمته أكثر / من [١٥٧ آ] مائة ألف دينار ، ولم يصل بعد ذلك إليها ، وقيل له : هذا لبيت مال المسلمين ، ونحن أولي ما كان هذا عندنا . وحضر مع صاحب حلب ، ومَلَكَ صاحبُ حلبَ دمشق ، ومعهما الصّالح إسماعيل . ومرض صاحبُ حلب ، فقيل له : إنّ الناصر سعى في المُلْك ، فقبض عليه واعتقله بحمص . فشفع فيه الخليفة فأفرج عنهُ . وتوجّه إلى الخليفة فلم يؤذن له في الدخول إلى بغداد ، وتوجّه إلى الحج ، وقام بين يدي الحجرة الشريفة وأنشد قصيدة أولها :

---

(١) الخبز : الإقطاع .

إليــكَ امتطينــا اليَعْمَـــلاتِ رَواسمــاً
يَجُبْــنَ الفــلا مـا بين رَضْوى ويَذْبُـلِ (١)

وأحضر شيخ الحَرَم والخُدَّام ، ووقف بين يدي الضريح الشريف وأمسك سُجُفَ الحُجْرةِ الشريفة ، وقال : اشهدوا أن هذا مُقامي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد دخلتُ عليه مستشفعاً به إلى ابن عمه أمير المؤمنين في ردِّ وديعتي . فأَعْظَمَ الناسُ هذا وبَكَوا . وكتب إلى الخليفة بصورة الحال في ذلك ، وترك الناصر بالحلة ، فتقرَّر له راتب يسير ولم / يحصل له مقصوده فعاد وضمَّ عليه عرباً ، ودخل تيه بني اسرائيل . فخاف المغيث منه (٢) وقبض عليه ، وعلى من معه وحَبَسَهم بطُور هارون (٣) ؛ ثم جهزَّه المغيث بشفاعة المستعصم مقدَّماً على عسكرٍ نَجْدةً له على التتار . وعرض طاعونٌ بالشام فَطُعِنَ الناصر في جنبه ، وتوفي ، رحمه الله ، ثم إنه حمل إلى تربة والده بقاسيون .

[١٥٧ ب]

* * *

---

(١) اليعملات : اليعملة من الإبل : النجيبة المعتملة المطبوعة على العمل – واليعملة : الناقة السريعة ، ولا يقال ذلك إلا للإنثى ، والجمع : يعملات (لسان العرب) . الرواسم : ناقة رسوم : تؤثر في الأرض من شدة الوطء – والرسوم : الذي يبقى على السير يوماً وليلة أي السرعة – والرسيم : ضرب من السير سريع مؤثر في الأرض – (لسان العرب) .

رضوى : جبل بالمدينة النبوية (معجم البلدان ٣ / ٥١ والروض المعطار ٢٦٩) .

ويذبل : جبل مشهور في هضبة نجد ، أو هو جبل لباهلة (معجم البلدان ٥ / ٤٣٣) .

(٢) هو الملك المغيث ، فتح الدين عمر بن العادل . مات سنة ٦٠٦ هـ = ١٢٠٩ م ودفن بسفح قاسيون بتربة أخيه الملك المعظم . (النجوم ٦ / ١٧٢ والبداية ١٣ / ٥٤ وذيل الروضتين ص ٦٧ والتاريخ المنصوري ص ٥٢ ، ٢٣ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٥٥ .

(٣) طور هارون : جبل عال مشرف ، قبلي بيت المقدس . (معجم البلدان ٤ / ٤٨) .

أيام الأشرف موسى

ثم تولاها المليكُ الأشرفُ
وبُردُه بفضله مُفَوَّفُ

ما برحتْ راياتُهُ منصوره
ولم يكن في زُمْرةٍ مكسوره

يُثني عليه ساجعُ الحَمام
لجوده الزّاري على الغمام

ممدّحُ الأوصافِ بالأشعارِ
زاد على مكتسب الأوزارِ

يهزّه إذا أتاه المدحُ
فهو به في سَكْرَةٍ لا يصحو

السلطانُ الملكُ الأشرفُ أبو الفتح ، مُظفّر الدين موسى بن شاه أرمن ابن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب (١)

ولد بالقصر بالقاهرة سنة ستٍ وسبعين وخمسمائة . وتوفي بدمشق سنة خمس وثلاثين وستمائة . أعطاه أبوه الملك / العادل أولاً القدس ، ثم [١٥٨ آ] حرّانَ والرُّها (٢) ، وتنقّلت به الأحوالُ ، وكسر الخوارزميّة (٣)

---

(١) ترجمته في ذيل الروضتين ص ١٦٥ .

(٢) تقدم التعريف بحران في ج١ ص ١٩٣ وبالرها ج٢ ص ٧٣ .

(٣) انظر تفاصيل ذلك في ذيل الروضتين ص ١٣٣ – ١٨٠ . والخوارزمية : هم عسكر السلطان جلال الدين منكبرتي ، الذي استولى على إيران والعراق وأذربيجان وكانت عاصمة ملكه تبريز ، جاؤوا إلى البلاد الشرقية سنة ٦٣٤ هـ فاستخدمهم الملك الصالح أيوب ابن الكامل ، وكان في آمد وحصن كيفا وحران وغيرها نائباً عن أبيه ، وجاؤوا بعد أن قتلوا ملكهم وانضموا إلى ملك الروم وخدموا عنده ، وكان فيهم عدة مقدمين ، فلما مات كيقباذ وتولى ابنه كيخسرو قبض على بركة خان أكبر مقدميهم ، ففارقت الخوارزمية حينئذ خدمته ، وساروا عن الروم ونهبوا ما كان في طريقهم ، فاستمالهم الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل ، واستأذنوه في استخدامهم فأذن لهم واستخدمهم (خطط الشام ٢ / ٩٥) .

والرومَ . ولُقِّبَ شد أرمن لأنه مَلَكَ أخلاط (١) ، وهي قَصَبَةُ أرمينية .

ومَلَكَ دمشقَ سنةَ ستٍ وعشرينَ وستمائة ، أخذها من النّاصر داود ، وأحسن إلى أهلها ، وعَدَلَ فيهم ، وأزال عنهم بعض الجَوْر وأحبّوه .

وكان فيه دين وحياءٌ وكرم مُفْرِطٌ .

قال شيخنا شمسُ الدين الذهبي : لم يُسمع بعد البَرامكة بمن أعطى عطاءَه ولا فعل فِعْلَه ، إلا أنه كان منهمكاً على الخمر والملاهي .

وكان مليح الشكلِ وافرَ الشجاعة ، لم تُكسر له رايةٌ قَطُّ ، يحب الصالحين ويزورهم . ويجيز الشعراءَ الجوائزَ السنيّة ، ولا يفارق باب القلعة في شهر رمضان . ويُخرج منها صحون الحلوى إلى الفقراء. وكان ذكياً يشارك في الصنائع ، وكان قد فَرَّق البلاد . وأعتق مئتي نَفسٍ من مملوكٍ وجاريةٍ ، ووقف دار فرخشاه المعروفة بدار السعادة(٢) وبستانَ النيرب (٣) على ابنته ، وأوصى لها / بجميع الجوهر . [١٥٨ ب]

---

(١) أخلاط : انظر تعريفها في الصفحة ١٢٦ القادمة .

(٢) دار السعادة : دار أيوبية تقع في مكان جامع سوق الأحمدية (التكية الأحمدية) . من سوق الحميدية اليوم . وكانت داراً للملك الأمجد الأيوبي صاحب بعلبك . ثم أصبحت في العهد المملوكي مقراً لنواب دمشق (إعلام الورى ص ٨ ح ٢) وجاء في ولاة دمشق ص ٣٨ أنها عرفت أولا بدار فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب ، ثم انتقلت إلى ابنه الملك الأمجد (انظر مخطط دمشق للمنجد رقم ٤٩ — ٥٠ والنجوم الزاهرة ١١ / ٢٥٧ — ح ١) .

(٣) بستان النيرب : قال ياقوت الحموي : النيرب قرية مشهورة بدمشق على نصف فرسخ ، في وسط البساتين أنزه موضع رأيته (معجم البلدان ٥ / ٣٣٠) . وقال الشيخ دهمان : هي محلة كانت عامرة بالسكان ، تلي الربوة من جهة دمشق (أي غرب دمشق) تاريخ الصالحية ص ٢٧ — ٣١) وذكرها أبو المطاع وجيه الدولة بن حمدان في شعره وسماها النيربين .

وقد غُشِيَ عليه إلى أن ظنّوه مات ، وجاؤوا به من النيرب إلى القلعة وأوصى أن يُكَفّن في إزار عتيق . وقال : هذا يكون على جسدي أتّقي به نارَ جهنم . فإنّ صاحبه كان حبشياً من الأبدال (١) ، قال لي : أحرمتُ فيه عِشْرين حجّةً . وكان مقيماً بجبل الرُّها (٢) مدةً يزرع قطعة أرضٍ زَعفراناً ويتقَوَّتُ منه. وكنتُ أزورُه وأعرِض عليه الذّهبَ، فما قبل مني شيئاً . ودُفن بالقلعة ،ونُقل تابوته إلى تربته جوار المدرسة الكلاّسة (٣) بعد أربعة أشهر . وغُلِّقت الأسواقُ ، ولبس مماليكُه البلاسات (٤) والحُصْر ، وجاء النساء إلى باب القلعة يندُبْنَه .

وتوَجّه إلى أخيه الكامل لنصرتِه في واقعة دمياط (٥) ، فصادف وصولُه النّصْرَة . فقيل : هذا بيُمْن غُرَّة الأشرف . وفيه قال ابن النّبيه كاتبُه وشاعرُه (٦) من قصيدةٍ :

---

(١) الأبدال: جمع بدل،وهو من اصطلاحات الصوفية . تقدم في حواشي ج٢ ص ٧٨.

(٢) تقدم الكلام عنها في الجزء٢ ص ٧٣ .

(٣) مدرسة الكلاسة ، تقع في حي الكلاسة الملاصق لجدار الجامع الأموي الشمالي . أوقفها السلطان نور الدين محمود الشهيد سنة ٥٥٥هـ على صبيان أيتام، كانت ملاصقة للجامع الأموي ، غربي باب الناطفانيين ، ولها باب يفتح إليه لا يزال إلى اليوم . وقد سميت كذلك لأن مكانها كان موضع عمل الكلس أيام بناء الجامع الأموي ، ولما ضاق الناس فتح إليها باب وأضيفت إليه . وقد احترقت سنة٥٧٠ هـ فأعاد صلاح الدين بناءها سنة ٥٧٥ كما تهدمت أثناء فتنة تيمورلنك سنة ٨٠٣ هـ فأعاد بناءها جقمق نائب دمشق سنة ٨٢٣ وأخيراً أصبح بعضها بيوتاً وبعضها أصبح جزءاً من الساحة الشرقية للمنطقة وبقي قسم صغير منها ملحقاً بالجامع الأموي (خطط دمشق للعلبي ص ١٥٨ — ١٥٩ والدارس ١ / ٤٤٧ وخطط دمشق للمنجد رقم ٣٢) .

(٤) البلاسات : جمع بلاس وهو اللباس الخشن . والبساط من شعر .

(٥) واقعة دمياط كانت مع الصليبيين . انظر خطط المقريزي ٢ /٢١٥ — ٢١٩ وبدائع الزهور ١ / ١ / ٢٦١ — ٢٦٣ .

(٦) هو علي بن محمد بن الحسن بن يوسف ، أبو الحسن ، كمال الدين،ابن النبيه :=

دِمياطُ طُورٌ ونارُ الحَرْبِ مُوْقَدَةٌ
وأنتَ موسى وهذا اليومُ مِيْقاتْ

ألقِ العصا تَتَلَقَّفْ كلَّ ما صنعوا
ولا تَخَفْ ما حبالُ القومِ حَيَّاتُ (١)

[١٥٩ آ] وكان خُوارِزْم شاه(٢) قد أَخذ أَخْلاط(٣) من نوّاب الأشرف وهو بدمشق ، ثم إنه تَوجّه إليها ومَلَكَها .

ثم إنّ الأشرف وقع بينَه وبين الكامل أخيه ونابَذَه ، ووافقه على ذلك جميع الملوك ، وصاحبُ الروم ، وملوكُ الشرق ، ولم يبق مع الكامل سوى الناصرِ صاحبِ الكَرَك ؛ وفي أثناء هذا الحال مرض الأشرف ، ومات . رحمه الله تعالى .

وكان مع اتساع مملكته ،لا يوجد في خزائنه شيءٌ من المال لِتَوَسُّعه في العطاء ، وتَخرّقِه (٤) ، ولا يزال عليه الديون للتجار .

= شاعر ومنشيء من أهل مصر . تولى ديوان الإنشاء للملك الأشرف موسى،ثم رحل إلى نصيبين فسكنها وتوفي بها سنة ٦١٩ هـ = ١٢٢٢ م له ديوان مطبوع . (الأعلام ٥ / ١٥٢ وفيات الأعيان ٥ / ٣٣٦ وبدائع الزهور ١ / ١ / ٢٥٩ ووفاته فيه سنة ٦٢١) .

(١) في هذين البيتين إشارة إلى نبي الله موسى وقصته مع فرعون وسحرته والطور والميقات . . .

(٢) هو محمد بن تكش ابن الملك أرسلان شاه بن أتسز . توفي سنة ٦١٧هـ . (انظر تفاصيل حياته في ذيل الروضتين ص ١٢٢ ودول الإسلام ٢ / ٥٨) .

(٣) أخلاط ، ويقال : خلاط : مدينة تركية على الحدود بين بلاد المسلمين والأرمن ، يتكلم أهلها العربية والفارسية والأرمنية . ولهذا سميت (أخلاط) على ما يظن (سفرنامه ص ٣٩) . وتقع في الطرف الغربي لبحيرة وان في سهلة تحف بها البساتين ، وعليها حصن وبردها قارس يخترقها نهر عليه جسر يصل بين قسميها (بلدان الخلافة الشرقية ص ٢١٨ معجم البلدان ١ / ٩٠) .

(٤) تخرق في الكرم : توسع فيه .

ولقد رأى يوماً في داره (في) دواة كاتبِهِ كمالِ الدينِ ابنِ النبيه قلماً واحداً ، فأنكر عليه ذلك . فقال ارتجالاً :

قال الملكُ الأشرفُ قولاً رَشَدا
أقلامُكَ يا كمالُ قَلَّتْ عَدَدا

جاوبْتُ لعِظَمِ كتْبِ ما تُطْلقُه
تَحْفى فتُقَطُّ فهي تَفْنى أبدا

وله فيه الأمداحُ الطائلة الهائلة ، وهي في ديوانه .

وعَمَّر / بدمشق دار الحديث التي تحت القلعة (١) ، وعَمَّر [١٥٩ ب] التربة التي بجوار الكلاّسة ، ووضع فيهما الكتب النفيسة المليحة ، من كل نسخة عدَّة نسخ (٢) . وكان بظاهرِ العُقَيْبَةِ (٣) خانٌ يعرف بابن الزَّنجاري ، يجرى فيه من الفسقِ والخمر أمور قبيحةٌ ، فهَدَمَهُ وعَمَّره جامعاً ، وسمي جامع التوبة (٤)

---

(١) بناها الملك الأشرف موسى بجوار باب القلعة الشرقي ، غربي سوق العصرونية . وكانت داراً للأمير صارم الدين قايمازين عبد الله النجمي وكان فيها حمام فاشترى ذلك الملك الأشرف موسى وبناها دار حديث ، وأخرب الحمام وبناه سكناً للشيخ المدرس وذلك سنة ٦٢٠ كما قال الذهبي في مختصر تاريخ الإسلام (الدارس ١ / ١٩) وانظر خطط دمشق للعلبي ص ٧٥ — ٧٧ .

(٢) لعله يريد من كل كتاب عدة نسخ .

(٣) العقيبة : حي بدمشق شمالي باب الفراديس ، وهو من الأحياء التي أحدثت في عصر المماليك ، وقد ازدادت شهرته عندما بني فيه جامع التوبة (في رحاب دمشق ص ١١١ ومجلة الشرق لسنة ١٩٣٦ — سوفاجيه ص ١٧٩) . وذكر القلقشندي وهو يصف قلعة دمشق أن جانب القلعة الشمالي يسمى العقيبة وهو مدينة مستقلة بذاتها ، ذات أبنية جليلة وعمائر ضخمة يسكنها الأمراء والجند (المختار من صبح الأعشى ٥ / ١٥) .

(٤) وذلك سنة ٦٣٢ هـ ولا يزال هذا الجامع قائماً حتى اليوم . انظر الدارس ٢ / ٤٢٦ وفي رحاب دمشق ص ٨١ .

ومن مآثره أنه كان يشرب بظاهر حرّان مع أصحابه ، فمرّ به الشيخ حياة . فقال : هلمّوا ، فننكر عليه . فهرب الأشْرَفُ ، وقال لأصحابه : قوموا ، وكسر ما هناك من أواني الشرب ، ورجع الأشرف ، وقال لأصحابه ، وقد أنكروا هروبه : اسكتوا فسوف ترون بَرَكَةَ هذا . فلما كسر الخُوارزميّةَ قال لأصحابه : هذه الكَسْرَةُ لنا بِكَسْرَتِنا من الشيخ حياة في ذلك اليوم .

ومن شعره ما كتب به إلى الناصر الخليفة :

العبدُ موسى ذو الضّراعة طَوْرُهُ
بغدادُ أُنسٍ عندها نارُ الهدى

عبدٌ أعدَّ لدى الإله وَسيلة
دنيا ودينا أحمداً ومحمّدا

هذا يقوم بنصره في هذه
عند الخطوب وذاكَ شافِعُه غدا

[١٦٠ آ] / ومن شعره في مملوكٍ له خزندار (١) :

أفدي قمراً تَحار فيه الصِّفَةُ
يسخو بدمي وهو أمينٌ ثِقَةُ

---

(١) الخزندار : هو الذي يتولى خزانة السلطان . وهذا اللفظ مركب من لفظين : أحدهما عربي هو خزانة وهي ما يخزن فيه المال ، والثاني فارسي وهو دار : أي ممسك ، فصار المعنى ممسك الخزانة ، والمراد المتولي أمرها . (نهاية الأرب ٨ / ٢٠٥ — ح ٤) . وأميرها يسمى أمير خازندار وهو برتبة طبلخاناه ثم استقرت تقدمة ألف (صبح الأعشى ٤ / ٢١) .

ماذا عجبٌ يحفظ مالي ويَسرى
روحي تَلِفَتْ به ولا يَتَلَفَّتْ

* * *

أيامُ الصالح أبي الخيش

ثم تولّى أمْرَها أبو الخَيْشْ
فما استتبَّ أمرُه ولا انتعشْ

وجاءَ مَنْ أغَصَّهُ بِرِيْقِهِ
والسيفُ ما يُغضي على بَريقِهِ

الملكُ الصالحُ عمادُ الدين إسماعيلُ ابن الملك العادلِ محمد بن أيوب المعروف بأبي الخَيْشِ (١) .

سمي بذلك ، لأنّه كان يطعن في خَيْشَةِ قُطن ويحملُها من الأرض برمحه .

كان صاحبَ بَعْلَبَكّ وبُصْرى ، مَلَكَ دمشقَ بعد موت أخيه الأشرف في سنةِ خمسٍ وثلاثين وستمائة ، وخلع على الأمراء، وبقي أياماً . ولمّا بلغت وفاةُ الأشرف أخاه الكاملَ ركب من مصر وجاء إلى دمشق ونازلَها وأخذها من أخيه الصالح ، فعاد إلى بعلبك . ثم إنه هجم

(١) ترجمته في الوافي بالوفيات ٢١٥/١٩ والبداية ١٣ / ١٧٩ والشذرات ٥ / ٢٤١ وهو فيه أبو الجيش . تصحيف .

هو والمجاهد صاحب حمص (١) على دمشق وملكها في سنة سبع وثلاثين .

وبدت منه هَنَاتٌ . واستعان بالفرنج على حرب أخيه ، وأعطى الفرنج / حصن الشّقيف (٢) ثم أُخذتْ منه سَنَةَ ثلاثٍ وأربعين وستمائة . [١٦٠ ب]

وعاد إلى بعلبك ولم يَقرَّ له قَرار . فلَفَّ عليه الخوارزميّةَ وجاؤوا إلى دمشق ، وحاصروها وضيّقوا عليها ، فبلغت الغرارة القمحُ ألفاً (٣) وستمائة ، والقنطارُ الدقيقُ تِسْعَمائة . والخُبز أوقيتان إلا ربع بدرهمٍ ، ورِطل اللحم سبعةَ دراهم ، وعُدمت الأقواتُ ، وبيعت الأملاك بالدقيق ، وأُكِلَتْ المَيْتَةُ والدمُّ والكلبُ ، ومات الناسُ على الطرق ، وكان الانسان إذا مر بالجبل وشمَّ رائحة الأموات مرض . وضجر الناس من الغسل والتكفين . وكانوا يحفرون الحُفَر ويرمون فيها الموتى ؛ ومع ذلك الخمرُ والمكُوس بحالها ، والفِسْقُ على حاله . ولم يزل الحال بعد ذلك يأخذ بالنقصان ، إلى أن انسلخ المُحَرَّمُ وأظنُّه سنة أربع وأربعين وستمائة ، فبيع اللحمُ كلُّ رطلٍ وثُلُث بدرهم .

---

(١) هو أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن شيركوه بن شادي . مات بحمص سنة ٦٣٧ هـ . أخباره في التاريخ المنصوري في حواشي الصفحات ٥ و ٩ و ١٦ وصفحات أخرى متفرقة ، وذيل الروضتين ص ١٦٩ .

(٢) الشقيف كالكهف أضيف إلى أرنون ، وهو اسم رجل إما رومي وإما إفرنجي . وهو قلعة حصينة جداً في كهف الجبل في أرض بانياس (جنوب غرب دمشق وشمال غرب مدينة القنيطرة) وتبعد عن دمشق ٩٢ كم وعن القنيطرة ٢٦ كم) وهي غير بانياس الواقعة على ساحل البحر المتوسط . (معجم البلدان ٣ / ٣٥٦٠ والقلاع في أيام الحروب الصليبية ص ٨٠) .

(٣) في الأصل المخطوط : « ألف » .

وفي جُمادى الآخرة منها بِيْعَ اللحمُ كلُّ رِطْلٍ ونصف بدرهم. فسبحان اللطيفِ بعباده .

ثم إن الصالح أيوب استمال الخُوارزميّة ، / وصاحبَ حمص عن [١٦١ آ] الصّالحِ إسماعيلَ . وجاءت العساكر من كلٍّ ناحية ،فكسروا الخوارزمية وهربَ إسماعيل أبو الحيش وصاحبُ صَرْخَد ومَنْ سَلم ، ووصلوا إلى حَوْران (١) . وجاء المنصور في خدمة الصالح أيّوب، وجهّز أيوبُ فخر الدين ابنَ الشيخ (٢) وكان معتقلاً ، ومعه العساكر إلى دمشق ، وكان حسام الدين بن أبي علي (٣) بدمشق ، فساق إلى بعلبك ، وتسلّمها باتفاق من الشّاماني مملوك الصالح إسماعيل . وبعث أولادَ إسماعيلَ وعيالَه إلى مصر . ولم يبق للصالح إسماعيل في الشّام مكانٌ يأوي إليه ، لأنه راحت منه بُصرى وغيرُها ، وتوجّه إلى حلب وبقي في خدمة ابن أخيه الناصر يوسف (٤) ، وسار الناصر إلى مصر ليأخذها ، فأُسِرَ هو وإسماعيل الصالح ؛ ومَرّوا به أسيراً على تُرْبَةِ ابن أخيه الصالح نجم الدين ، فصاحتِ البَحْرِية (٥) ، وهم غلمان نجم الدين :

---

(١) تقدم التعريف بحوران في حواشي الصفحة ١٥٣ ج١ .

(٢) هو نائب السلطان في القاهرة ، واسمه يوسف ابن شيخ الشيوخ ، صدر الدين ، جعله الملك الكامل أحد الأمراء ، وبعثه في عدة سفارات ، قبض عليه العادل وبعد خلع العادل أكرمه الملك الصالح نجم الدين أيوب . قاتل الفرنج بدمياط ، وقام بتدبير المملكة بعد موت الصالح ، واستشهد في قتال الفرنج بالمنصورة سنة ٦٤٧ هـ (خطط المقريزي ٢ / ٣٤) .

(٣) ذكره المصنف بين الولاة . يأتي في الصفحة ١٥١ .

(٤) سيأتي الكلام عنه ص ١٥٤ .

(٥) أي المماليك البحرية .

يا خَوَنْد (١) أين عَيْنُكَ ترى عَدُوَّكَ ؟ ، ثم إنهم أخرجوه من القلعة ليلاً ، ومضوا به إلى الجبل . وقتلوه هناك . وعَفَّوا أَثَرَه .

[١٦١ ب] وكان في سنة / ثمان وثلاثين وستمائة ، قد عَزَلَ الشيخ عز الدين ابن عبد السلام (٢) عن خَطابة دمشق ، وحَبَسَه، وحبس أبا عمرو بن الحاجب(٣) لأنهما أنكرا عليه ما فعله من إعطائه الفرنج قلعة الشّقيف لصاحب صَيْدا ، ثم أطلقهما بعد مدةٍ وأَلْزَمَهُما بيوتَهما ، وولّى العمادَ بنَ خطيب بيت الآبار(٤)

وكان الصالح إسماعيل لما انتصر بالفرنج والخُوارِزْميّة ، قد استمالهم الصالح أيوب صاحب مصر ، وأردفهم بالعساكر . وسار الصالح إسماعيل هو وصاحب حمص ، وساق تحت أعلام الفرنج ، وعلى رؤوسهم الصُّلْبان والأقِسّاء (٥) في الأطلاب (٦) يُقَسِّسون

---

(١) الخوند : المولى أو السيد ، ومؤنثه خوندة . (دوزي) ومعناه الصاحب أو الأفندي أو الحاكم أو البيك وقد استعمل هذا اللفظ كثيراً في العهد الأيوبي في مخاطبة الملوك (المعجم التركي ص ٣٨٤ والقلائد ٦٧ ح ١) .

(٢) هو شيخ الإسلام أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام ، توفي بمصر سنة ٦٦٠ هـ ودفن بالقرافة ، وصلى عليه السلطان الظاهر بيبرس ، وصلى عليه الناس صلاة الغائب في جامع بني أمية بدمشق وغيره من جوامع الشام (دول الإسلام ١٢٨/٢ بدائع الزهور ١/١/ ٢٧٣ و ٢٧٥ وغيرهما وذيل الروضتين ٢١٦) .

(٣) هو عثمان بن عمر ، جمال الدين،فقيه مالكي ومن كبار العلماء بالعربية . ولد في أسنا (في صعيد مصر) سنة ٥٧٠ هـ = ١١٧٤ م وسكن دمشق ، ومات بالإسكندرية سنة ٦٤٩ هـ = ١٢٤٩ م له مصنفات كثيرة (الأعلام ٤ / ٢١١) .

(٤) بليدة خربت وكانت حاضرة الإقليم وسمي باسمها ويؤخذ من كلام ابن عبد الهادي في القرن العاشر انها كانت موجودة في عصره . ومن عملها المنيحة وجرمانا ودير هند وبيت سابا أو سابر والغالب أنها التل الكبير الماثل للعيان شرقي جرمانا .وقد خربت غير مرة ويقال لخرائبها الآن تل أم الإبر وهي على نهر العقرباني بين المقسمين في طريق المنيحة غربي دير خليل وبين التل والدير طريق ماء (غوطة دمشق ص ٢٢٣) .

(٥) الأقساء : جمع قسيس . أو قس ، وهو لقب رجل الدين النصراني .

(٦) الأطلاب: جمع طلب ، وهو لفظ كردي معناه الأمير الذي يقود مئتي فارس =

على المسلمين ؛ ويُصلِّبون عليهم بأيديهم . وساق الخوارزميّة والفرنج في الميمنة ، وعسكرُ الناصر داودُ في الميسرة ،وصاحبُ حمص في القلب . وكان يوماً عظيماً لم يُرَ في الإسلام مثلُه ، فأول ما كُسرت الميسرة ، وانهزم صاحب حمص ومالت الميمنة بالفرنج ، فرأوا الميسرة والقلب قد انكسروا فخذلوا . وهرب عسكر مصر وثبت الخوارزميّة ، ثم إنهم حصلوا الفرنج بالسيف . / وكان الفرنج ألفاً (١) [١٦٢ آ] وخمسمائة فارس ، وعشرة آلاف راجل ، فأسروا منهم ثمانمائة أسير وزادت القتلى على عشرين ألفاً . وبعث الخوارزمية برؤوس القتلى إلى مصر ،وهرب صاحب حمص إلى دمشق في نفر قليلٍ ،وقد نهب جميع ماله ، وقُتل أصحابُه . وطلب شاشاً (٢) فلم يجد ،فجعل يبكي ويقول : قد علمتُ أننا لمّا سِرْنا تحت الصُّلبان أننا ما نُفلح أبداً .

وفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، حضر معين الدين ابن الشيخ (٣) من مصر إلى دمشق وحصرها من كل ناحية ، ورمى النفط في قصر حَجّاج (٤) ، ورمى بالمناجق (٥) ، وكان يوماً عظيماً .

=في ميدان القتال ، أو مئة فارس،أو سبعين فارساً . استعمل هذا المصطلح أولا أيام صلاح الدين الأيوبي ثم تطور وعدل مدلوله فأصبح يطلق على الكتيبة من الجيش (السلوك ١/٢٤٨ وإعلام الورى ٧٩ – ح ٢ وذيل المعاجم العربية للوزي ويراد به أيضاً : المكان الذي تشغله الجوقة الموسيقية في قلعة الجبل بالقاهرة أو قلعة دمشق (صبح الأعشى ٤ / ٨) .

(١) في الأصل المخطوط (ألف) .

(٢) الشاش : قطعة طويلة من القماش الأبيض الرقيق تلف حول الطربوش ، أو حول الرأس ، ترتفع عنه ارتفاعاً معيناً ، وتكون مزدانة من الجانبين بحواش وهدابات حريرية وقد تكون ذهبية ويرسلها حاملها على الظهر بين الأكتاف (المعجم المفصل ١٩٧) وقماش الشاش معروف حتى اليوم يستعمل لأغراض كثيرة

(٣) ذكره المصنف مع الولاة . انظر صفحة ١٤٩ القادمة .

(٤) محلة ظاهر باب الجابية من سور دمشق.لاتزال قائمة.تقدم التعريف بها فيج١ص٢٤٦ .

(٥) المناجق : جمع منجنيق،وهو آلة ترمى بها الحجارة . .

وبعث الصّالح إسماعيل ، فأحرق من جَوْسَقِ العادل (١) إلى زقاق الرمان والعُقَيْبة (٢) بأسرها . ونُهبتْ أموالُ الناس ، ورُموا على الطرق ، وأحرق بعضهم ، وهرب الصالح إسماعيل وصاحب حمص في الليل إلى بعلبك ، وكان ابنُ الشيخ حَسَنَ التدبير ، فلم يمكّن الخُوارِزْمِيّةَ من الدخول إلى دمشق . فرحلوا وجهّزوا إلى الصالح إسماعيل ، واتفقوا معه ، على الصالح أيوب بعد ما نهبوا داريّا (٣) [١٦٢ ب] وأحرقوها / وعادوا إلى دِمَشْقَ وحاصَروها ، وجاءهم الصالح إسماعيلُ من بَعْلَبَكَّ ، وضايقوا دمشقَ ، فكان ذاك الغَلاءُ العظيم المقدَّمُ ذكْرُه . .

وتوفي ابن الشيخ في شهر رمضان سنة ثلاثٍ وأربعينَ وستّمائة ، وكانت قتلةُ الصالح أبي الجَيْشِ بالقاهرة سنة ثمانٍ وأبعينَ وستمائة .

وفيه يقول أحمد بن المعلم :

ضَيّعَ إسماعيلُ أموالَنا ... وخرَّبَ المَغْنى بلا مَعْنى

وراحَ مِنْ جِلّقَ هذا جزاءُ ... مَنْ أفْقَرَ الناسَ وما استَغْنى

* * *

(١) الجوسق : القصر ، أو بناء صغير يشاد في بستان . أو على سطح بناء للمتعة . معرب (جوسه) (الألفاظ الفارسية المعربة ، الصحاح) .

(٢) العقيبة : محلة بدمشق ، تقدم التعريف بها ص١٢٧ ج٢ ، وزقاق الرمان فيها (الأعلاق الخطيرة — تاريخ دمشق ص ١٤١) .

(٣) داريا : تقدم التعريف ص ٤١ ج١ ، وهي قرية قرب دمشق .

وكتب إليه الشيخُ شمس الدين محمد بن سعد بن نُمير المَقدسي الحنبلي الكاتب (١) . وكان فاضلاً من أهل العلم :

يا مالكاً لم أجِدْ لي مِنْ نصيحته بُدّا
وفيها دمي أخشاه مُنْسَفِكا

اِسْمَعْ نصيحةَ مَنْ أوْلَيْتَه نِعَماً
يخافُ كُفْرانها إنْ كفَّ أو تَرَكا

واللهِ لا امْتَدَّ مُلْكٌ مَدَّ مالكُه
على رَعيّتِه مِن ظِلِّه شبكا

ترى الحسود به مستبشراً فَرِحاً
مُسْتَغْرِباً من بَوادي أمره ضَحِكا

وزيرُه ابنُ غزالٍ والرفيع له
قاضي القضاة ووالي حَرْبِه ابنُ بكا (٢)

وثعلبٌ وفُضَيلٌ مَنْ هما وهما
أهْلُ المَشورة فيما ضاق أو ضَنُكا

---

(١) نشأ بقاسيون على الخير والصلاح ، كتب للصالح اسماعيل والناصر داود ، وكان شاعراً . توفي بدمشق سنة ٦٥٠ هـ ، ودفن بقاسيون (مرآة الزمان ٨ / ٥٨٣ – ٥٨٤)

(٢) ابن غزال : هو أمين الدولة بن غزال بن أبي سعيد ، أبو الحسن : وزير ، عالم ، طبيب . كان سامرياً وأسلم بدمشق ، واستوزره فيها الملك الأمجد بهرام شاه ، ثم استوزره الملك الصالح إسماعيل . مات شنقاً سنة ٦٤٨ هـ = ١٢٥٠ م (الأعلام ١ / ٣٥٨ والوافي ١٢ / ١٠٤ وعيون الأنباء ٣ / ٣٨٣ ، العبر ٥ / ١٩٩) .

والرفيع : هو قاضي القضاة أبو حامد عبد العزيز بن عبد الواحد بن إسماعيل الجيلي الشافعي . ولاه الصالح إسماعيل قضاء دمشق سنة ٦٣٨ هـ ، أعدم زمن الصالح سنة ٦٤٢ هـ ، (الوافي بالوفيات ١٤ / ١٣٩ والثغر البسام ٦٩ والدارس ١ / ١٨٨ – ١٨٩).

[٢١٦٣] / جماعةٌ بهم الآفاتُ قد نُشِرتْ
والشّرعُ قد مات والإسلامُ قد هلكا

ما راقبوا اللهَ في سرٍ ولا علنٍ
وإنما يَرْقبون النّجْم والفلَكا

إن كان خيراً ورزقاً واسعاً فلهم
أو كان شراً وأمراً سيئاً فلكا

كان الصّالح قد وزر له أبو الحسن بنُ غزّال البعلبكيّ الطبيبُ ، وكان سامريّاً أولاً ، وأقام القاضي رفيعُ الدين الجيلي ، قاضي القضاة فجرى على الناس منه ما ذكرته في ترجمته في تاريخي الكبير (١) ، وذكرتُ ترجمة الوزير أيضاً (٢) .

* * *

أيامُ الكامل

وحازَها الكاملُ بَعْدَ ذلكْ
والمرء ما ينجو من المهالكْ

أتى إليها بعد موتِ الأشرفْ
وطالِبُ الموتِ عليه مشْرِفْ

وفرَ إسماعيل بعد ملكها
لِبَعْلَبَكّ داخلاً في سِلْكِها

(١) أي كتاب الوافي بالوفيات . انظره في الجزء ١٤ ص ١٣٩ .
(٢) في الوافي بالوفيات ج ١٢ ص ١٠٤ .

وَلَـــم يَطُـلْ لِلكامِـــلِ المقَـــامُ
حتى نَعَـــتْ حِمـــامَـــهُ الحمَـــامُ (١)

السلطان الملكُ الكاملُ ، ناصر الدين ، أبو المعالي ، وأبو المظفر محمد ابن السلطان الملكِ العادلِ أبي بكر محمدِ بنِ أيوبَ (٢) .

ولد بمصر سنة ست وسبعين وخمسمائة . وتوفي بدمشق / في سنة [١٦٣ ب] خمس وثلاثين وستمائة في بيت صغيرٍ ، ولم يشعر به أحد لمهابتِه . مَرِضَ بالسُّعال والإسهال نيفاً وعشرين يوماً ، ولم يَحزَنِ الناسُ عليه ولحقتهم بَهْتَةٌ ، ودُفن بالقلعة (٣) في تابوتٍ ، ثم نقل إلى تربته المعروفة بجانب السُّمَيْساطية (٤) وشبّاكها إلى صحن الجامع ، وليلةَ ماتَ لم يصبح الشُّبّاكُ إلا وهو مفتوحٌ .

ولمّا استردَّ الكامل دمياط من الفرنج (٥) ، وذلك في شهر رَجَبَ سنةَ ثمانَ عَشْرَةَ وستّمائة وجاءه ملوكُ الفرنج وتلقّاهم وأنعم عليهم وضرب لهم الخيام ، ووصل الأشرفُ والمعظّمُ إلى المنصورة في تلك الحالة ، وجلس الكامل مَجْلِساً عظيماً ومدَّ سِماطاً هائلاً ، ووقف

---

(١) الحِمام (بكسر الحاء) : الموت . والحمام (بالفتح) : الطائر المعروف .

(٢) ترجمته في وفيات الأعيان ٥ / ٧٩ وترويح القلوب ٧٨ والشذرات ٥ / ١٧٢ والبداية والنهاية ١٣ / ١٤٦ وأخباره في صفحات كثيرة من تاريخ المنصوري .

(٣) أي في قلعة دمشق .

(٤) خانقاه السميساطية : أشهر الخوانق بدمشق ، واقفها أبو القاسم علي بن محمد بن يحيى السلمي السميساطي ، كان أحد أكابر الرؤساء وماهراً في الهندسة وعلم الهيئة . وكانت داراً لعبد العزيز بن مروان ، ولابنه عمر من بعده كما كان مكتوباً على بابها حسب رواية الصفدي . جددتها مؤخراً مديرية أوقاف بدمشق سنة ١٣٣٩ هـ ، وهي تلاصق جدار الجامع الأموي الشمالي ، من الناحية الشرقية (انظر خطط دمشق ص ٣٩٨) .

(٥) انظر بدائع الزهور ١ / ١ / ٢٦١ ، ٢٦٣ وذيل الروضتين ١٢٨ – ١٣٠

أخواه الأشرف موسى والمعظم عيسى في خدمته . وقام راجحٌ الحِلِّيُّ (١) وأنشد :

هَنيئاً فإنَّ السَّعد راحَ مُخَلَّداً
وقد أنجزَ الرَّحمنُ بالنصر مَوْعِدا

حبانا إلهُ الخَلْقِ فَتْحاً بدا لَنا
مبيناً وإنعاماً وعِزّاً مؤيَّدا

تهلَّلَ وَجْهُ الدهر بعد قُطوبِه
وأصبحَ وَجْهُ الشِّرْكِ بالظلمِ أسودا

[١٦٤.آ] / ولمّا طغى البَحْرُ الخِضَمّ بأَهله الـ
ـطغاة وأضحى بالمراكب مُزْبِدا

أقام لهذا الدينِ مَنْ سَلَّ عَزْمَه
صقيلاً كما سَلَّ الحسامَ مُهَنَّدا (٢)

فلم يَنْجُ إلاّ كُلُّ شِلْوٍ مُجدَّلٍ
ثوى منهم أو مَنْ تَراه مُقَيَّدا (٣)

---

(١) هو راجح بن إسماعيل الأسدي الحلي ، أبو الوفاء : شاعر من أهل الحلة في العراق . ولد سنة ٥٧٠ هـ = ١١٧٤ م ، هاجر إلى حلب ، وحظي عند الأيوبيين ، واستقر فيها إلى أن مات سنة ٦٢٧ هـ = ١٢٣٠ م ودفن بظاهرها في جوار مسجد النارنج ، شرقي مصلى العيد . (الوافي ١٤ / ٥٣ وفيات الأعيان ٤ / ١٠ ، حسن المحاضرة ١ / ٢٧١) . والأبيات في ذيل الروضتين : ١٣٠ .

(٢) في ذيل الروضتين . . . كماسل الحسام مجرداً .

(٣) في ذيل الروضتين : « فلم تر إلا . . . . والشلو : كل مسلوخ من اللحم أكل منه شيء وبقيت بقية .

ونـادى لسـانُ الكـونِ في الأرض رافعـاً
غقَيِنْرَتَـهُ فـي الخـافِقَيْنِ ومُنْشِدا

أعُبّـادَ عيسى إن عيسى وحِـزْبَـه
وموسى جميعـاً يَخْـدُمـان مُحَمّـدا (١)

وأشار عند قوله عيسى إلى المعظّم ، وعند قوله موسى إلى الأشرف ، وعند قوله محمد إلى الكامل .

وكان عنده مسائل من العربية يَمْتَحِنُ بها الفُضلاءَ .

ومَلَكَ الديارَ المصرية أربعين سَنَةً شَطْرُها في أيامِ والده

قلتُ : هو نظيرُ معاويةَ — رضي الله عنه — لأنه وَلِيَ دمشقَ أربعينَ سنةً ، عشرينَ نائباً لِعُمَرَ وعُثْمان — رضي الله عنهما — وعشرين خليفةً .

وعمّر دارَ الحديث بالقاهرة سنة إحدى وعشرين وستمائة (٢) . وجعل ابن دِحْيَةَ شيخَها(٣) . وعَمّر القُبّة على ضريح الإمام الشافعي رضي الله عنه . وجرّ الماء إليها من بِرْكَة الحَبْش(٤) إلى حوض السبيل والسِّقاية .

---

(١) في ذيل الروضتين : « ينصران محمداً » .

(٢) وبناها الكامل وسميت المدرسة الكاملية وتقع بخط بين القصرين ووقفها على المشتغلين بالحديث النبوي ومن بعدهم على الفقهاء الشافعية وذكر المقريزي أن الكامل بناها عام ٦٢٢ هـ . وهي ثاني دار للحديث بعد دار الحديث بدمشق (خطط المقريزي ٢ / ٢٧٥) .

(٣) هو المحدث محمد بن عمر بن علي بن دحية بن خليفة الكلبي . ولد بالقاهرة سنة ٦١٠ هـ وتولى مشيخة دار الحديث الكاملية المذكورة ، وتوفي سنة ٦٦٧ هـ زمن الكامل المذكور .

(٤) بركة الحبش : كانت تعرف ببركة المغافر وببركة حمير ، وتعرف أيضاً باصطبل قرة أو قامش ، وهي من أشهر برك مصر ، تقع في ظاهر مدينة الفسطاط من قبليها ، بين الجبل والنيل . (خطط المقريزي ٢ / ١٥٢) .

وله مواقف مشهودة في الجهاد في الفرنج . وأنفق الأموال العظيمة ،
[١٦٤ ب] وكان / يحب أهل العلم ويُجالِسُهم ، ويُؤْثِرُ العَدْلَ ، شكى إليه ركاب دار (١) أنّ أستاذه استخدمه شهراً بلا جامكيّة (٢) . فألبس الغلامَ قماشَ أُستاذِه (٣) وأمر أستاذَه أن يخدم الغلامَ ويحمل مداسه ستة أشهر .

وكانت الطرق آمنةً في أيّامه ، وفتح اليمن والحجاز ، وشنق جماعة من الأجناد في أكيالِ شعيرٍ أخذوها . وكان بعضُ خواصه قد صار يبدو من فلتات لسانه كلماتٌ فيها غِلْظَةٌ ، ودام على ذلك إلى أن مات . فقال لبعض ثقاته : امْضِ إلى كمرانه (٤) وائتني بما فيه سَريعاً . فأُتي بشيء من الذرور ، فأحضر الطبيب وقال له : ماهذا ؟ فقال : سُمٌّ . فقال لأصحابه : أيَهذا مع هذا الشخص ثلاث سنين وهو يترقب أن يجعل منه في إناء ويسقيني إيّاه . وأنا أعلم به ، وما أحببتُ أن أفضحه .

---

(١) الركاب دار أو الركابي : هو الذي يحمل المشاعل أمام ركاب السلطان او الخليفة في المواكب الرسمية أو أيام الأعياد في أيام الفاطميين ، أو أوقات خروج السلطان من القصر . (صبح الأعشى ٤ / ٧ ، ١٢) . أو هو من يمسك راحلة الخليفة أو الأمير ، ويعتني بها . والركبخانة : مكان أو بيت ركب الخليفة ، ويشرف عليها مهتار الركب خانة ، والمهتار : لقب كبير طائفة من غلمان البيوت . وهو مركب من لفظين فارسيين : الأول (مه) ومعناه الكبير ، والثاني (تار) بمعنى أفعل التفضيل ، فمعنى المهتار : الأكبر (صبح الأعشى ٣ / ٤٧٣) .

(٢) الجامكية : وجمعها جوامك : ما يرتب من مال ومطعم وملبس وغير ذلك لمماليك السلطان ، ويقال أيضاً لرواتب الموظفين والمدرسين ، ويقال لمن يستحقها ويتناولها أصحاب الجوامك . (نزهة النفوس ١ / ٣٥٠ وتكملة المعاجم العربية ٢ / ١٢٧) . وأصله بالفارسية (جامكي) أي الراتب والأجر (نهاية الأرب ٢ / ٢٠٥ – ح ٨) .

(٣) القماش : يراد به هنا الثوب .

(٤) الكمران : الزنار .

ولمّا مات الأشرف ، وملك الصالح أبو الجَيْش دمشقَ بعده . حضر الكامل إلى دمشق ونازلها وملكَها وهرب الصالحُ إلى بَعْلَبَكَّ . ودخل الكاملُ القلعةَ ، فأقام بها شهرين ومات . رحمه الله تعالى .

ومن شعره :

/ إذا تَحَقَّقْتُمُ ما عِنْدَ عَبْدِكُمُ [١٦٥.آ]
مِن الغرامِ فذاكَ القَدْرُ يَكْفِيهِ

أنتم سكنتمُ بقلبي وهو منزلكم
وصاحبُ البيت أدرى بالذي فيه

* * *

أيام الجواد يونس

ثم تولاّها الجَوادُ يُونُسُ
والجُودُ في الوحشةِ منه يُونِسُ

لكنّه كان يليه ظُلْمَهْ
فأضحت الأيّام منه مُظْلِمَهْ

الملك الجواد ، مظفر الدين ، يونس ابن الأمير شمس الدين مَوْدود(١) ابن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب .

(١) ترجمته في النجوم الزاهرة ٦ / ٣٤٨ والبداية والنهاية ١٣ / ١٦٣ ومرآة الزمان ٨ / ٧٣٧ وذيل الروضتين ص ١٦٦ والتاريخ المنصوري ص ١١٣ و ١٣٥ وصفحات أخرى . وفي الأصل المخطوط : « ممدود » تصحيف . صححناه من المصادر .

كان في خدمة عمه الكامل ، فوقع بينهما ، فسار إلى عمه المعظم عيسى فأقبل عليه ، وعاد إلى مصر . فلما مات الأشرف جاء مع عمه الكامل إلى دمشق . فلما مات الكامل مَلَكَ الجوادُ دمشق .

وكان جواداً كلقبه ، فتح الخزائن لما ولي . وفرّق على الأمراء ووجوه الدولة ستة آلاف دينار ، وخمسة آلاف خِلْعَة . وأبطل الخمور ، والمكوس ونفى الخَواطيء . وقبض على ابن مرزوق (١) وأخذ منه أربعمائة ألف دينار . ومن عجزه قال : أنا نائب العادل الذي في مصر ، [١٦٥ ب] وكان حوله ظَلَمَة / هم الذين أفسدوا عليه الحال .

وفي الآخرة ، كتب إلى الصالح نجم الدين بن الكامل ، فقدم عليه دمشق وسلّمه إياها وعوّضه عنها سِنْجار وعانة (٢) وسار إلى الشرق فلم يتمّ له الأمر . وأُخذت منه سنجار ، وبقيت في يده عانَة ، فباعها للخليفة بجملة من الذهب. ثم صار إلى مصر وافداً على عمه الصالح ، فهمّ بالقبض عليه ، فتسحب إلى النّاصر داود بالكَرَك (٣) ، فقبض عليه ثم إنه انفلت منه . وقدم على الصالح إسماعيل صاحب دمشق فلم يَبَشّ له ، فقصد ملك الفرنج الذي في بيروت وصيدا فأكرمه . وشهد مع

---

(١) هو إبراهيم بن عبد الله بن هبة الله بن مرزوق ، الصاحب صفي الدين العسقلاني التاجر . ولد سنة ٥٧٧ هـ وتوفي سنة ٦٥٩ هـ سجنه أسد الدين شيركوه ثم أفرج عنه . وكان وزيراً للأشرف موسى بن العادل بدمشق . (الوافي بالوفيات ٦ / ٣٨) .

(٢) عانة : بلد مشهور بين الرقة وهيت يعد من أعمال الجزيرة الفراتية ، مشرف على الفرات قرب حديثة النورة ، فيه قلعة حصينة (معجم البلدان ١ / ٧٢) وقال القلقشندي بلدة صغيرة على جزيرة في وسط الفرات ، يطوف بها خليج من الفرات . (المختار من صبح الأعشى ٥ / ١٧٢) وسنجار : تقدم التعريف بها ص١٤٢ /ج٢ .

(٣) الكرك : تقدم التعريف بها ص ٩٩ ج٢ .

الفرنج واقعة قلنسوة (١) في (٢) فيها ألف مسلم . ثم بعث إليه الصّالح إسماعيل الأميرَ ناصرَ الدين بن يَغْمور ليحتال عليه بخديعةٍ . فيقال: إنه اتفق معه على إسماعيل الصالح . ثم إن الصالح إسماعيلَ ظفر بالجواد وسجنه بحصن عزّتا (٣) ، وسَجَنَ ابنَ يغمور بقلعة دمشق . فطلب الفرنج الجواد من إسماعيل وقالوا : لابُدّ لنا منه ، فأظهر أنه مات . وأهلُه يقولون : بل خَنَقَه . ودفن بقاسيون في شوّالٍ / سنة إحدى [١٦٦ آ] وأربعين وستمائة . بتربة المعظّم (٤) . ويقال : إن أمّه إفرنجية .

* * *

أيامُ الصالحِ أيوبَ

السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن السلطان الملك الكامل محمد ابن السلطان الملك العادل محمد بن أيوب (٥)

ولد في سنة ثلاثٍ وستمائة ، وتوفي سنه سبع وأربعين وستمائة.

ولما قدم أبوه إلى دمشق في آخر سنة خمسٍ وعشرين استنابه على مصر . ولمّا عاد انتقد عليه أحوالاً ، ومال عنه إلى العادل وَلَدِه . ولما

---

(١) قلنسوة : حصن قرب الرملة من أرض فلسطين (معجم البلدان ٤ / ٣٩٢) .
(٢) هذه الكلمة مبهمة في الأصل ، ولعلها كما أثبتناها .
(٣) حصن عزتا : موضع قرب عين الفيجة التي تبعد عن دمشق ٢٤ كم غرباً (الأعلاق الخطيرة ١/٣٥٦ ح٦). وفي مسالك الأبصار أن عين الفيجة تخرج من مكان تحت حصن عزتا (غوطة دمشق ص ٨٧ – ح ١) .
(٤) تقدم التعريف بالمدرسة المعظمية والتربة المعظمية في حواشي الصفحة ١١٤ ج٢.
(٥) ترجمته في الوافي بالوفيات ١٠ / ٥٥ وذيل الروضتين ص ١٨٣ وترويح القلوب ٧٩ والشذرات ٥ / ٢٣٧ ولمعرفة أخباره انظر بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٢٦٩ – ٢٧٩ .

استولى الكامل على حَرّانَ وحِصْنِ كَيْفا (١) وسِنْجار ، سَلْطَنَهُ وجَهزّه على هذه البلاد مَلِكاً . فلما تولى العادلُ أخوه مصرَ طمِع الصالحُ فيه ، وكاتَبَ الأمراءَ ، واستخدم الخُوارزْميّةَ . وجرى له مع الجواد ما ذُكر في ترجمته (٢) فَقَدِمَها ومَلَكَها في غُرَّة جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وستمائة . ودخلها والجوادُ بين يديه قد حمل الغاشية من تحت القلعة ،وحملها المظفر صاحب حمص من باب الحديد . واتفق أن سَنْجَق (٣) الصالح انكسر عند باب القلعة ، فتفاءل / الناس [١٦٦ ب] له بالشؤم ، ودخل الصالحُ القلعةَ ، وأقام الجوادُ بدار السعادة ، وحصل له ندَمٌ ، فاستدعى المقدمّين (٤) وحلّفهم ، وجمع الصّالحُ أصحابَه عنده في القلعة . ودخل ابن جرير وزيرُ الأشرف(٥) في الوَسَط وأصلح الحالَ . وانتقل الجواد إلى النَيْرَب (٦) ، وأقام الصّالح بدمشق

---

(١) حصن كيفا : مدينة في ديار بكر ،ويقال: كيبا . وهي بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على نهر دجلة بين امد وجزيرة ابن عمر ، من ديار بكر (مراصد الاطلاع ١ / ٤٠٧) . وسماه الروم (كيفس) . (بلدان الخلافة الشرقية ١٤٤)

(٢) انظر صفحة ١٤١ج٢ .

(٣) السنجق : جمع سناجق : لفظ تركي كان يطلق أصلا على الرمح ، ثم أطلق على الراية التي تربط به ، وكانت السناجق تحمل بين يدي السلطان في مواكبه ، ويحمله العلمدار . (مفرج الكروب ٣ / ٢٥ وصبح الأعشى ج ٤ / ٨١ وج ٥ ص ٤٥٦ . ويطلق أيضاً على راية صفراء صغيرة ، وقد أصبح رفعها تقليداً على رأس الملك من رسوم ملوك مصر زمن الأيوبيين والمماليك .

(٤) المقدم : لقب الذي يتولى أمر المماليك للسلطان أو الأمير ، ويقال له مقدم المماليك (المختار من صبح الأعشى ٣ / ٢٩٢) .

(٥) هو الصاحب جمال الدين علي بن سلامة بن البطين بن جرير الرقي وزر للأشرف ثم الصالح بن الكامل . توفي سنة ٦٣٧ هـ = ١٢٣٧ م ودفن بمقابر الصوفية . (ذيل الروضتين ص ١٦٨ مرآة الزمان ٨ / ٧٢٤ شذرات الذهب ٥ / ١٨٠ التاريخ المنصوري ص ١٧٨ – ووفاته فيه سنة ٦٣٦ هـ) .

(٦) تقدم الكلام على النيرب ص ٤٧ ج١ .

أشهراً في سنة ست وثلاثين وستمائة . ثم سار إلى نابلُس ، وأرسل للمصريين واستمالهم ، وكان عمُّه الصالح إسماعيل في بعلبكّ، فقويت نفسُه على أخذ دمشق ،وهو وصاحب حمص على ما تقدم .
وجاء صاحب حمص من القابون (١) ، وجاء هو من عقبة دُمَّر (٢) ، فأخذاها ، وردّ الصّالح أيوب إليها ، فخذلته جماعته لما علموا بمُلْك قلعة دمشق ، فجهز النّاصر داودُ إلى نابلُس مَنْ قبض على الصالح أيوب وأتوا به إلى الكَرَك فاعتقله مُكرَّماً . وتغيّر المصريون على العادل وكاتبَهُمُ الناصرُ ، وتوثق منهم . وأخرج الصالحَ وشرَطَ عليه شروطاً كثيرةً كما تقدم في ترجمة الناصر داود . وسار إلى غزَّةَ وبرز العادلُ إلى بلبيس (٣) وتركَ بالمخيم السلطاني / نجم [١٦٧/٢] الدين أيوب ، وأخوه مُعْتَقَلٌ في خركاه (٤) . فقام في اللّيل وأخذ أخاه في محفّة ودخل قلعة الجبل (٥) ، وجلس على كرسي المُلْك، فندم الأمراء وأمسك منهم جماعةً في سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، وأمّر مماليكه الأتراك ، وجرى له ما جرى مع الصالح إسماعيل والفرنج

---

(١) القابون : هو اليوم حي من أحياء دمشق ، من الناحية الشرقية الشمالية . وانظر حواشي ص ٦٢ .
(٢) دمر : قرية ومتنزه في غرب دمشق ،تبعد عنها ٨ كم . وانظر حواشي ص٥٦ .
(٣) بلبيس : مدينة قديمة تقع إلى الشمال الشرقي من القاهرة ، على الشاطىء الغربي لترعة الإسماعيلية (النجوم الزاهرة ٥ / ٣٤٧) وانظر خطط المقريزي ١ / ١٨٣ ومعجم البلدان ١ / ٤٧٩ .
(٤) خركاه ، من الفارسية (خرجاه) ومعناها القبة (نهاية الأرب ٨ / ٢٢٦ ــ ح ١) وكانت في أول الأمر تطلق عموماً على المحل الواسع ، وبالأخص على الخيمة الكبيرة التي يتخذها أمراء الأكراد والأعراب والتركمان مسكناً لهم ، وكان التركمان يصنعونها من البود ويسمونها (قره أو) أي البيت الأسود ، ثم أطلقت على سرادق الملوك والوزراء (المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة ص ٥٣) .
(٥) تقدم التعريف بقلعة الجبل في القاهرة .

وكَسْرتَهم في نَوْبَة الخُوارزمية على ماتقدم في ترجمة أبي الجَيْش ، ولما خرج من مصر قَتَلَ أخاه العادل سِرّاً فلم يُمتَّع ،ووقعت الأكلة(١) في رجله بدمشق ، وترك الإفرنس على دمياط فأخذها ، فسار إليه الصّالح في محفّة،ونزلَ بالمنصورة عليلاً ، وعَرَضَ له إسهالٌ ، فمات في نصف شعبان سنة سبع وأربعين(٢) . وأخفي موته ، حتى أحضر ولدُه المعظم توران شاه (٣) من حِصْنِ كيفا ومَلّكوه بعده ، ودخل فخر الدين ابن الشيخ (٤) نائب السلطنة من الغد خيمةَ السلطان ، وقرّر مع الطواشي مُحْسِنٍ أن يُظهر أن السلطان أمر بتحليف الناس لولده توران شاه ، ولولي عهده فخر الدين . فحلفوا ، وكانت أم ولده خليل/ [١٦٧ ب] شجرة الدُّر (٥) ذات رأيٍ وشهامةٍ ، فدبّرت المُلْكَ بعده شهرين وأكثر ، وخُطب لها على المنابر ، وبقي الملك بَعْدَهُ وبعد ولده الملك المعظم توران شاه في مماليكه الأتراك إلى اليوم ، ودُفن

---

(١) الأكلة : داء يقع في العضو فيأتكل منه ، أو الحكة والجرب أياً كانت (لسان العرب) .

(٢) انظر خطط المقريزي ١ / ٢٣٠ وذيل الروضتين ١٨٣ وبدائع الزهور ١ / ١ / ٢٧٨ والافرنس ، لعل المراد الفرنسيون .

(٣) توران شاه : تقدم ص ٩٥ ج٢ .

(٤) تقدم ص ١٣١ ج٢ .

(٥) هي أم خليل الملقبة بعصمة الدولة ملكة مصر ، الصالحية . أصلها من جواري الملك الصالح نجم الدين أيوب ،اشتراها في أيام أبيه وتزوجها . فملكت مصر بعد موت الصالح ، واستقر أمرها ثمانين يوماً ، وتزوجت وزيرها عز الدين،وتلقب بالملك المعز ثم قتلته خنقاً بالحمام ، ثم قتلها جواري أم علي بن عز الدين من زوجته الأولى بالقباقيب سنة ٦٥٥ هـ = ١٢٥٧ م (أعلام النساء ٢ / ٢٩٠ وخطط المقريزي ٢ / ٢٣٧ والسلوك ١ / ٣٦١ والنجوم ٧ / ٥٦ والوافي ١٦ / ١٢٠ والعبر ٥ / ٢٢٢ وحسن المحاضرة ٧ / ٥٦ وذيل مراة الزمان ١ / ٦١ ومرآة الجنان ٤ / ١٣٧ والبداية ١٣ / ١٩٩) .

بتربته بالصّالحيّة بين القصرين (١) إلى ما يختص بالمالكيّة . فقال فيه ابن السُّنيبرة الشاعر (٢) :

بَنَيْتَ لأرباب العلوم مَدارساً
لتنجو بها مِنْ هَوْلِ يَوْمِ المهَالِكِ

وضاقَتْ عليكَ الأرضُ لم تَلْقَ منزلاً
تَحُلُّ بهِ إلا إلى جَنْبِ مالِكِ

وكان ملكاً مهيباً . قال جماعة من أمرائه : والله ما نقعد على بابه إلاّ ونقول : من ههنا نحمل إلى الجِباب (٣) ، وكان إذا حَبَسَ أحداً نَسيَه ، ولا يَجْرؤ أحد يَذْكُره له ، وكان يحلف أنه ما قتل أحداً إلا بحقٍ ، وهذه مكابرة ، لأن خواصّه ذكروا أنه قتل من الأشرفيّة (٤) وغيرهم ما لايمكن إحصاؤه . ولو لم يكن إلا قَتْلُ أخيه العادلِ [لكفى] (٥) وكان لما مرض (٦) يركب في محفّة ويتجلّد ، ولا يُطْلع أحداً على حاله ، ولما عمّر قلعة الجزيرة (٧) قال سيف الدين المشد (٨) :

---

(١) انظر عنها خطط المقريزي ١ / ٣٨٤ .

(٢) كذا الأصل ولعله تصحيف ابن السنينيرة ، واسمه عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عمر بن أبي القاسم ، جمال الدين الواسطي ، ولد سنة ٥٤٧ هـ وتوفي ٦٢٦هـ (فوات الوفيات ١ / ٥٥٠) .

(٣) جمع جب ، وهو البئر .

(٤) أي مماليك الملك الأشرف .

(٥) أضفناها ليقوم النص .

(٦) لعل المراد : إذا مرض .

(٧) وعرفت أولا بقلعة المقياس ، ثم بقلعة الروضة وبقلعة الجزيرة وبالقلعة الصالحية . (انظر خطط المقريزي ج ٢ ص ١٨٣ — قلعة الروضة) .

(٨) اسمه علي بن عمر بن قزل ، وكان شاعراً ، وصاحب الديوان . توفي سنة ٦٥٥ هـ .=

[١٦٨ آ] / يـا أيهـا الملك المؤيّـد عـزمُـهُ
انظـر إلـى البحـريـن يلتـقيـانِ
أنشـأتَ بينهمـا الجـزيـرةَ بَـرْزَخـاً
لا يَبْغيـان سـوى لقـى السلطانِ

وفيه يقول الصّاحبُ جمالُ الدين يحيى بنُ مَطْروح (١) :

عِـزٌّ لمـولانـا وسُلطـانِنـا
ونـاصـرِ الحـقِ عـلى الباطـلِ
الصـالـحِ بـن الكـامـل المجتبـى
محمـد ابـنِ المـلك العـادلِ

* * *

والصالـحُ الـذي اجتـرا عليهـا
فحـازهـا لمـا أتـى إليهـا

تقدَّم الكلام أنَّ الصّالح لما توجّه إلى نابُلُس ، وكاتَبَ أمراءَ العادل أخيه في مصر ، وثب الصّالحُ إسماعيل أبو الجَيْشِ وجاء إلى دمشق باتفاقٍ مع صاحب حمص (٢) وملكاها ، وجرى ما جرى ،

= (ذيل الروضتين ص : ١٩٨ .)
وشد الديوان : توليه والنظر فيه . ويقال لمن يتولاه المشد (نهاية الأرب ٨ / ٢٩٨) . . والشاد أو المشد : مدير أو مفتش أو موظف ثابت يقوم على رعاية الأعمال ، لكل نوع شاد أو مشد . كشاد الأوقاف وغيره (ولاة دمشق ٢٦ — ٢٧) . وشاد الدواوين : مرافق الوزير ، أو الذي يتحدث في استخلاص الأموال وما في معنى ذلك . (صبح الأعشى ٤ / ٢٢) .

(١) تقدم التعريف به ص ١٢٠ ج٢ .

(٢) الملك الجواد المتقدم الذكر .

وأنه استنصر بالفرنج ، وجرى لهم مع عسكر مصر والخوارزميّة ، على قَرَتَيّا(١) ماجرى . وأن الصّالح إسماعيل كُسِر ،وأنّ ابنَ الشيخ معين الدين جاء بالخوارزميّة إلى دمشق وحاصروها ، وجرى ما جرى ، وهرب إلى بَعْلَبَكّ ، ثم عاد جاء واتفق مع الخُوارِزْمِيّة وحاصروها ، ووقع ذلك الغلاء العظيم والحريق . واستمال الصّالح أيوب الخوارزميّة وصاحب حمص . / وهرب إسماعيل وصاحب صَرْخَد ، وكان [١٦٨ ب] معين الدين ابن الشيخ (٢) قد مات . فأخرج الصالح أيوب فخر الدين ابن الشيخ ومعه العساكر إلى دمشق . وملك ابنُ أبي علي بَعْلَبَكّ ، وجهّز عيالَ إسماعيل(٣) إلى مصر وأهلَه ، وضاقت الأرض به ، فتوجّه مع الناصر صاحب حلب إلى مصر ، فجرى له ما جرى . وقيل في التاريخ المذكور .

* * *

(معين الدين حسن ابن الشيخ صدر الدين بن حَمُّوَيه)

كذا مُعينُ الدينِ ابْنُ الشيخِ قد
قام بأمر الفتح فيها وقَعَدْ

وناب فيها للمليك الصّالحِ
أيوبُ مِنْ بعدِ البلاءِ الطافحِ

الصاحبُ معين الدين حسن ابن شيخ الشيوخ صدر الدين بن

---

(١) في الأصل : قربتا . ولعل ذلك تصحيف ما أثبتنا .
وقرتيا : بلد بفلسطين قرب بيت جبرين ، من أعمال القدس (معجم البلدان) .
(٢) الآتي ذكره توآ .
(٣) هو الملك الصالح إسماعيل ، أبو الخيش .

حَمَّوَيْه (١) . هو الذي فتح دمشق للسلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب . وأخذها من الملك الصّالح إسماعيل ابن عم أيوب . وقاسى الناس تلك المدّة من أنواع البلاء والغلاء والحصر أهوالاً عظيمةً ، وشدائدَ زائدةً كما تقدم ذكره في ترجمة الصالح أبي الخَيْش (٢) . ولمّا فتحها معين الدين ابن الشيخ أقام بها نائباً للصالح أيوب . وكان الفتح في جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين وستمائة . فلما كان في ليلة الأحد ثاني عشرين شهر / رمضان المعظم من السنة المذكورة ، توفي معين الدين المذكور ، ودفن بجبل الصالحية (٣) عند أخيه عماد الدين عمر . وكان مولد معين الدين سنة ثمان وثمانين وخمسمائة .

[١٦٩ آ]

ثُـمَّـــتَ احـتـواهـا ثـانيـــه
وهــو بمصــرٍ في أمـــورٍ حـاليـــهْ

تقدم ما جرى من الصالح أبي الخَيش ، وأنّ ابن الشيخ ملكها للصالح أيوب وهو بمصر في سنة ثلاثٍ وأربعين وستمائة . وقدم الصالح أيوب إلى دمشق في تاسع عشر ذي القعدة سنة أربع وأربعين وستمائة. وأحسن إلى أهلهاوتصدق علىالمدارس والربطوالزوايا(٤) وأرباب البيوت بأربعين ألف درهم . وفي بعلبك بعشرين ألف درهم ، وخلع على أعيان

---

(١) انظر خطط المقريزي ج ٢ ص ٣٤ ، البداية والنهاية ١٣ / ١٧١ .

(٢) انظر الصفحة (١٢٩) السابقة .

(٣) هو جبل قاسيون المطل على دمشق ، وترجع تسميته بجبل الصالحية إلى عام ٥٥٤ هـ لنزول بني قدامة المقادسة في سفحه ، واشتهارهم بالصالحين . (تفاصيل ذلك في كتاب (في رحاب دمشق) ص ١٥ و ٣٥) ، والقلائد الجوهرية لابن طولون .

(٤) الربط : جمع رباط : دار يسكنها أهل طريق الله الصوفية وكذلك الزوايا .

الدماشقة الخِلَعَ السَّنيّةَ ، ومضى إلى بَعْلَبَكَّ وعاد منها ، وتوجّه إلى صَرْخَدْ وتصدّق في القدس بألفي دينار . وكان قدوم الصالح أيوب إلى دمشق في سنة أربع وأربعين وستمائة .

* * *

(الأمير حسام الدين،أبو علي الإربلي)

ونابَ فيها للمليكِ الصالحْ
أبو عليّ إذ رآه صالحْ

/ لما عاد الملك الصالح أيّوب من دمشق إلى مصر في سنة أربع [١٦٩ ب] وأربعين ، جعل فيها نائباً الأميرَ حسامَ الدين أبا علي محمدَّ بن أبي علي ابن باساك الهَذْباني ،المعروف بابن أبي علي(١) . حاصر بَعْلَبَكَّ وفيها أولادُ الصالح إسماعيلَ،فسلموها له كما تقدّم . وناب في مصر أيضاً، وكان عنده أدبٌ ، وله شعر ، وتوفي بمصر في شعبان سنة ثمانٍ وخمسين وستمائة .

* * *

أيامُ ابنِ يَغْمور

ثم ابنُ يغمورٍ ولي النيابَهْ
فشكرَ النّاسُ الذي استنابَهْ

الأمير جمال الدين موسى بن يَغْمور (٢) .

---

(١) لم نعثر على ترجمة له .

(٢) ترجمته في ذيل الروضتين ص ٢٣٥ وشذرات الذهب ٥ / ٣١٣ .

كان الصالح أيوب قد استنابه بمصر مدة ، ثم إنه استنابه على دمشق ، ودخلها في صفر سنة سبع وأربعين وستمائة . وقيل : إن دخوله كان في عاشر ربيع الأول ، ونزل بِدَرْبِ الشَّعّارين (١) ، وتوفي في أوّل شعبان سنة ثلاث وستين وستمائة بالقاهرة . فلما تسلطنَ المعز أَيْبَكُ وأمسكه على موافقته فلم يفعل ولا أجابه . وجعله الظاهر بيبرس أستاداره (٢) / وكان المعظّم توران شاه قد جهّز إليه غِفارة إفرَنسيس مَلِكِ الفَرَنْج لما كسرهم على دِمياط في سنة ثمان وأربعين وستمائة . وكانت شكرْلاطاً أحمرَ تحته سِنْجاب ، وفيها تكلةُ ذَهَب (٣) ، فقال نجم الدين بنُ إسرائيل :

[١٧٠ آ]

يا واحِدَ العصرِ الذي لم يَزَلْ
يَحوزُ في نَيْلِ المعالي المَدى

---

(١) درب الشعارين : طريق متعرج كان يتوصل به إلى غربي سوق مدحة باشا (السوق الطويل) إلى أمام بيمارستان نور الدين الشهيد . وكان يسمى أوله من جهة سوق مدحة باشا الحصرية ، وأوسطه زقاق سيدي عامود ، وقد تغيرت معالمه الآن . (إعلام الورى ص ٣ ح ٢) .

(٢) أستادار : ويكتبها القلقشندي (استدار) وهو لفظ فارسي مؤلف من لفظين : (استد) ومعناها الأخذ ، و (دار) ومعناها الممسك . وهو لقب على الذي يتولى قبض مال السلطان أو الأمير وصرفه ، وتمثل أوامره في ذلك . (صبح الأعشى ٥ / ٤٥٧) . وقال المقريزي : والأستادار إليه أمر البيوت السلطانية كلها ، من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان . . وهو الذي يمشي بطلب السلطان في السرحات والأسفار ، وله الحكم في غلمان السلطان وباب داره ، وإليه أمور الجاشنكيرية . . (خطط المقريزي ٢ / ٢٢٢) ويظهر أن هذا اللفظ عرف قبل المماليك بقرن (دوزي) .

(٣) الغفارة : زرد من الدرع يلبسه المحارب تحت القلنسوة . وكل شيء يغطى به شيء آخر كخرقة تكون دون المقنعة توقي المرأة بها خمارها . والشكرلاط ، أو (اشكره لاط) : نسيج قرمزي ، أو جوخ قرمزي (دوزي) . والسنجاب : يراد به فرو حيوان السنجاب . الذي تزين به ياقة القباء (معجم الألبسة – دوزي) . والتكلة : ضرب من الملابس يلبسه الأمراء في الهند ومصر (دوزي) .

لا زِلْتَ في عِزٍ وفي نعمةٍ
تَلْبس أسلابَ ملوكِ العِدى

وكان ما كتبه ابن يغمور أوّل مطالعة السلطان :

أَسَيِّدَ أَمْلاكِ الزَّمان بِأَسْرِهِمْ
تَنَجّزْتَ مِنْ نَصْرِ الإلهِ وُعُوْدَهُ

فلا زالَ مولانا يبيحُ حِمى العِدى
ويُلْبِسَ أسلابَ الملوكِ عَبِيدَهُ

وقال أيضاً :

إنَّ غِفّارة الفرنج التّي جا
ءت حباً لسيّد الأمراءِ

كبياضِ القرطاس في اللون لكنْ
صَبَغَتْهَا سيوفنا بالدماءِ

* * *

أيام الناصر بن العزيز

ثم أتى لها المليكُ النّاصرْ
ابنُ العزيز ذو النّوالِ الهامرْ

وجاءَها مِنْ حَلَبٍ فَحازَها
وحَلّ من أبوابِها ألْغازَها

[١٧٠ ب] / وأصبحتْ مُضافةً إلى حَلَبْ
في يده والمُلْكُ طوعُ مَنْ غَلَبْ

الملك النّاصر صلاحُ الدين يوسف ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب: رحمهم الله تعالى ، صاحب حلب والشام (١) .

لمّا قتل المعظم توران شاه بن الصالح أيوب في ثامن عشرين المحرَّم سنة ثمان وأربعين وستمائة (٢) ، هرب ابن الملك العزيز صاحب بانياس ودخل دمشق ، فاعتقله أهلها في عَزَّتا (٣) . ولمّا كان مستهل شهر ربيع الآخر ، وصل الملك النّاصر صاحب حلب إلى قارا (٤) فأرسل جمالَ الدين ابن يَغْمور والقيمريةَ (٥) إلى عَزَّتا ، وأنزلوا ابنَ العزيز إلى دمشق وأسكنوه دار فَرُّخْشاه(٦) . وجاء عسكر الناصر ونزلوا القصر ، وانتقلوا إلى داريّا (٧) يوم السبت سابع شهر ربيع الآخر ، ورجعوا

---

(١) ترجمته في البداية والنهاية ١٣ / ٢ وترويح القلوب ص ٤٧ ووفيات الأعيان ٤ / ١٠ والقلائد الجوهرية ١ / ١٤٧ وذيل الروضتين ص ٢١٢ والتاريخ المنصوري ص ١٩٨ — ١٩٩ وتاريخ أبي الفداء ٣ / ٢١٢ والأعلام ٩ / ٣٣١ .

(٢) في خطط المقريزي ٢ / ٢٣٦ أنه قتل يوم الإثنين في التاسع عشر من المحرم سنة ٦٤٨ هـ .

(٣) تقدم التعريف به ص ج١ ص ١٤٣ .

(٤) قارا : قرية كبيرة على طريق دمشق — حمص ، تابعة لناحية ديرعطية التابعة لمنطقة النبك التابعة لمحافظة ريف دمشق . تبعد عن دمشق ٩٨ كم وعن حمص ٦٤ كم وتبدأ عندها حدود محافظة حمص .

(٥) القيمرية : نسبة إلى ضياء الدين القيمري الأمير (انظر ذيل الروضتين ص ١٨٦). وابن يغمور : تقدم ج١ ص ١٥١ .

(٦) ويقال لها أيضاً دار السعادة . تقدم التعريف بها ص ١٤٤ج٢ .

(٧) تقدم التعريف بها ص ٤١ ج١ .

يوم الأحد إلى الباب الصَّغير ؛ وكان مسلَّماً إلى ضياء الدين القيمري .
وباب الجابية ؛ وكان مسلَّماً إلى ناصر الدين القيمري (١) . فكسرت
الأقفال من داخل ، وفتحت الأبواب ، ودخلوا / ونهبت دارُ ابن [١٧١ آ]
يغمور . ودخل ابن يغمور القلعة . ثم نودي بالأمان . وانقضت دولة
الصالح من دمشق . وكانت مملكته الأخيرة خَمْسَ سِنين إلا أياماً .
ودخل النّاصر القلعةَ في يوم الأربعاء عاشرَ شهر ربيع الآخر سنة ثمانٍ
وأربعين وستمائة . وطيَّبَ قلوبَ الناس ولم يغيِّر على أحد شيئاً إلى
أن جاءه خبر هولاكو (٢) ، فهرب من دمشق وكان قد اجتمع إليه
عساكر كثيرة تناهز المئة ألف ، فترك الجميع وهرب في سادس صفر
سنة ثمان وخمسين وستمائة . وجرى له ما جرى مع المغْلِ (٣) ،
واستصحبوه معهم وقتلوه . وقتلوا أخاه ، والصالحَ بن شيركوه (٤) لما

---

(١) وهو حسين بن عزيز بن أبي الفوارس ، الأمير ناصر الدين ، أبو المعالي القيمري ، صاحب المدرسة القيمرية الكبرى توفي مرابطاً بالساحل سنة ٦٦٥ هـ (الوافي ١٢ / ٤٢٢ والعبر ٥ / ٢٨٠ وذيل الروضتين ص ٢٣٩ والشذرات ٥ / ٣١٨) .

(٢) هولاكو : حفيد جنكيز خان ، قضى على الخلافة العباسية ببغداد سنة ٦٥٦ هـ = ١٢٥٦ م واحتل سورية ، وعاد إلى إيران ، فهاجم المسلمون جيشه في عين جالوت وأبادوه سنة ٦٥٨ هـ = ١٢٦٠ م .

(٣) المغل (أو المغول) : أحد الفروع الرئيسية العرقية للشعوب الآسيوية أو الشرقية ، ينتمون إلى العرق الأصفر ، وموطنهم الأصلي المنطقة الواقعة بين نهري أوفون وكيرولين في جنوب شرقي بحيرة بايكال في آسيا ، ولغتهم فرع من لغة شعوب الألتاي الذين يكون المغول فرعاً رئيسياً منهم (الموسوعة البريطانية ١٥ / ٧١٥) . وفي آسيا الوسطى امبراطورية جنكيز خان ، وفي الهند امبراطورية أخرى أسسها بابر أحد أحفاد تيمورلنك وعرفت بمغل الهند ، أنجبت ١٩ امبراطوراً اشتهر منهم همايون أكبر وجهانكير وشاهجهان .

(٤) هو إسماعيل بن شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذي ، الملك الصالح نور الدين ابن الملك المجاهد أسد الدين صاحب حمص . (الوافي بالوفيات ٩ / ١٢٠) .

بلغ هولاكو كسر التتار ، وقَتْل كتْبغا (١) مقَدَّم العساكر على عين جالوت (٢) ، وفي تاسع جمادى الأولى سنة ثمان (٣) وخمسين وستمائة ، عُمِل عزَاؤه بالجامع الأموي بدمشق .

والأمر كلة لجدته الصَّاحبة صفيّة الدين خاتون ابنة العادل (٤) . ولما توفيت سنة ست وأربعين وستمائة ، اشتّد الناصر وأمر ونهى ، وملك حمص / ، وملك دمشق وأخذها بغير كلفة . وقصدَ الديار المصريّة ، فما تم له ذلك . [١٧١ ب]

وكان النّاصر سمحاً جواداً حليماً ، حسن الأخلاق مُحَبّباً إلى الرعايا . فيه عَدْلٌ وصفحٌ ومحبّةٌ للفضلاء والأدباء . وكان سوق الشعر نافقة في أيامه .

وكان يذبح في مطبخه كلَّ يومِ أربعمائة رأس ، سوى الدجّاج والطيور والأجديَة . وكان الغِلْمان يبيعون من سماطِهِ شيئاً كثيراً عند باب القلعة بأرخص الأثمان من المآكل الفاخرة .

---

(١) مقدم التتار ، ونائب دمشق لهولاكو ، قتله اقوش النجمي في المصاف سنة ٦٥٨ وكان عظيماً عند التتار . (العبر ٥ / ٢٤٧ ولاة دمشق ٥١) .

(٢) عين جالوت : بلدة لطيفة بين بيسان ونابلس ، من أعمال فلسطين (معجم البلدان ٤ / ١٧٧) . قرب الناصرة . توقف عندها الزحف المغولي بعد أن انتصر عليهم الملك المظفر قطز عام ٦٥٨ هـ = ١٢٦٠ م فتوقف زحفهم على العالم الإسلامي .

(٣) في الأصل : (تسع) خطأ .

(٤) كانت زوجة الملك الظاهر غازي صاحب حلب ، ولدت بقلعة حلب سنة ٥٨١ هـ أو ٥٨٢ وملكت حلب بعد وفاة ابنها الملك العزيز وتصرفت بالملك تصرف أشهر السلاطين خلال ست سنوات وبنت مدارس وخانقاها باسمها توفيت بحلب سنة ٦٤٦ هـ ودفنت بقلعتها . (أعلام النساء ٢ / ٣٣٩ والوافي ١٦ / ٣٢٨ وشفاء القلوب للحنبلي ص ٨٨ والأعلاق الخطيرة ٣ / ١١٩ والعبر ٥ / ٢٦٥) .

حكى علاء الدين بن نصر الله أن النّاصر جاء إلى داره بغتةً ، قال : فمَدَدْتُ له شيئاً كثيراً في الوقت الحاضر ، سِماطاً بالدجاج المحشو بالسكرّ والفستق وغيره ، فقال : كيف تهيّأ لك ذلك ؟ فقلت : هو من نعمتِك ، اشتريته من باب القلعة .

وكانت نفقة مطابخه وما يتعلق بها في اليوم أكثر من عشرين ألف درهم . وبنى مدرسة جوار باب الفراديس (١) ، وبالجبل رباطاً وتربةً (٢) ، وبنى الخان الذي عند الزنجيليّة (٣) . وكان تمرّ به الأيام الكثيرة يجلس فيها من أول النهار إلى نصف الليل / [T.١٧٢.٢] يُوَقِّع على الأوراق ، ويصل الأرزاق . وقيل : إنه خلع وفي أقلّ من سنة أكثر من عشرين ألف خِلْعَةٍ .

وكان الفرنج قد ضمنوا له أخذ الديار المصرية على أن يسلّم إليهم القدس مع بلاد أُخرَ غيرها فقال : والله لا لقيت الله وفي صحيفتي إخراج القدس عن المسلمين .

---

(١) باب الفراديس : من أبواب دمشق وهو منسوب إلى محلة كانت خارج الباب تسمى الفراديس في أعلى العقيبة .

(١) باب الفراديس : تقدم التعريف به في حواشي الصفحة .

(٢) الجبل : هو جبل قاسيون المشرف على دمشق . والرباط : يسمى الرباط الناصري يقع شرقي تربة الملك العادل كتبغا وغربي جامع الأفرم ، وهو من الرباطات المشهورة ، وكان يقع ضمن دار الحديث الناصرية ، والبستان الذي كان فيه هذا الرباط كان يدعى (بستان الناصرية) وقد هدم الرباط ودار الحديث (خطط دمشق للعلبي ٤١٢) .

(٣) هذا الخان يدعى خان الناصر ، ويقع في حي مسجد الأقصاب تجاه المدرسة الزنجارية أو الزنجيلية التي أوقفها الأمير عز الدين أبو عمرو عثمان بن علي الزنجيلي أو الزنجاري المتوفى سنة ٦٢٦ نسبة إلى زنجيلة وهي إحدى قرى دمشق بحدود سنة ٥٨٣ هـ وهي مدرسة للحنفية خارج باب توما . وقد درست (الدارس ١ / ٥٢٦ وخطط دمشق للعلبي ص ١٩٠ – ١٩١ و ٤٧٦ .

ومن شعره :

البدرُ يَجْنَحُ للغروبِ ومُهْجَتي
لفراق مُشْبِهِه أسىً تَتَقَطّع

والشَّرْبُ قد خاطَ النعاسُ جفونَهمْ
والصُّبح من جلبابِه يتطلعُ (١)

ومن شعره يتذكر حلب :

يا برقُ أنشِ منَ الغمامِ سَحابةً
وَطْفَاءَ هاميةً على بطياسِ (٢)

وأدم على تلك الربوعِ وأهلها
غيثاً يُرَوِّيها معَ الأنفاسِ

وعلى ليالٍ بالصفا قطعتُها
مع كل غانية وظبي كِناسِ (٣)

وقد ذكرتُ له ترجمةً حسنةً في تاريخي الكبير (٤) .

وأمر الناصر يوماً كاتبه القاضي تاج الدين بن الأثير (٥) أن يكتب

---

(١) الشرب (بفتح الشين) : الشاربون .

(٢) السحابة الوطفاء : المسترخية لكثرة مائها . وبطياس : قرية من باب حلب بين النيرب وبابلي (معجم البلدان ١ / ٤٥٠) .

(٣) الكناس : بيت الظبي .

(٤) أي الوافي بالوفيات .

(٥) هو أحمد بن سعد بن محمد ، الصاحب ، تاج الدين بن شرف الدين بن شمس الدين ، ابن الأثير الحلبي . الموقع ، كاتب الدست . باشر الإنشاء في الأيام الظاهرية ، =

له كتاباً الى هولاكو على يد ولده ، وقد جهّز معه تحفاً ، فكتب له كتاباً حسناً جاء منه عند ذكر الولد ما قال الشاعر :

/ يجودُ بالنفس إذ ضَنَّ الجوادُ بها [١٧٢ ب]
والجُودُ بالنّفسِ أقصى غايةِ الجودِ

فلما وقف السلطان عليه ؛ قال : هذا حسنٌ . ولو قلتَ هنا ما قاله ابنُ حَمْدان وهو :

فَدى نَفْسَه بابنٍ عليه كَنَفْسِه
وفي الشِّدَّةِ الصَّمَّاءِ تَفْنَى الذخائرُ

وقد يُقطعُ العُضوُ النفيسُ لغيرِه
ويُدْخَرُ للأمرِ الكبيرِ الكبائرُ

فأقرّ له بالإحسان .

* * *

(الأمير شمس الدين، أبو سعيد لؤلؤ الأميني)

ونابَ للناصرِ فيها لولوُ
وقلبُه على الهدى مَجْبولُ

وسارَ نحو مِصْرَ يَبْغي مُلْكَها
فَقَطَعَ الرَّحمنُ مِنْهُ سِلكَها

= وكان ممن كتب الناصر بن العزيز صاحب الشام،وتوفي سنة ٦٩١ هـ بغزة وهو في طريقه إلى القاهرة . وبيت ابن الأثير هذا غير بيت ابن الأثير بالموصل الذين منهم المؤرخ المشهور المبارك بن محمد . (سير أعلام النبلاء ٤ / ٥١٦ ، الوافي بالوفيات ٦ / ٣٩٢ ، المنهل الصافي ١ / ٢٨٢ ، النجوم ٨ / ٣٤) .

وخـانـه الـزمـانُ فـي مُـرادِهِ
ومـا سـعـى النصرُ إلى إسـعـادِهِ

الأمير شمس الدين ، أبو سعيد الأميني الموصلي . كافل المملكة الشامية للناصر بن العزيز (١).

سمع الحديث من ابن طَبَرْزَد (٢) ، ومحمد بن وهب . وروى . الدمياطي (٣) عنه . وكان بطلاً شجاعاً ديِّناً عابداً صالحاً أمّاراً بالمعروف ، وكان مدبرَ الدولة الناصريّة ، وحَرَص كلَّ الحِرْص على العبور إلى الديار المصرية ليفتحها بمخدُومه فسار به وبالجيوش ، وعمل مع عسكر مصر مَصافاً / بقرب العباسة ، فكسر المصريين ، ثم إن البحريّة (٤) بمصر تناخت بعد فراغ المَصافّ ، وحملوا على لؤلؤ وهو في طائفة قليلةٍ ، فقتلوه وقتلوا معه جماعةً سنة ثمان وأربعين وستمائة . ومولده سنة خمس وثمانين وخمسمائة . [١٧٣ آ]

* * *

تغلب المغُول الهولاكيّة

وبعـد ذا اسـتولى عليهـا المغُـلُ
مُغْـلُ هـولاكـو واسـتحـرَّ القتـلُ

---

(١) ترجمته في ذيل الروضتين ص ١٨٦

(٢) تقدم التعريف به ص ١٠٩ ج٢ .

(٣) هو عبد المؤمن بن خلف الدمياطي ، أبو محمد ، شرف الدين ؛ حافظ ، من أكابر الشافعية . ولد بدمياط سنة ٦١٣ هـ = ١٢١٧ م وتوفي في القاهرة سنة ٧٠٥ هـ = ١٣٠٦ م له تصانيف كثيرة . (الأعلام ٤ / ٣١٨ والدرر الكامنة ٢ / ٤١٧) .

(٤) أي المماليك البحرية .

بعد هروب العساكر والملك الناصر صاحب الشام . وصل التتار من جهة هولاكو (١) إلى دمشق ليلة الاثنين تاسع عشر صفر (٢) سنة ثمان وخمسين وستمائة ، ودخلوها بعد العشاء الآخرة من باب توما صحبة القاضي والوالي وأعيان البلد . وبكرة النّهار اجتمع النّاس في الجامع ، وقرىء عليهم فَرَمان هولاكو بعد صلاة الظهر . وتعلّل الناس بالأباطيل.

وفي هذا الشهر ملك هولاكو حلب ، وقتل كلّ من فيها . ولكن كان الأمر في دمشق خفيفاً ، وهلك أكثر المنهزمين ، وقتلوا وأخذت أموالهم وسبيت حريمهم . / وفي السابع والعشرين من شهر ربيع الأوّل(٣) وصل التتار إلى المرج والغوطة(٤) . ولعب السّيفُ في العرب والفلاحين ، والنهب والسبي يومين ، والثالث . [١٧٣ ب]

وفي خامس شعبان من السّنة أخرجوا نقيب القلعة والوالي (٥) وضربوا أعناقهما بداريّا . وجاء الخبر بقتل الملك الناصر، رحمه الله تعالى . وبقي الناس في الذلّ والمصادرة ، والسخر وأنواع البلاء وشَعّثوا القلعة (٦) وخَرَّبوا أعاليها .

---

(١) تقدم التعريف بهولاكو في ج٢ ص ١٥٥ .

(٢) في ذيل الروضتين ، ص ٢٠٣ : وكان رسل التتار عندنا بقرية حرستا فادخلوا دمشق ليلة الاثنين سابع عشر صفر .

(٣) في ذيل الروضتين في سابع عشر ربيع الأول — ص ٢٠٣ .

(٤) المرج : مكان متسع شرقي غوطة دمشق حتى بحيرتي الهيجانة والعتيبة تبلغ مساحته نحو خمسين ألف هكتار ، أي نحو ضعف مساحة الغوطة (غوطة دمشق لكرد علي ص ١٥) .

(٥) نقيب قلعة دمشق يكون إمرة عشرة بمرسوم يكتب له من الأبواب السلطانية (صبح الأعشى ٤ / ١٨٦) ويساعد نائب القلعة عادة مجموعة كبيرة من الموظفين منهم واليها الذي يراقب نائبها ، ونقيبها . . وجميعهم يكاتبون السلطان مباشرة . (دمشق في عصر المماليك والعثمانيين ص ٣١٦) .

(٦) شعثوا : افسدوا .

وفي يوم الجمعة خامس عشرين شهر رمضان كانت النُصرة العظيمة للملك المظفرّ قطز بعين جالوت (١) على التتار ، وقتل العوامُ وغيرُهم من التتار جماعةً كثيرةً ظاهرَ دمشق . وألقى الله تعالى عليهم الذلّة ، وكان النائب من جهة هولاكو على دمشق شخصاً يعرف بايل سبان (٢) .

* * *

أيام المظفّر قُطُز رَحِمَه الله تعالى

ثم أرادَ اللهُ نَصْرَ الأُمّهْ
وكَشْفَ ما حَلَّ بها مِنْ غُمّهْ

فجاءَها بالملكِ المُظَفّرْ
وبأسُهُ على العِدى مُرَفّرْ

[١٧٤ آ] / صَفَتْ لِنَصْرِ الدين منه النّيّهْ
فأخلصَ الظّاهرَ والطّويّهْ

فَكَسَرَ المُغْلَ وللدينِ جبرْ
بعين جالوت فيا طِيبْ الخبرْ

وكان يوماً مثلَ يَوْمِ بَدْرِ
في أوّل الإسلامِ فافْهم وادْرِ

---

(١) تفاصيل معركة عين جالوت في ذيل الروضتين ص ٢٠٧ وبدائع الزهور ١ / ١ / ص ٣٠٦ وولاة دمشق ص ٥١ .

(٢) انظر خبره في ذيل الروضتين ص ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

[ثـــم تـــولـــى الحـلـــبي الكبـــيرُ
وأمـــــره فـــي مثـــــل ذا شَـــهيرُ

فكـــان نـــائبـــاً بهـــا عـــن قُـطْـــزِ
ثـــم أتـــى بعـــدُ بـأ مـــرٍ مُعْجـــزِ](١)

تقدم الأمر في مضي علم الدين سنجر الحلبي الكبير (٢) ، وأن المظفر قُطُز جعله نائباً على دمشق ، فلمّا بلغ الحلبي قَتْلَهُ (٣) المظفر تسلطن بدمشق (٤) واستقل بالملك ، وخُطب له بدمشق مع الملك الظاهر في سادس ذي الحجة سنة ثمانٍ وخمسين وستمائة . وأمر بضرب الدراهم باسْمِهِما. وغلت الأسعار بدمشق،وبقي الخبز رطلاً بدرهمين، واللّحم الرِّطلُ بثمانيةَ عَشَرَ درهماً ، والجبن الأوقيةُ بدرهم ونصف.

ولما كان في سنة ثمان وخمسين وستمائة ، تغيّرت الدول الكثيرة على دمشق من الملوك والنواب والقضاة .

---

(١) ما بين المعقوفين لم يرد في الأصل المخطوط،فقبسناه من (أمراء دمشق) ص١٥٤ .

(٢) تولى علم الدين سنجر نيابة دمشق اخر سنة ٦٥٨ هـ ، وتسلطن بها أياماً ، وتسمى بالملك المجاهد . ولم يتم له ذلك فسجن ، وبقي في السجن مدة ، ثم أخرجه الأشرف وأكرمه ، وكان من بقايا الأمراء الصالحية ، ومات سنة ٦٩٢ هـ . (الوافي بالوفيات ١٠ / ٤٧٣ . وخطط المقريزي ٢ / ٤٦ – خوخة الحلبي ، والنجوم الزاهرة ٧ / ١٠٧ و ٨ / ٣٩ والمختصر في أخبار البشر ٣ / ٢١٠ وبدائع الزهور ١ / ١ / ٣١١ وذكره باسم الملك الأمجد) .

(٣) انظر تفاصيل مقتل قطز في بدايع الزهور ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٣٠٧ .

(٤) غضب لمقتل قطز ، ورفض الخضوع للظاهر بيبرس ، لأنه كان يرى نفسه أعلى مكانة وأشجع من بيبرس . فتسلطن بدمشق وتلقب بالملك المجاهد . كما ذكر المقريزي في خططه ، ج ٢ ، ص ٤٦ – بينما ذكر ابن إياس في بدائع الزهور ج ١ ، ق ١ ، ص ٣١١ ، حوادث سنة ٦٥٩ هـ أنه تلقب بالملك الأمجد .

ففي أول السنة إلى نصف صفر في مملكة الناصر يوسف بن العزيز (١) ثم صارت في ملكة التتار من جهة هولاكو إلى الخامس والعشرين من شهر رمضان ، ثم صارت في مملكة المظفر قُطُز إلى أن قُتل في / ذي القعدة ، ثم صارت في مملكة الظّاهر بِيبْبَرْس (٢) ، ثم استولى عليها الملك المجاهد عَلَمُ الدين سَنْجَرُ الحلبيُّ الكبير في سادس ذي الحجة. [١٧٤ ب]

وكان القضاء في أوّل السنة مع صدر الدين أحمد بن سَنا الدولة(٣) ، إلى أن ولي التتار ، فتولّى كمال الدين عمر بن بندار التفليسي (٤) ، ثم تولى محيي الدين بنُ الزكي (٥) من جهة التتار ، ثم ولّى المظفرُ قُطُز نجمَ الدين ابنَ القاضي صدر الدين بن سني الدولة

---

(١) تقدم ج٢ ص ١٥٣ .

(٢) هو ركن الدين ، أبو الفتح ، بيبرس البندقداري الصالحي التركي ، أحد مماليك البحرية ، ومن مماليك الصالح. جلس على تخت الملك بقلعة الجبل بمصر سنة ٦٥٨ هـ ومات بدمشق سنة ٦٧٦ هـ = ١٢٧٧ م وكانت مدته ١٧ سنة وأشهراً . وكان مولده بأرض القفجاق سنة ٦٢٥ هـ . أقيم حول قبره بدمشق المكتبة الظاهرية (الوافي ١٠ / ٣٢٩ وخطط المقريزي ٢ / ٢٣٨ . ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، بدائع الزهور ١ / ١ / ٣٠٨ - ٣٤٢) .

(٣) هو القاضي صدر الدين أحمد بن سنا الدولة بن هبة الله بن يحيى . . بن الخياط . قاضي القضاة ، أبو العباس ابن قاضي القضاة شمس الدين أبي البركات التغلبي الدمشقي الشافعي ، ابن سناء الدولة . ولد سنة ٥٩٠ هـ وبرع في الفقه ، وناب في القضاء عن أبيه ، وتولى بيت المال ودرس بالإقبالية والجاروخية ، ولما أخذ هولاكو الشام سافر مع محيي الدين ابن الزكي إلى حلب ، وعند عودته مرض بحماة وحمل إلى بعلبك وفيها مات سنة ٦٥٨ وكان الناصر يوسف صاحب الشام يحبه ويوقره (الوافي ٨ / ٢٥٠ والدارس ١ / ١٦ والشذرات ٥ / ٢٩١ والعبر ٥ / ٢٤٤ والثغر البسام : ٧٠) .

(٤) وكنيته أبو حفص . ولد بتفليس سنة ٥٦٢ هـ ومات بالقاهرة سنة ٦٠٢ هـ تولى قضاء الشام والجزيرة والموصل مدة يسيرة (الوافي ٢٢ / ٤٤٢ وطبقات الشافعية للسبكي ٨ / ٣٠٩ والعبر ٥ / ٢٩٨ وقضاة الشام ص ٧٠ والنجوم الزاهرة ٧ / ٢٤٤ وحسن المحاضرة ١ / ٤١٦ والبداية ١٣ / ٢١٧) .

(٥) ولاه هولاكو قضاء جميع الشام بعد استيلائه على حلب سنة ٦٥٨ هـ وقابله مقابلة حسنة وخلع عليه . (انظر ولاة دمشق ص ٤٩ و ٥٠) .

ولما كان في المحرم سنة تسع وخمسين وستمائة ، اتفق الأمراء على خَلْع الحلبي ، وحصروه بالقلعة وجرى بينهم بعض قتالٍ وخرج إليهم وقاتلهم ، ولما رأى الغَلَبَةَ خرج من باب السِّر(١) بعد أيام،وقصد بَعْلَبَكَّ وعصى بقلعتها ، وبقي فيها قليلاً ، وجاء الأمير علاء الدين طيبرس الوزيري (٢) ، وأمسك الحلبيَّ وقيَّدَهُ (٣) ، وجهّزه إلى مصر فحبسه السلطان الملك الظاهر بيبرس مدةً طويلةً.

* * *

(الأمير علاء الدين أيدكين الصالحي)

وأيدكين الصالحي نابا
في غَيْبَةٍ به اقْتَضَتْ صَوابا

الأمير علاء الدين أَيْدكين الصالِحي (٤) :

لما بلغ الظّاهرَ (٥) ما اعتمده / الحلبي الكبير من السّلطنة بدمشق ، [١٧٥ آ]

---

(١) باب السر : أحد أبواب قلعة دمشق ، وهو الباب الغربي الذي كان عند سوق يسمى سوق الخجا (وقد هدم هذا السوق اليوم لإبراز القلعة) وكان الباب الرسمي للقلعة مؤخراً ، وكان أمامه خندق القلعة وعمقه أكثر من مئة ذراع ، وسمي باب السر لأن أهل القلعة كانوا يخرجون منه ويدخلون سراً . (إعلام الورى ص ٥٤.– ح ١) .

(٢) ذكره المصنف في الولاة . انظره بعد قليل .

(٣) انظر تفاصيل اعتقال سنجر الحلبي واختلاف المؤرخين في سجنه في القلعة بمصر وعلاقته بالملك الظاهر في السلوك ١ / ٤٤٥ والنجوم ٧ / ١٠٧ والمختصر في أخبار البشر ٣ / ٢١٠ والبداية ١٣ / ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، وخطط المقريزي ٢ / ٤٦ .

(٤) ترجمته في الوافي بالوفيات ٩ / ٤٩١ والبداية ١٣ / ٣٠٥ وولاة دمشق ٥٩

(٥) بيبرس .

وكان الأمير علاء الدين أيدكين ، والأمير بهاء الدين بغدي (١) وغيرهما مقيمين بالشام أمرهم الظّاهر بالحضور إلى دمشق ، وبالقبض على الحلبي الكبير ، وإرساله إلى مصر ، وأن يكون الأمير علاء الدين أيدكين يباشر النيابة وينفّذ الأشغال بدمشق ؛ وكان الأمير علاء الدين طيبرس الوزيري معهم ؛ فأقام الوزيري بقلعة دمشق ، والأمير علاء الدين أيدكين بدار السعادة (٢) وهو يعمل النيابة شهوراً . إلى أن استقلّ الوزيري بالنيابة . وتوجّه الأمير علاء الدين أيدكين إلى حلب نائباً .فأقام بها شهراً واحداً في سنة تسعٍ وخمسين وستمائة . وتولى نيابة حلب بعده الأمير شمس الدين أقوش . ثم إنّ الأمير علاء الدين ولي نيابة صفد .

* * *

أيام طِيبْرَسِ الوزيري

ثم تولّىَ بعد ذا طِيبْرَسُ
وكان خَيِّراً وقيل العَكْسُ

[١٧٥ ب] الأمير الكبير الحاج علاء الدين طِيبْرُس (٣) الوزيري صهر/

---

(١) أرسله الظاهر بيبرس مع أيدكين للقبض على سنجر الحلبي الكبير بدمشق سنة ٦٥٨ هـ ثم ترقى في أعمال كثيرة ، ثم قبض عليه وحبس في السنة نفسها في سجن قلعة الجبل بالقاهرة حتى مات . (السلوك ١ / ٢ / ٤٤٤ والنجوم ٨ / ٣٩ والمختصر في أخبار البشر ٣ / ٢١٠ والبداية ١٣ / ٢٣٠) .

(٢) دار السعادة : تقدم التعريف بها ص ١٤٤ ج٢ .

(٣) ترجمته في الوافي بالوفيات ١٦ / ٨ وذيل الروضتين ص ٢٢٠ وأمراء دمشق ص ٢٦ وولاة دمشق ص ٦٠، وإعلام الورى ١٨ والبداية والنهاية ١٣ / ٣١٩ .

السلطان الملك الظاهر . كان قد تولّى نيابة الشام عن الملك الظّاهر بعد الحلبي الكبير فيما أظن .

وكان كثير الصدقات، قليلَ الأذيّةِ . أوصى عند موته ثلاثمائة ألف درهم تنفق في الجند الضعفاء .

وأما الشيخ شهاب الدين أبو شامة ، فإنه وصفه بكل قبيح . قال: وفي الثالث من ذي القعدة — يعني سنة ستين وستمائة — ، وصل من مصر إلى دمشق عسكرٌ مقدَّمُه الأمير عز الدين الدمياطي (١) ، وبكّر الدخول إلى دمشق . فخرج الحاجُ علاءُ الدين طيبرس الوزيري نائب السلطنة بدمشق ، فلّما وصل إليه أهوى ليكارشه (٢)، قبض الدمياطي بيده الواحدة على عضد (٣) الوزيري ، وبيده الأخرى على سيفه ، وأنزله عن فرسه ، وأركبه بغلاً. وشدَّ عليه وقيّده وتركه بمُصلّى العيد (٤) . ولما دخل الليل وكّلَ به وسيّره إلى مصر ، وهرب أصحابه . ثم استُخرجت أموالُه التي بدمشق بعد ما سيّر منها ما كان سيَّر مع العرب وقُبضت حواصله .

وكان الحاج طيبرس قد أهلك أهلَ دمشق / بإخراجهم من بلدهم، [١٧٦ ٢] والتّرسيمِ عليهم (٥) ، وإخراج عائلتهم وإهانتهم . وضيّقَ على الناس بتمكين العرب من مشتّري الغلال من دمشق ، وتخويف الناس من التتار.

---

(١) مقدم عساكر مصر ، أرسله الظاهر بيبرس ليقبض على الأمير طيبرس لأنه أخاف أهلها من التتار ، وساءت الأمور بزمنه . فوصل إلى دمشق سنة ٦٦٠ وقبض على طيبرس وأرسله إلى القاهرة وصادر أمواله (ولاة دمشق ص ٦٠ ، إعلام الورى ص : ٥) .

(٢) أي ليصارعه .

(٣) انظر ذيل الروضتين ص ٢٢٠ .

(٤) تقدم التعريف به ص ١٧٤ ج١ .

(٥) الترسيم : لعل المراد وضع الرسوم والقيود .

وكان البدوي يجلب الجَمَلَ ، يبيعه بأضعاف قيمته ، ويشتري به الغلة رخيصة ، لأن الناس يحتاجون إلى السّفر إلى مصر . وتوفي بمصر سنة تسع وثمانين وستمائة .

وكان الحاج طيبرس قد جعل الأمير سيف الدين بلبان الزردكاش (١) نائبه بدار العدل .

* * *

(الأمير علاء الدين أيدُغدِي الرُّكْني)

وكانَ أَيْدُغْدي يَسُدُّ الغَيْبَهْ
نِيابَةً بِدُرْبَةٍ وهَيْبَهْ

لكنّه من بعد هذا قد عَمي
والخيرُ والجُودُ إليه ينتمي

وهو الذي للحرمين آخِرا
وَلِيَهما فاعْجَبْ لأعمى ناظرا

الأمير علاء الدين أيْدُغْدي الرُّكني . ويقال : أيدكين . والأول أصح (٢) .

كان الملك الظاهر قد جَهّزه مع عز الدين الدِّمياطي للقبض على طِيْبَرْس . فلما قَبَضا عليه وحصّلا أمواله وما يتعلق به ، توّجه الأمير

(١) سيأتي ذكره بعد قليل .

(٢) ترجمته في الوافي بالوفيات ج ٩ ص ٤٨٥ ، نكت الهميان ص ١٢٣ .

عز الدين الدمياطي بما تحصَّل من موجوده إلى القاهرة . وتأخّر الأمير علاء الدين أيْدُغْدي / الركني يعمل نائباً الغيبة ، إلى أن يجيء من يستقل [١٧٦ ب] بالنيابة . ولم يزل على حاله ، إلى أن وصل الأمير جمال الدين أقوش النجيبي (١) نائباً لدمشق من مصر .

ثم إنَّ الأمير علاء الدين كُفَّ بصرُه ، واستقرَّ ناظراً بالحرمين : حرَمِ سيّدِنا الخليلِ عليه الصلاةُ والسلام ، وحرَمِ القدس الشريف ، فأنشأ فيهما الرُبُط والعمائر المليحة ، وأثّر الآثار الجميلة . وبالمدينة النبويّة ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

وكان من أحسن الناس سيرةً ، وأجملِهم طريقةً . عمرت به الأوقاف ، وتضاعفت الأجور . وكان من أذكياء الناس ، وتوفي بالقدس الشريف سنة ثلاث وتسعين وستمائة .

* * *

(الأمير سيف الدين بلبان الزَّرْدكاش)

والزَّرْدكاشُ نابَ عن طيبَرْسِ
فيها فأضحَت في هُدىً وأُنْسِ

الأمير سيفُ الدين بلبان الزردكاش (٢).

استنابه علاءُ الدين طيبَرَسْ الوزيري في غَيْبَته ، لما توجه إلى

---

(١) يأتي الحديث عنه بعد قليل .

(٢) ترجمته في الوافي بالوفيات ج ١٠ ص ٢٨١ وذيل الروضتين ص ٢٢٠ .

حِصار أنطاكية (١) ، وكان دَيِّناً خَيِّراً يحب العَدْل والصَّلاح .
وتوفي في سنة ستين وستمائة ثامن ذي الحجة منها .

* * *

[١٧٧ آ] / أيام النَّجيبي

ثم تولّى أمْرَها النّجيّبي
ولم يَكُنْ في ذاكَ بالعَجيبِ

لأنه مولى المَليك الصالحِ
مُحَكَّمٌ في سائر المَصالحِ

الأمير جمال الدين أقوش النّجيبي (٢).

مملوكُ الملك الصالح أيوب . كان يعتمد عليه في جميع أموره .
وجعله أستاذ داره(٣) في حياته . وولاه الملكُ الظاهر نيابةَ دمشق فحضر
إليها في آخر ذي الحجة سنة ستين وستمائة . وكان شافعيَّ المذهب ،
كثير الصَّدقة ، حسنَ الاعتقاد ، ضَخْمَ الشكل ، جَهْوَرِيَّ الصَّوْتِ ،
كثير الأكل ، له أوقاف على الحرمين . بنى مدرسةً بدمشق إلى جانب
مدرسة نور الدين الشهيد (٤) ، وبنى بها له تربة ، وفتح بها شبّاكين

(١) أنطاكية : تقدم التعريف بها ص ٣١١ ج١ .
(٢) ترجمته في الوافي ٩ / ٣٢٣ وولاة دمشق ٦١ والبداية ١٣ / ٢٨١ وإعلام الورى ص ٦ وذيل الروضتين ص ٢٢١ .
(٣) تقدم التعريف بالأستاد دار ص ١٥٢ج٢ .
(٤) تسمى المدرسة النجيبية وجعلت مدرسة للشافعية ودرس فيها شمس الدين بن خلكان – انظر الدارس في تاريخ المدارس . . ج ١ ، ص ٤٦٨ – وولاة دمشق، ص ٦٢ .=

إلى الطريق ، ولم يُقَدَّرْ دفنُه بها . ووقف خانقاه(١) ظاهر دمشق ، بالشرف الأعلى القبليُ . وجعل النظر لقاضي القضاة ابن خلكان .

وكان كثير التحامل على الشيعة لا يملك نفسه،وكان الظاهر قد جعله أستاذ داره في أول دولته / وأقام في دمشق نائباً مدّة عشر سنين ، ثم [١٧٧ ب] عز ل بالأمير عز الدين أيدمر (٢) في ثاني عشر صفر سنة سبعين وستمائة. وعاد النجيبي إلى القاهرة . وأقام بداره بَطّالاً وافرَ الحُرْمة . ولما مرض عاده الملك السّعيد (٣) . ولحقه فالجٌ قبل موته بأربع سنين . وتوفي ـ رحمه الله ـ سنة سبع وسبعين(٤) ، وكان مولده في حدود العشرين وستمائة .

* * *

=بناها سنة ٦٧٠ هـ قبل عزله لكنها لم تكتمل،وتوفي فيها ابن خلكان سنة ٦٨١ وأقام فيها المؤرخ ابن الأثير . رممت قبتها سنة ١٣٩٧ هـ وبقيت مع الواجهة الشرقية للمدرسة (خطط دمشق للعلبي ص ١٦٧) .

(١) وكانت بحارة القصر الأبلق (حارة الحلبوني اليوم) وقد دثرت وتعرف بالخانقاه النجيبية . انظر الدارس ج ١ ، ص ٤٦٨ ، وولاة دمشق ، ص ٦٣ . وخطط دمشق للعلبي ص ١٦٧ .

(٢) الآتي ذكره بعده .

(٣) الملك السعيد : هو ناصر الدين ، أبو المعالي محمد بن بركة قان ، قام بعد موت أبيه السلطان الظاهر بيبرس في دمشق ، وجلس على التخت سنة ٦٧٦ هـ إلى أن خلعه الأمراء سنة ٦٧٨ هـ وكانت ولادته سنة ٦٥٨ هـ وتوفي بالكرك سنة ٦٧٨ وحمل إلى دمشق ودفن عند أبيه . (خطط المقريزي ٢ / ٢٣٨ والسلوك ١ / ٦٤١ وفيات الأعيان ٤ / ١٥٦ وبدائع الزهور ١ / ١ / ٣٤٢ - ٣٤٦ والأعلام ٦ / ٢٧٦) .

(٤) أي ٦٧٧ هـ .

أيام أيدَمُر الظاهري

ثم تَولّى بَعْدَه أيْدَمُرُ
وكان أطلالَ المعالي يَعْمُرُ

وخانه الدّهْرُ فَعاد سُوْقَه (١)
حتى أغَصّ بالدموع مُوْقَه

يسعى إلى حاجاته بِنَفْسِه
ويَشْتري قَليلَها بِفَلْسِه

من بعد حَبْسٍ ذاقَ فيه الشدةْ
وطوّلَ اللهُ عليه المُدَّهْ

الأميرُ عِزُّ الدين أَيْدمُر الظاهري (٢) .

كان نائب الكركَ للملك الظّاهر . وكان السلطان قد خرج من مصر ودخل الكَرَكَ في المحرَّم سنة سبعين وستمائة . وخرج من الكَرَكِ

[١٧٨ آ] الأمير عز الدين أيْدَمُر ، ودخل معه إلى دمشق / فوصلها في ثامن عشر صفر من السنة (٣) . فولاه النيابة بدمشق ، وعزل الأمير جمال الدين النّجيبي ، ولم يزل بدمشق نائباً إلى أن مات الملك الظّاهر ، وولي المُلْكَ ابنُه الملك السعيد ، فاستمر الأمير عز الدين أيدمر المذكور في نيابة دمشق .

---

(١) السوقة : الرعية تسوسها الحكام .

(٢) ترجمته في ولاة دمشق ص ٦٤ وإعلام الورى ص ٦ وشذرات الذهب ٥ / ٤٥٦ .

(٣) هناك رواية أخرى أنه دخلها في ١٣ صفر من السنة المذكورة (ولاة دمشق ، دهمان ، ص ٦٤) .

ولما جاء السعيد إلى دمشق ، وتغيّرت خواطر الأمراء عليه ، وطلبوا منه إبعاد الخاصكيّة (١) فلم يُجِبْهم خوفاً من سوء العاقبة . وساروا إلى مَرْج الصُّفّر (٢) ، وتردّدت الرسل بينهم ،وعاد الأمير عز الدين أيدمر المذكور ، ومعه عسكرُ دمشق . ولما توجّه السّعيد بالعساكر إلى مصر ، وجرى ما جرى ، وخلعوه ، ورتّبوا أخاه بدر الدين سَلامش (٣) ، وجعلوا أتابكه الأمير سيف الدين قلاوون الألفي (٤) وعاد عسكر دمشق إلى دمشق .

ولمّا طلع العسكر يتلقى النائب الأمير عز الدين أيدمر ، قبض عليه الأمير جمال الدين أقوش الشمسي عند المصلى ، وأفردوه عن الموكب ، ودخلوا به من باب الجابية ، وحبسوه في القلعة (٥) . / ولم يزل معتقلاً [١٧٨ ب] مدّة الدولة المنصوريّة ،إلى أن أفرجَ عنه الملك الأشْرَفُ(٦) . فقدِم

---

(١) الخاصكية : هم جماعة من أخصاء السلطان من المماليك يختارهم من الأجلاب الذين دخلوا في خدمته صغاراً ، ويجعل منهم حرسه الخاص ، ويكلفهم القيام بالمهام الشريفة (السلوك ١ / ٦٤٤) .

(٢) قرب دمشق ، قرب قرية الكسوة التي تبعد عن دمشق ١٩ كم جنوباً .

(٣) ولقبه الملك العادل . تسلطن وعمره سبع سنين وأشهر ، خلعه أتابكه سيف الدين قلاوون وسجنه مع أخيه بركة في الكرك . (خطط المقريزي ٢ / ٢٣٨ ووفيات الأعيان ٤ / ١٥٨)

(٤) أحد مماليك الأتراك البحرية ، الصالحي ، كان أتابك العسكر أيام العادل سلامش ثم تسلطن بقلعة الجبل بالقاهرة يوم الأحد العشرين من رجب سنة ٦٧٨ ﻫ وتلقب بالملك المنصور . هزم التتار قرب حمص ، وأخذ طرابلس من الفرنج سنة ٦٨٨ ﻫ . مرض وهو يحارب الفرنج ومات ليلة السادس من ذي القعدة سنة ٦٨٩ (خطط المقريزي ٢ / ٢٣٨ وفيات الأعيان ٤ / ٥٨) .

(٥) جاء في ولاة دمشق ص ٦٦ أن الجنود ألقوا القبض عليه واعتقلوه في القلعة ولم يذكر جمال الدين أقوش .

(٦) صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور قلاوون .

إلى دمشق ، وأقام برباطه (١) الذي على نهر ثورا بالجسر الأبيض وكان يُمْسِكُ فَرَسَه بنفسه وينعلها عند البيطار ، ويَتَحوَّج الخُضَر بنفسه .

قال شيخنا الذهبي : رأيتُه في الجامع وعليه قباءٌ أبيض وتخفيفة ، وهو لا يُؤْبَه له ، وعليه سكونٌ ووقار ، فأعجبني شكله . وتوفي سنة سبعمائة .

* * *

أيام سُنْقُر الأشقر

ثم تولاها المليكُ الكاملُ
سُنقُرُ الأشقرُ الشجاعُ الهائلُ
أتى إليها نائباً ثم مَلَكْ
ولم يَدُرْ بما أراده الفَلَكْ
فرَّ إلى صِهْيَوْنَ واصطفاها
مملكةً وحَلَّ في ذراها

الأمير شمس الدين سُنْقُرُ الأشقر (٢) .

---

(١) تقدم التعريف بالرباط صفحة ١٥٠ ج٢ .

(٢) ترجمته في إعلام الورى ص ٧ وولاة دمشق ص ٦٦ والوافي ١٠٥ / ٤٩٠ والبداية ١٣ / ٢٨٩ .

كان الظّاهر يُعظّمه كثيراً ، وألزم صاحب سيس (١) أن يفكّ أسره ويشتريه من التتار بما تصل إليه قدرتُه . ولمّا وصل احتفل به وتلقّاه ، وكان يعظّمه كثيراً ، ولما كان يومُ الأربعاءِ ثاني جُمادى الآخرة سنةَ ثمانٍ وسبعين وستمائة ، وصل سُنْقُر الأشقر نائباً / (٢) [١٧٩ آ] إلى دمشق في دولة الملك العادل سلامش بن الظّاهر ، فلما خُلع العادل، وتولى السلطان الملك المنصور قلاوون في يوم الثلاثاء حادي عشر شهر رجب من السنة المذكورة لم يَرْضَ سُنْقُر الأشقر بذلك ، ودخل قلعة دمشق في يوم الجمعة رابع عشرين ذي الحجة هَجْماً وتسلطن بها . وتلقبَ بالملك الكامل . وحلف الناس له،ونودي بذلك في المدينة(٣)، ولمّا كان في ثامن عشر صفر سنة تسع وسبعين وستمائة ، برز إلى (٤)

---

(١) سيس : بلدة كبيرة ذات قلعة بأسوار ثلاثة ، على جبل مستطيل ، وهي قاعدة الثغور الشمالية ، أحدثها بعض خدم الرشيد (تقويم البلدان ٢٥٦) وتدعى باليونانية سيسون كاسترون ، وبالتركية كوزان ، وتقع جنوب تركية اليوم على بعد نحو ٤٠ ميلا شمال شرق أضنة تسيطر على الطريق النازل من جبال طوروس إلى السهل الفسيح عند سفوحها ، كان لها دور كبير في نزاعات الحدود العربية البيزنطية في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين (القلاع أيام الحروب الصليبية ص ١٠٢) .

(٢) انظر بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٤٨ .

(٣) في ولاة دمشق ، ص ، ٦٧ – دهمان : (في يوم الجمعة رابع عشرين من ذي القعدة من السنة المذكورة، ٦٧٨ هـ) . وفي بدائع الزهور ،ج ١ ، ق ١ ، ص ، ٣٥٠ مايلي : (فيها جاءت الأخبار من دمشق بأن الأمير سنقر ادعى السلطنة لنفسه بالشام . . . وتلقب بالملك الكامل) . وفي نفس المصدر السابق ونفس الصفحة ورد مايلي : (ثم دخلت سنة ٦٧٩ هـ وفيها جاء في الأخبار عن دمشق بأن الأمير سنقر الأشقر . .. خامر وخرج عن الطاعة . . . وتلقب بالملك الكامل . .) .

(٤) في ولاة دمشق ، ص ، ٦٧ – ٦٨ ، مايلي : (وفي ثاني عشر صفر خرج الملك الكامل سنقر من دمشق بنفسه بجميع من عنده من العساكر،وضرب دهليزه بالجسورة (مكان بين القدم وداريا) وخيم هناك بجميع جيشه). وانظر غوطة دمشق ص ٢٢٨ وفيه أنها موضع بظاهر دمشق . وهي جنوب دمشق وتبعد عنها نحو ٧ كم .

الجسورة ، والتقى مع الجيش المصري ، وكانت النُّصرة لهم عليه ، وفرّ هو ، وتوجّه إلى الرَّحْبَة (١) . ثم إنه جاء إلى صِهْيَون (٢) ، وجعلها دار ملكه ، وبيد نوّابه : بَلاطُنُس وعكا وجَبَلة واللاذقية وبكاس وشَيْزَر (٣) .

وتحرك التتار ، وكان عسكر مصر قد نازل شَيْزَر ، وضايقوها بلا محاصرة . وتردّدت الرسل بينهم . ولما دهم التتار البلاد ، خرج العسكر من دمشق وعليهم الركن باجو ، وقدم من مصر بَكْتاش

---

(١) تقدم التعريف بها ص ٣٣٦ ج١ .

(٢) صهيون : حصن حصين من أعمال سواحل بر الشام ، لكنه غير مشرف على البحر (معجم البلدان ٣ / ٤٣٦) ويدعى اليوم قلعة صلاح الدين ، وباليونانية سيفون ، وبالفرنسية ساوون وساهون . وهي قلعة متهدمة فوق جرف صخري متطاول بين خانقين عميقين في جبال اللاذقية . على بعد ١٥ كم تقريباً شمال شرقي مدينة اللاذقية ، على استقامة واحدة . كان لها دور مهم بين الصليبيين والعرب . (القلاع أيام الحروب الصليبية ص ٥٠)

(٣) بلاطنس : حصن منيع بسواحل الشام ، مقابل اللاذقية ، كان من أعمال حلب (معجم البلدان ١ / ٤٧٨) .

وعكا : تقدم التعريف بها وهي بلدة على ساحل فلسطين .

وجبلة : مدينة مشهورة على الساحل السوري للبحر المتوسط ، جنوب اللاذقية تبعد عنها ٣٠ كم وكانت فيها قلعة مشهورة .

واللاذقية : مدينة عظيمة على الساحل السوري للبحر المتوسط ، وهي مدينة قديمة ومرفأ ، وكان فيها قلعتان على تل مشرف على الربض . وهي اليوم ميناء الجمهورية العربية السورية ومركز محافظة اللاذقية (لمزيد من التفاصيل انظر الروض المعطار ص ٥٠٧ وكتاب مدينة اللاذقية عبر التاريخ جبرائيل سعادة ، والمختار من صبح الأعشى ج ٥ ص ٩٤) .

وبكاس : قلعة في نواحي حلب ، على شاطىء نهر العاصي تقابل قلعة أخرى يقال لها الشغر ، بينهما خندق ، وكانت تابعة لصاحب حلب الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي (معجم البلدان ٤٧٤/١) وانظر المختار من صبح الأعشى ج ٥ ص ٥٩) .

وشيزر : قلعة بينها وبين حماة مسيرة يوم ، يمر فيها العاصي ، ملكها بنو منقذ (معجم البلدان ٣ / ٣٨٣) . وجاء في (القلاع أيام الحروب الصليبية ص ٦٩) : قلعة وقرية وسط سورية على المجرى العلوي للعاصي ، إلى الشمال الغربي من حماة . وانظر ما جاء عنها في مقدمة كتاب (من كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ) .

النّجْمي (١) فسيّروا إلى الكامل وقالوا : ما ينبغي هلاك الرعية بيننا والمصلحة اجتماعنا / على ردّ هذا العدو ، فنزل عسكر الكامل من [١٧٩ ب] صهيون ، والحاج أزدمر(٢) من شيزر ، ونزل المنصور إلى الشام ، ونودي في دمشق بالصلح بين المنصور وبين الكامل واتفاق الكلمة (٣) ودُقّت البشائر ، وعوّضه المنصور عن شَيْزَر بكَفرطاب ، وفامية ، وأنطاكية ، والسويدية ، ودركوش (٤) بضياعها . على أنه يقيم ستمائة فارس على

---

(١) هو الأمير بدر الدين الفخري ، أمير سلاح . كان من مماليك الأمير فخر الدين ابن الشيخ ، وعاد من الأمراء الصالحية المترددين في الغزوات . بقي أمير سلاح زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون حتى سنة ٧٠٦ هـ إلى أن اعتزل بداره وتوفي في السنة نفسها (الوافي ١٠ / ١٨٨ والدرر الكامنة ١ / ٤٨٠ وخطط المقريزي ٢ / ٣٣ والسلوك ٢ / ٢ / ٥٠١ – ح ٣) .

(٢) ذكره المصنف بين الولاة . انظر الصفحة ١٨٠ القادمة .

(٣) ورد في ولاة دمشق في عهد المماليك ص ٦٨ مايلي : (. . . طمع التتار بعد هذا الانشقاق بين سنقر وقلاوون فداهموا بلاد الشام ، وأعملوا التخريب في مدينة حلب ، فكتب قلاوون إلى سنقر يقول : هذا العدو قد دهمنا ... وما سببه إلا الخلف بيننا ، وما ينبغي هلاك المسلمين والمصلحة أن نجتمع على دفعه . فامتثل سنقر لرأي قلاوون ، وكان التتر يظنون أنه يكون معهم على حرب قلاوون . ثم جرى الصلح بين الملك المنصور قلاوون والأمير سنقر الأشقر . .) ولم يذكر وقعة حمص .

(٤) كفرطاب : تقدم التعريف بها ص ٢٤٥ ج١ .

وفامية أو (أفامية) يقال إنها ثاني مدينة بنيت في الأرض بعد الطوفان ، دخلها أبو عبيدة بن الجراح بعد شيزر عام ١٧ هـ وصالح أهلها على الجزية . ويقال بناها سلوقوس أحد قواد الإسكندر الكبير . (انظر معجم البلدان ٢٣٣/٢) يسقيها النهر المقلوب (العاصي) (المختار من صبح الأعشى ٦٢/٥) وهي من المدن الأثرية ، تابعة لمحافظة حماة . تهدمت في زلزال سنة ٥٥٢ هـ فدرست وشيد على أنقاضها ، وبالقرب منها قرية قلعة المضيق في سهل الغاب .

وأنطاكية : تقدم التعريف بها ص ٣١١ ج١ .

والسويدية : مدينة على الساحل الشمالي السوري ، غرب أنطاكية ، عند مصب نهر العاصي في البحر المتوسط . (وانظر معجم البلدان ١٠٠/٣) .

ودركوش : حصن قرب أنطاكية (معجم البلدان ٤٥٢/٢) . وهي اليوم بليدة في محافظة إدلب في الجمهورية العربية السورية . غرب ادلب وتبعد عنها نحو ٢٦ كم .

جميع ما تحت يده من البلاد ، وكُوتب بالمقر العالي المولوي السيّدي الشمسي (١) ، ولم يذكر الملك ولا الأمير .

وكانت وقعة حمص (٢) فحضرها الكاملُ ، وبالغ المنصور في احترامه . وأبلى الكامل والأمراء الذين معه في يوم حمص بلاءً حسناً، وانتصر المسلمون على التتار ، وعادَ المنصور إلى دمشق ، وفي خدمته الأمراء الذين كانوا قد قفزوا إلى الكامل ، وودع المنصور الكامل وتوجّه إلى صِهْيَوْن .

وفي المحرم سنة ستٍ وثمانين وستمائة ، حضر الأمير حسام الدين طرنطاي (٣) بالعساكر إلى صِهْيَوْن وأخذها، وتوجّه حسام الدين لاجين (٤) إلى برْزَيَة (٥) وأخذها عاجلاً . فضعف الكامل وأذعن بعد حصار شهرٍ ، وشَرَطَ شروطاً والتزم له بذلك طُرنطاي ، وذبَّ عنه ذبّاً عظيماً ، وحضر بعياله صحبة طرنطاي ، فأعطاه المنصور إمرة مئة ، وبقي وافر الحُرمة إلى آخر الدولة المنصوريّة (٦) ، فلما [١٨٠ آ]

---

(١) أي هذه ألقابه .

(٢) مع التتر .

(٣) رباه المنصور بن قلاوون الملك ، وقلده نيابة السلطنة بديار مصر . مات بقلعة الجبل بالقاهرة سنة ٦٨٩ هـ (خطط المقريزي ١ / ٣٨٦ والنجوم ٧ / ٣٨٣ والبداية ٣ / ٣١٨) وهو طرنطاي بن عبد الله ، وضبطه بعض المؤرخين بضم الطاء الأولى وفتح الراء .

(٤) ذكره المصنف بين الولاة . يأتي بعد قليل ص ١٨١ .

(٥) وفي معجم البلدان : برزويه ، والعامة تقول برزية وهي حصن قرب السواحل الشامية ، على سن جبل شاهق يضرب بها المثل في جميع بلاد الفرنج بالحصانة ، تحيط بها أودية من جميع جوانبها . علو قلعتها ٥٧٠ ذراعاً ، كانت بيد الفرنج ، حتى فتحها الملك الناصر صلاح الدين يوسف سنة ٥٨٤ هـ (معجم البلدان ١ / ٣٨٣) .

(٦) أي دولة المنصور قلاوون .

كان في آخر سنة إحدى وتسعين وستمائة ، أمسكه الملك الأشرف ، وخُنِق معتقلاً . رحمه الله (١) .

ولما تسلطن بدمشق ، قال كمال الدين بن العطار (٢) :

أتـى الأشقرُ المَـالِكُ الـذي نُشِرتْ بـه
مَلاحمُ مِنْ قِبْـلِ الأعـاريب والفُرْسِ
سَيَبْلُغ أقـصى الشرّق والغـرب مُلْكُـهُ
ألم تَـدْرِ أنّ الشرقَ والغَـرْب للشـمسِ

ولمّا التقى سُنْقُر الأشقر والمصريون على الجسورة ، كان أولَ مَنْ انهزم من الأشقر صاحبُ حماة ، فقال علاء الدين الوداعي (٣) في فرار صاحب حماة :

أيْقَنْـتُ أنّ فـتى عُنَيْـنٍ كـاذبٌ
في قـولـه قـل لي فـتىً وفَـرُوْرِ
قـل أفْـلَـحَ الحمويُّ يَـوْمَ فِـرَاره
ألاّ يـلاقـي جَيْـشَ مِصْـرَ وسُنْقرِ

(١) وفاته في ولاة دمشق سنة ٦٩٢ هـ .

(٢) هو أحمد بن محمود ، أبو العباس بن أبي الفتح الشيباني الدمشقي . ولد سنة ٦٢٦ هـ ترأس ديوان الإنشاء بدمشق إلى أن مات سنة ٧٠٢ هـ (الوافي ٢ / ١٦٧ وأعيان العصر ص ١٣٥) .

(٣) هو علي بن المظفر بن إبراهيم بن عمر بن يزيد الوداعي الكندي الاسكندراني ثم الدمشقي . ولد نحو سنة ٦٤٠ هـ تولى عدة وظائف ، مهر بالعربية ونظم الشعر . صنف كتاباً أسماه (التذكرة الكندية) نحو ٥٠ مجلداً أوقفها على الخانقاه السميساطية . مات سنة ٧١٦ هـ . وهو منسوب إلى ابن وداعة عز الدين عبد العزيز بن منصور ابن وداعة الحلبي . (الدرر ٣ / ١٣٠ – والوافي ٢٢ / ١٩٩ والنجوم ٩ / ٢٣٥ وبدائع الزهور ١ / ١ / ٤٤٧ والدارس ١ / ١١٤) .

وقال أيضاً :

[١٨٠ ب] / أَلـِـمْ بِقَـبْـرِ فـتىً عُـنين قـائـلاً
مـا كنتَ فـي فَنِّ الهجـاء خـبيرا

قـد أفلـح الحمويّ يـوم فِراره
عـن سنقرٍ حـتّى انتهـى مكسـورا

* * *

(أَزْدَمُـر الجَمْدار)

ونـابَ فيهـا للمليـكِ الكـامـلِ
أَزْدَمَـرُ الشـهيدُ ذو الفضـائـلِ

الأمير عز الدين أزدمر الجمدار (١)

كان من أعيان الأمراء ، عنده معرفة وفضيلة ، وفيه مكارم .

لمّا تسلطن سُنْقُر الأشقر بدمشق ، جعله نائباً فيها ، فأقام بها نائباً مُدَّةَ مُلْكِه ، وتحوّل معه إلى صِهْيَون . ونزل بقلعة شَيْزَرَ ، وحضر مَصافَّ حِمْص ، وهو الذي طعن طاغيةَ التتار ، وَصَدَقَ اللهَ تعالى في الغَزاة ، فاستشهد مُقبلاً غيرَ مُدْبِر في واقعةِ حمص سنة ثمانين وستمائة .

* * *

(١) ترجمته في الوافي بالوفيات ج ٨ ص ٣٧٠ – الترجمة ٣٨٠٣

[ثم تولى أمْرَها العلائي
بكتوت مثل سكرة الطلاء] (١)

* * *

أيامُ حسامِ الدين لاجين

ثم غدا لاجينُ فيها نائباً
وكان سَهْماً في النُّحُورِ صائبا

فَسَاسَهَا بكرَمٍ ودُرْبَه
وفِطْنَةٍ قَضَتْ له المحبَّه

فملَكَ القلوبَ بالإحسانِ
وهذه من عادةِ الإنسان

وسَعْدُه يَقْضي له بالسلطنة
ولم يزل يشتاق منه (٢) وطنه

/ ولم يَزَلْ حتى غدا سُلطانا [١٨١ آ]
فأبْهَجَ النُّزّاحَ والقُطّانا

(١) هذا البيت ليس في الأصل المخطوط . وهو من الأرجوزة قبسناه من أمراء دمشق ص ١٥٥ ولم يرد في شرح الأرجوزة في (أمراء دمشق) أيضاً .

وبكتوت هذا هو الأمير الكبير بدمشق بكتوت العلائي بدمشق . انتقل إلى مصر وعلت رتبته في دولة الأشرف ابن المنصور . وتوفي سنة ٦٩٣ هـ . وأظنه باشر نيابة السلطنة بدمشق . أول دولة المنصور قلاوون أياماً إلى أن تولى نيابة لاجين . (الوافي بالوفيات ١٠/٢٠٠) .

(٢) في الأصل المخطوط : « إلى » ولا يقوم الكلام ، والتصحيح من أمراء دمشق ص ١٥٦ .

لكنـــه حــامَ عــلى الحِـمــامِ
فقطــع الجســـامَ.. بــالحســـامِ .

لاجين ، الملك المنصور ، حسام الدين المنصوري (١) .

مملوكُ السلطان ، أمّرَه أستاذُه وبعثه نائباً على قلعة دمشق . ولمّا تسلطن سُنْقُر الأشقر هجم على القلعة وملكها واعتقل لاجين ، ولم يزل معتقلاً حتى كُسر الأشقر وهرب . فأخرجه الأمير علم الدين الحلبي مقدم العسكر المنصوري (٢) ، ورتّبه في نيابة السلطنة ، ودخل معه إلى دار السعادة ، وذلك في أوائل صفر سنة تسع وسبعين وستمائة ، وعزله الأشرف وهو على عكا بالشُّجاعي(٣) ، وذلك في سنة تسعين وستمائة .

وعمل حسام الدين النيابة إحدى عشرة سنة .

وكان جيد السيرة ، محبباً إلى الدماشقة ، فيه عقل زائد ، وسكون ، وشجاعة مشهورة ، ودينُ ، وعليه مهابة ،خُنِق بين يدي الأشرف ، وخُلّي عنه فإذا فيه روح،فَرَقّ له الأشرف وأعاده إلى رتبته . وقيل: إنما قام على الأشرف/لأنه تعرّض لزوجته . وقَتل الأشرفَ هو وبَيْدَرة(٤)، [١٨١ ب]

---

(١) ترجمته في ولاة دمشق ص ٧٠ والنجوم ٨ / ١٨٢ والبداية ١٤ / ٣ وإعلام الورى ص ٨ وخطط المقريزي ٢ / ٢٣٩ وأمراء دمشق ص ٧٢ .

(٢) المتقدم الذكر ص ١٦٣ ج٢ .

(٣) هو الأمير علم الدين سنجر الشجاعي . الآتي ذكره بعد قليل ص ١٨٧ .

(٤) انظر بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٧٥ ورسمه فيه (بيدرا) . وبيدرا : هو الأمير بدر الدين نائب السلطنة بمصر أيام الملك الأشرف خليل بن قلاوون ، خرج مع الأشرف لقتال أهل جبل كسروان بعد انتصاره على التتار . ثار على الأشرف وقتل سنة ٦٩٣هـ (خطط المقريزي ٢ / ٦٩٣ — عند ذكر المدرسة القراسنقرية) . وجاء في بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٧٥ أن الأمير كتبغا حز رأس بيدرا وجعله على رمح وأرسله إلى القاهرة فطافوا به .

واختفى هو وقراسنقر (١) وقاسى شدائد ، وجوعاً وعطشاً وخوفاً ، ثم أجازه كتبغا(٢) وأحسن إليه . ودخل به إلى السلطان الملك الناصر وقرّر معه أن يحسن إليه ويخلع عليه ففعل ذلك ، وأعطاه إقطاعاً . ولما ملك كتبغا جعله نائبه بمصر . فوثب بعد ذلك على كتبغا عند اللّجون (٣) ، وقد عاد كَتْبُغا من دمشق إلى مصر وقتل غلاميه الأزرق بكتوت وبُتْخاص (٤) ، وهرب كَتْبُغا وساق لاجين تحت العصائب إلى مصر ، وما دخل غزّة إلا وهو سلطان . ولم يختلفْ عليه اثنان . وملك في صفر سنة ست وتسعين وستمائة . وجلس على سرير المُلْك ، وبعث قَبْجَق نائباً إلى دمشق لأنه خوشداشه (٥) وجعل قراسنقر نائبه (٦) بمصر إلى أن تمكن ، ثم قبض عليه . وأقام مملوكَه

---

(١) قراسنقر : تقدم التعريف به ص ٩٤ ج٢ .

(٢) ذكره المصنف بين الولاة سيأتي ص ١٩٣ .

(٣) اللجون : بلد بالأردن بينه وبين بحيرة طبرية عشرون ميلا ، وإلى الرملة أربعون ميلا . (معجم البلدان) ..

(٤) هو بكتوت الأزرق العلائي ، تقدم قبل قليل .

وبتخاص : هو الأمير سيف الدين . كان أميراً بدمشق (لكن لم يذكره المصنف لا في الأرجوزة المنشورة في أمراء دمشق ولا في شرحها هناك ، ولا في شرحها هنا) وهو من جملة المماليك البرجية . وحضر إلى صفد نائباً ، وأقام بها ست سنوات ، ثم عزل ، وجاء عوضه سنقر شاه المنصوري وجهز بتخاص إلى مصر . . . ثم اعتقله السلطان وأحرق داره ، وكان ذلك آخر العهد به بين سنتي ٧١٠ و ٧١١ فيما أظن (هذا ما جاء في الوافي بالوفيات ج ١٠ ص ٧٥ — الترجمة ٤٥١١) وانظر الدرر الكامنة ٤٧٢/١ . وضبطه المقريزي في السلوك بفتح الباء وسكون التاء .

(٥) الخشداش : الزميل في الخدمة ، أو الصديق . فارسي معرب . وجاء في إعلام الورى ص ٦٣ — ح ٢ مايلي : والخشداشية : الأمراء الذين نشؤوا مماليك عند سيد واحد فنبتت بينهم رابطة الزمالة ،وكان لهذه الرابطة أثر ظاهر في حوادث المماليك ،ويرجع هذا الأثر إلى قلة الروابط بين المماليك ، فكانوا يجلبون من مختلف أسواق النخاسة ، وليس بينهم رابطة سوى الخدمة عند سيد واحد .

(٦) انظر الدرر الكامنة ٣ / ٢٤١ وولاة دمشق لدهمان ص ٨٤ .

الأميرَ سيف [الدين] منكوتمر(١) ، فحسّن له القبضَ على الأمراء، فأمسك البيسري(٢) ، وأَيْبَك الحموي وغيرهما . ونفى (٣) جماعة ؛ ولذلك هرب قَبْجق (٤) وبزْلار (٥) إلى التتار / . ولم يخرج إلى الشام [١٨٢ آ] مدة ملكه .

فعمل عليه جماعة من الأشرفية ، ودخلوا إليه العشاء الآخرة ، وهو مكبٌّ على لعب الشطرنج . وما عنده إلا قاضي القضاة حسام الدين ، وبُدَير البلوي (٦) وأمامه محب الدين بن العسال (٧) . فأول من ضربه بالسيف كرجي (٨) ؛ وتوجّه طغجي (٩) وكرجي إلى نائبه منكوتمر

---

(١) هو الأمير سيف الدين منكوتمر الحسامي ، نائب السلطنة بمصر ، وأحد مماليك السلطان المنصور حسام الدين لاجين المنصوري ، ذبحه المملوك كرجي بعد مقتل لاجين سنة ٦٩٨ هـ (خطط المقريزي ٢ / ٣٨٧ – المدرسة المنكوتمرية ، بدائع الزهور ١ / ١ / ٣٩٩). وما بين المعقوفين ساقط من الأصل .

(٢) هو الأمير شمس الدين الشمسي الصالحي النجمي ، أحد مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب البحرية ، تنقل في الخدم حتى صار من أجل الأمراء أيام الملك الظاهر بيبرس البندقداري ، سجن زمن الملك المنصور قلاوون سنة ٦٨٠ هـ ، أفرج عنه الملك الأشرف خليل سنة ٦٩٢ وعلت مكانته إلى أن تسلطن الملك المنصور لاجين فسجنه ومات سنة ٦٩٨ هـ دفن بتربة خارج باب النصر . (خطط المقريزي ٢ / ٦٩ والوافي ١٠ / ٣٦٤) .

(٣) في الأصل : « وسقى » تصحيف .

(٤) ذكره المصنف بين الولاة . انظر الصفحات القادمة .

(٥) كان من كبار الأمراء بمصر ، أمير سلاح ، عين لنيابة دمشق فلم تتم . مات سنة ٧٥٦ هـ (الدرر الكامنة ١ / ٤٧٦) .

(٦) اسمه في بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٩٨ (يزيد ، شيخ العرب) .

(٧) اسمه في بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٩٨ (مجد الدين بن العسال) .

(٨) هو الأمير سيف الدين ، من مماليك الأشرف خليل بن قلاوون ، قتل لاجين ومنكوتمر بالتعاون مع أخيه طغجي ، وقتلهما بعد خمسة أيام قراقوش الظاهري سنة ٦٩٨ هـ (خطط المقريزي ٢ / ٣٩٧ – المدرسة الطغجية) .

(٩) طغجي : أخو كرجي المذكور ، ومن أمراء مصر ولقبه سيف الدين ، وبعد أن قام مع أخيه كرجي بقتل لاجين ومنكوتمر عزم على أن يتسلطن ويضع أخاه كرجي=

ودقّا عليه الباب وأخرجاه . فاستجار بطغجي فأجاره ، وذهبا به إلى الجُبّ ، ثم إنّ كرجي اغتنم الغَفْلة في أمره . فتوجّه إلى الجب وذبحه ، وقال : ما قتلنا أستاذه (١) إلا لأجله ، أفنتركه حياً ؟ . . ونهبوا داره(٢) وقتل حسام الدين لاجين ، وهو في عَشْر الخمسين .

وسنّ أشياء في سلطنته مليحةً ، منها إخراج الخليفة من السجن ، وكان الخلفاء أولاً يعتقلونهم . وأبطل الثلج الذي كان ينقل إلى مصر في البحر ، وقال : أنا كنت في دمشق وأعلم ما تقاسيه الرعيّة في نقله ، وكان وهو سلطان يجهز البريدية إلى دمشق . ويُحملهم السلامَ على الموقّعين (٣) وعلى أصحابه كل منهم باسمه . ولشيخنا شهاب الدين محمود(٤) وغيره عدة مدائح فيه / . وكان شيخنا شهاب الدين محمود [١٨٢ ب] يوماً بين يديه فوقع من القلم نقطة من الحبر على ثياب نفسه ، فقال : يا قاضي سوّدْتَ ثيابَك ، فأخذ القلم وكتب :

= نائباً للسلطنة ، ولكن الأمراء خذلوه،وقرروا قتله ، فهرب ولحقه قراقوش الظاهري وأدركه وأرداه عن فرسه بضربة سيف قتيلا ، وفر أخوه كرجي ولكنه أدرك وقتل ، وكان ذلك في ١٦ ربيع الأول سنة ٦٩٨ (خطط المقريزي ٢ / ٣٩٧ والوافي ١٦ / ٤٥٢ والنجوم ٨ / ١٨٣ والعبر ٥ / ٣٧٨ والشذرات ٥ / ٤٤٠) .

(١) يريد منكوتمر .

(٢) انظر تفاصيل مقتل لاجين في بدائع الزهور ١ / ١ / ٣٩٨ — ٤٠٠ وكان قتله ليلة الجمعة عاشر ربيع الآخر سنة ٦٩٨ وله من العمر نحو ٦٣ سنة .

(٣) الموقع : من يقوم بكتابة المكاتبات في ديوان الإنشاء السلطاني أو في الولايات ، كموقع الدست (صبح الأعشى ٥ / ٤٦٥) ويقال له أيضاً كاتب التواقيع .

(٤) هو شهاب الدين ، أبو الثناء محمود بن سلمان بن فهد بن محمود الحلبي ، ثم الدمشقي : أديب وشاعر ولد بحلب سنة ٦٤٤ ﻫ = ١٢٤٧ م ، وتولى الإنشاء بدمشق ، وانتقل إلى مصر ، ثم عاد إلى دمشق وتوفي فيها سنة ٧٢٥ ﻫ = ١٣٢٥ م وكان شيخ صناعة الإنشاء في عصره . (الأعلام ٨ / ٤٨ ، ذيل العبر ١٤٠ والدرر الكامنة ٤ / ٣٢٤ والبداية ١٤ / ١٢٠ / وقد قرأ الصفدي عليه الأدب ولازمه ، ذكر ذلك ابن رافع في الوفيات ٢ / ٢٧٠ في ترجمته للصلاح الصفدي .

ثيابُ مملوكِكَ يا سيّدي
قد بيّضت حالي بتسويدها .

ما وقع الحبرُ عليها بل (١)
وقع لي منك بتجديدها

فأمر له بتفصيلتين (٢) وخمسمائة درهم . فقال يا خوند رفاقي يبقى في نفوسهم ، فأمر لهم بمثل ذلك ، وصارت عادةً في كل سنة .

ولما تَسَلْطَنَ جاء غيثٌ عظيم ، فقال الوداعي (٣):

يا أيها العالمُ بُشْراكُمُ
بِدَوْلَةِ المَنصورِ رَبِّ الفَخارْ

فاللهُ قد بارك فيها لَكُمْ
فأمطر الليلُ وأضحى النهارْ

* * *

أيامُ الشُّجاعيِّ

ثم تَولّى سَنْجَرُ الشُّجاعي
وكانَ مَعْدوداً من الأفاعي

---

(١) في الأصل : « بل » . تصحيف .

(٢) أي بثوبين .

(٣) تقدمت ترجمة الوداعي ص ١٧٩ ج٢ .

لكنـه فيهـا تـلاشى شَـرّهْ
جتى . صَفَـا .ظـاهِـرُهُ وسِـرُّهْ

وكـان فـي مِصْـرَ يـلـي الـوزارَهْ
غَلِطْـتُ لا بـل يَعْمَـلُ الجِـزَارَةْ

لأنـه أجـرى دَمَ الكتّـابِ
ضَرْبـاً وتعليقـاً بـلا حِسـابِ

/ وبَعْدَ ذا كـانَ لـديـه فَضْـلُ [٢١٨٣]
وهـو لِعِرْفـانِ المعـاني أهْـلُ

ثـم انتحى زمـانُـه فـأعقَبَـهْ
لِعَـدَمِ الـرُّحْمـى بِضَرْبِ الرَّقبـه

وبعـد حـزِّ رأسِـه طِيْـفَ بـهِ
وقُطِعَـتْ لـواليـكٌ فـي ضَرْبِـهِ

الأمير علم الدين سنجر الشجاعي المنصوري (١).

وزير الديار المصرية . ومُشِدّ دواوينها (٢) ، كان عليه وقارٌ وهيبةٌ،وفي أنفه كِبْر ، وفي أخلاقه شَراسة ، وفي طَبْعه جَبَروت وانتقام وظلم . وله خبرة بالسياسة وتدبير الملك . باشر شَدّ الدواوين بمصر ،ثم ولي الوزارة فبسط العذاب على الكتاب . وصادَرَهم حتى كانوا يقولون : من لم يأكل المَقارع في الأسبوع ماتت أولاده بالجوع .

---

(١) ترجمته في الوافي بالوفيات ١٥ / ٤٧٥ ، ولاة دمشق ص ٧٦ ، البداية ١٣ /٣٣٤ إعلام الورى ص ٤ وشذرات الذهب ٦ / ١٤٢ .
(٢) تقدم التعريف بالمشد ص ١٤٨ ج٢ .

ودخل إنسان إلى الحمام . فرأى بعض الكُتّاب وعلى جَنْبه آثارُ ضَرْب المَقارع فقال له : ما هذا ؟ قال : هذا رَنْكُ(١) الشجاعي ؛ ومع ذلك فكان له مَيْلٌ إلى أهل العلم والدين ، ويُعَظِّم الإسلام .

وعَمِلَ الوزارةَ أولَ دولةِ الناصر بعد الأشرف . وولي نيابة دمشق في تاسع جمادى الآخرة سنة تسعين وستمائة ، وعُزِل عنها / [١٨٣ ب] يوم السبت رابع شوّال سنة إحدى وتسعين وستمائة .

وكان الوزير شمس الدين بن السّلعوس(٢) يَحْطُّ عليه ، ويَقْصِدُه بالأذى ، فكتب بعض أقارب الوزير إليه من دمشق :

تنبّه يا وزير الأرض (٣) واعلم
بأنّكَ قد وَطِئْتَ على الأفاعي

وكُنْ بالله معتصماً (٤) فإني
أخافُ عليكَ مِنْ نَهْشِ الشُّجاعي

ولما أمسك هو الوزيرَ بعد موت أستاذه ، وصادَرَه ، وعاقَبه وطلب أقاربه وصادَرهم . وسأل عن صاحب البيتين فاعترف له فقال : والله

---

(١) الرنك : الشعار .

(٢) وهو عمر بن محمد بن عثمان . نشأ بدمشق ، وولي نظر الديوان بها ، ثم نظر الدولة بالقاهرة ثم الوزارة فباشرها يوماً واحداً ، وكان الناصر يكرمه . مات في ذي القعدة سنة ٧٣١ هـ (الدرر الكامنة ٣ / ١٨٨) .

(٣) في بدائع الزهور ١ / ١ / ٣٨٠ : « يا وزير الملك » .

(٤) في بدائع الزهور ١ / ١ / ٣٨٠ : « محتسباً » .

أنتَ نصحته فما انتصح، وعفا عنه وأطلقه(١) . ولما قُتل الشُّجاعي وجد في أوراقه ما هو مكتوب بخطه :

إن كانـت الأعضـاءُ خالفـتِ الـذي
أمَـرْتَ بـه فـي سـالفِ الأزمـانِ

فسـلـوا الفـؤادَ عـن الـذي أَوْدَعْتُمُ
فيـه مـن التـوحيـدِ والإيمـانِ

تَجِـدُوه قـد أدّى الأمـانـة فيهمـا
فَهَبُـوا لـه مـا زَلّ بالأركـانِ

وعمّر المدرسة المنصورية ، وهي المدرسة والتّربة والبيمارستان في مدة عشرة أشهر أو ثمانية، وهذا أمرٌ مُعْجِزٌ، من لمَ يرَها / لم يُحسِن [١٨٤ آ] يصفها . وعمّر الطارمة (٢) التي بقلعة دمشق ، والقبّة الزرقاء (٣) ، وقاعة الذهب والإيوان والرواق . وأدخل (٤) ورق ذهب في الزخرفة أربعة آلاف دينار . وجميعُ ذلك في مدة سبعة أشهر .

---

(١) وردت الرواية في بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٨٠ كما يلي : « ثم إن الشجاعي قبض على الصاحب شمس الدين بن السلعوس ، واحتاط على موجوده ، ورسم على أقاربه وعياله وحاشيته وصار يعاقب ابن السلعوس كل ليلة ...ويعصر أكعابه بالمعاصر حتى مات تحت الضرب سنة ٦٩٣ هـ ، أورد عن الذهبي : كان الصاحب ابن السلعوس أقارب بالشام ، فلما صار إليه الأمر ما صار ، أرسل خلف أقاربه ، فكلهم حضروا إلا شخص منهم يقال له : زين الدين ، فأبى الحضور إلى مصر... » .

(٢) الطارمة : تقدم التعريف بها وهي أحد أبراج قلعة دمشق الغربية .

(٣) التي في القلعة .

(٤) في الأصل المخطوط : « ودخل » تصحيف .

ولم يزل بدمشق إلى أن عزله الأشرف عن نيابتها لما عاد من قلعة الروم (١) .

ولما كان في نيابة دمشق لم يعامل النّاس بتلك المعاملة المصرية فقيل له في ذلك ، فقال : هناك كان على كتفي سَبُعٌ مفتوحُ الفَكِّ يريد مني أن أملأه . يعني أستاذه المنْصور .

ولما قُتل الأشرفُ أَمْسَكَ جماعةً من الخاصكيّة (٢) الذين تمالؤوا على قتله، وقَطّع أيديَهم وأرجلَهم وعلّقَها في رقابهم وطافَ بهم .

وحفظ القلعة (٣) وحصروه بها . فلما كان في الرابع والعشرين من صفر سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، عجز وطلب الأمان فلم يعطوه ، وطلع إليه بعض الأمراء وقال : انزل إلى عند السلطان الملك الناصر فمشيَ معه ، وضربه واحدٌ طيّر يده ، ثم طيّر آخرٌ رأسَه ، وعُلِّق رأسُه في الحال على سور القلعة . / ودقّت البشائر ، وطاف المشاعليّة(٤) [١٨٤ ب] برأسه على بيوت الكتاب القِبْط ،فبلغت اللّطمة بالمداس على وجههنصف درهم،والبولَةُ على وجهِ درهماً . والناس يَسُبُّونه ويلعنونه(٥) .

* * *

---

(١) قلعة الروم : قلعة حصينة في غربي الفرات ، مقابل البيرة ، بينها وبين سميساط ، كان بها مقام بطرك الأرمن ، وكانت وسط بلاد المسلمين . (معجم البلدان ٤ / ٣٩٠) . وذكر القلقشندي أنها قلعة المسلمين المسماة قديماً بقلعة الروم ، وهي قلعة من جند قنسرين ، في البر الغربي الجنوبي للفرات من جهة الغرب الشمالي عن حلب ...وهي حصينة لاتدرك . انظر المختار من صبح الأعشى ٥ / ٥٤ .

(٢) الخاصكية : جماعة أو فرقة من المماليك يختارهم السلطان من الأجلاب الذين دخلوا خدمته صغاراً ، ويجعل منهم حرسه الخاص ، ويكلفهم القيام بالمهام الشريفة (السلوك ١ / ٦٤٤) .

(٣) أي قلعة الجبل بالقاهرة .

(٤) المشاعلية : أي حملة المشاعل .

(٥) تفاصيل مقتله في بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٨١ — ٣٨٥ .

(الأمـير عـز الـدين أيبك الحموي)

ثـم تـولـى أيـبـكُ الحَـمَـوِيُّ
وهـو شُـجـاعٌ فـي الوَغَـى كَـمِـيُّ

الأمير عزُّ الدين أَيْبكُ الحَمَوِيّ (١) . ولاّه السلطان الملك الأشرف عقيب قدومه إلى دمشق من قلعة الروم عِوَضاً عن الشُّجاعي . وباشر النيابه يوم الإثنين تاسع شوال ، فباشرها مباشرةً حسنةً . وكان من الفرسان ، معروفاً بالشجاعة .

وعَمّر الحَمّام بَرا باب السلامة (٢) ، وكان فراغها سنة أربع وتسعين وستمائة ، ولم يزل بها نائباً إلى أن وصل الملك العادل كُتُبُغا (٣) إلى دمشق في نصف ذي القعدة سنة خمس وتسعين وستمائة ، فَعَزَلَه عن نيابة دمشق ، وجعله في قلعة صَرْخَد (٤) . ثم إنه وَلِيَ نيابة حمص ومات بها . ونقل إلى تربته شرقي عقبة دُمّر (٥) سنة ثلاث وسبعمائة.

* * *

---

(١) ترجمته في ولاة دمشق ص ٧٩ – ٨٠ والقلائد الجوهرية ١ / ٢٢٧ والدرر الكامنة ١ / ٤٢٢ وإعلام الورى ص : ٩ والوافي ٩ / ٤٧٩ .

(٢) في خارج باب السلامة ويسمى أيضاً باب السلام ، وهو أحد أبواب دمشق القديمة . في الطرف الشمالي الشرقي من السور . سمي بذلك تفاؤلا لأن القتال لا يتهيأ من ناحيته لما دونه من الأنهار والأشجار ، وكان يسمى باب الشريف المسدود . (الأعلاق الخطيرة – تاريخ دمشق ص ٣٥) . ولا يزال قائماً ، ونهر بردى يمر بجانبه .

(٣) سيأتي الحديث عنه بعد قليل .

(٤) تقدم التعريف بصرخد وهي بليدة في محافظة السويداء اليوم – في الجنوب الشرقي لمدينة السويداء .

(٥) تقدم التعريف بها ص ٥٦ ج١ .

(أغـرلـو العـادلي)

ثـم تـولاّهـا أغـرْلـو العـادلـي
لِكُتْبغـا العـادلِ لـمّـا أنْ ولـي

[١٨٥ آ] / الأمير شجاع الدين أغرْلو مملوك الملك العادل (١) كتبغا .

[تولى دمشق] (٢) في تاسع عشر ذي القعدة سنة خمس وتسعين وستمائة . ولم يزل بها إلى أن خـُلع أستاذُه كُتْبغُا ، ووليها الأمير سيف الدين قَبْجَق المنصوري(٣).وبقي بعد ذلك في جملة أمراء دمشق الكبار لشجاعته وعقله إلى أن توفي سنة تسع عشرة وسبعمائة (٤) ، ودفن بتربته شمالي الجامع المظفّري بالصالحية (٥) .

* * *

---

(١) جاء في ولاة دمشق ص ٨١ – ح ١ مايلي : « إن اسمه غرلوا حسبما ورد على باب تربته بسفح قاسيون ، وسمي في بعض المصادر (أغرلوا) فالظاهر أنه يجوز فيه الوجهان ، وبعض المصادر تسميه (غزلو) ، وهو تصحيف لأن الكتابة على الحجر حققت صحة ضبطه بالإضافة إلى المصادر التي أيدتها » . وترجمته في الدرر الكامنة ١ / ٣٩٠ والوافي ٩ / ٢٩٤ والقلائد الجوهرية ١ / ٣٢٦ وفي الدرر والوافي وولاة دمشق (سيف الدين ، اغرلوا) وفي الأصل المخطوط كتب أحياناً (أغرلو) وأخرى (أغرلوا) .

(٢) أضفنا ما بين المعقوفين لإقامة النص .

(٣) الآتي ذكره ص ١٩٥ .

(٤) انظر بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٣٨٦ .

(٥) الجامع المظفري : هذه نسبة إلى بانيه الملك المظفر كوكبري ، بالصالحية ، ويسمى أيضاً جامع الحنابلة أو جامع الجبل ، أو جامع الصالحية (أو الصالحين) ، وهو بسفح جبل قاسيون (انظر مخطط الصالحية رقم ٣٦ وضع الشيخ محمد أحمد دهمان الملحق بالقلائد الجوهرية ، وثمار المقاصد ص ١٥٢ – ح ٣ وسوفاجيه ص ٩٥) . والجامع اليوم معروف ومشهور ، جدد سنة ١٤٠٨ هـ وأدخلت عليه تعديلات (انظر خطط دمشق العلبي ص ٣٢٠) .

(كُتُبُغا)

ثم غدَتْ قلْعتُها لِكُتْبُغا
الملكِ العادلِ قَسْورِ الوَغى (١)

لما توجّه الملك العادل كُتْبُغا(٢) من دمشق وصار باللّجون . خرج عليه حسام الدين لاجين (٣) وقتل مملوكيه : بكتوت الأزرق ، وبُتخاص (٤) كما تقدم . هرب كُتُبُغا إلى دمشق فوصلها يومَ الأربعاء آخرَ يَوم من المحرم سنةَ ستٍ وتسعين وستّمائة . وتلقّاه نائبهُ أغرْلوا مملوكُه ، وأغلق باب القلعة ساعةً من النهار . ولمّا وصل العادلُ في خمسةِ مماليك ، دخل القلعة ، وأحضر أمراءَ الدولة ، وخلع عليهم . ورسّم على نُوّاب لاجين (٥) وأخذ حواصِلَه ، وحلّفَ الأمراءُ بحضور القضاة .

/ ولما اشتَهر في ثالث عشر صفر من السنة المذكورة ، جلوسُ حسامِ الدين لاجين على تخت المُلْكِ بمصر ، وخُطب له بغزَّة والقُدس [١٨٥ ب]

---

(١) القسور : الأسد .

(٢) ترجمته في الدرر الكامنة ٣ / ٢٦٢ والنجوم الزاهرة ٨ / ٢٠٦ وبدائع الزهور ١ / ١ / ٣٨٦ ووفاته فيه سنة ٧٠٢ وأنه دفن بحماة ثم نقل جثمانه إلى دمشق ودفن بسفح قاسيون ، والبدر الطالع ٢ / ٥٨ — رقم ٣٨٠ .

(٣) وال . تقدم ص ١٨٣ ج٢ .

(٤) رسمها ابن اياس في بدائع الزهور (بتخاص العادلي وبكتوت الأزرقي) ج ١ ق١ ،ص٣٩١ — انظر التفاصيل ص ٣٨٦ — ٣٩٤ . وتقدم بكتوت ص١٨١ ج٢ وبتخاص ص ١٨٣ ج٢ .

(٥) رسم عليه : أجبره على الإقامة في مكان معين .

وبلد الخليل (١) عليه السلام ، وصفد(٢) ونابلس والكرك . أظهر سيف الدين كجكن المنصوري (٣) سلطنة المنصور حسام الدين لاجين ، وخرج إلى الأمراء فأذعن كتبغا للطاعة وقال : هو خُشْداشي (٤) وأنا في خدمته وطاعته ، وأنا مكاني إلى أن يرد أمره فيَّ بما يريد ، وانتقل من دار السلطنة إلى غيرها . وحلف العساكر للمنصور صاحب مصر . ثم حضر سيف الدين جاغان المنصوري (٥) في حادي عشر ربيع الأول من السنة المذكورة . وحلّف العادل فقال له : قد عيّنك السلطان إلى صَرْخَد ، فقال : رضيت بها فتوجّه إليها .

* * *

(١) الخليل : هو خليل الله نبي الله إبراهيم ، وبلدة الخليل بلدته ، التي في فلسطين ، وفيها قبره وقبر زوجته سارة ، وقبر إسحاق وزوجته رفقة وكذلك نقلت جثة سيدنا يوسف ودفنت بالقرب من نابلس ثم نقلت إلى قرية (أربع) وهو الاسم الذي أطلقه الكنعانيون عليها ، نسبة إلى بانيها (أربع) بمعنى أربعة ، ثم دعيت هذه البلدة (حبرون) نسبة إلى أحد أولاد كالب بن يفنة . (انظر معجم بلدان فلسطين ص ٣٤٥ — ٣٥٩) وهي جنوبي القدس .

(٢) صفد : مدينة في شمال فلسطين المحتلة ، وعاصمة الجليل الأعلى ، وهو اسم آرامي بمعنى الشد والربط ، ترتفع عن سطح البحر ما بين ٧٩٠ و ٨٤٠ م ويعود تاريخها إلى أيام الكنعانيين (معجم بلدان فلسطين ٤٨٥ — ٤٨٧) وانظر الأعلاق الخطيرة — تاريخ سوريا ولبنان والأردن ص ١٤٦ — ح ١ — ٥ ومعجم البلدان .

(٣) أحد الأمراء الكبار بدمشق . مات بها سنة ٧٣٩ هـ (الدرر ٣ / ٢٦٥) .

(٤) الخشداش أو الخوشداش : الزميل في الخدمة أو الصديق وانظر الحاشية رقم ٥ في الصفحة ١٨٣ السابقة .

(٥) كان مملوك السلطان حسام الدين لاجين ، عمل شاداً للديوان بدمشق لما كان سيف الدين قبجق بها نائباً فاختلفا وتوجه قبجق إلى التتار . توفي سنة ٦٩٩ هـ (الوافي ١١ / ٣٩ والسلوك ١ / ٨٧٠ والنجوم ٨ / ٦٥ والعبر ٤ / ٣٩٦ وتاريخ ابن الفرات ٨ / ٢٢٦ والشذرات ٥ / ٤٤٦) .

أيام الأمير سيف الدين قَبْجَق

ثـم تولاّهـا الأمـيرُ قَبْجَـقُ
وهو الـذي فـي بـأسِـه لا يُلْحَـق

لأنـه كـانَ شُـجاعـاً فـارسـاً
إذا طَغَـا الأبطـالُ فـي الـوغـى رَسـا

وهـو الـذي أتـى بغـازان إلـى
دمشـقَ فـانْهـلَّ بهـا منـه البَـلا

[١٨٦ آ] / وصـار للمُغـل عليهـا نائبـاً
وكـان عَيْنـاً للخُطـوب حـاجِبـا

الأمير سيف الدين قَبْجَق المنصوري (١)

كان رجلاً كريماً حازماً بطلاً شجاعاً ، مبرزاً في جودة الرمي بالنُّشّاب لا تُتّقى سهامُه . غايةً في العقل وفي التفكر ، معدومَ النظير من فرسان الإسلام . وكان يجيد الكلام و الحفظَ والترسل بالمَغوليّة (٢).

لمّا تولّى الملكُ حسام الدين لاجين خيّرهُ بين نيابةِ مصرَ ونيابةِ دمشق ، فاختار دمشق . وعظمّه لاجين إلى الغاية ، وكان يكتب إليه : الجناب العالي (٣) ، ويكاتبه بالمملوك ، فاستعفى من ذلك . فقال : أنا أعرف مكانتك .

---

(١) ترجمته في الدرر الكامنة ٣ / ٢٤١ – الترجمة ٦١٦ ، ولاة دمشق ص ٨٤ ، وإعلام الورى ص ١٠ والنجوم الزاهرة ٩ / ٢١٦ .
(٢) أي باللغة المغولية .
(٣) الجناب العالي: من ألقاب أرباب السيوف والأقلام جميعاً فيما يكتب به عن=

ودخل دمشق في يوم السبت سادس شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين وستمائة .

ولما تواترت أخبار التتار ، ووصل الأمير سيف الدين بكتمر السِّلاح دار (١) ، وخرج هو بالعسكر الرومي إلى حمص أيضاً ، ورسم له أن يكون مقدَّم العساكر . فلما نزل على حمص جاء صلغاني ابن حَمدان من مصر ليردَّ العساكر ،ويقول : قد بطلت حركة العدو / [١٨٦ ب] فارجع إلى دمشق . وكأنَّه تنَسَّم خبراً مَا أعجبَه ، وكذلك فهم أَلبكي وبُزْلار وبكتمر السِّلاح دار ، فعملوا على الهروب إلى بلد التتار . وبعد هروبهم بيومين وصلت الأخبار إلى دمشق بأن السلطان قُتل هو ومنكوتمر (٢) . ولمّا وصلوا إلى قازان (٣) أقبل عليهم ، ورتّب لقَبْجق راتباً لا يكفيه . وجرَّ جماعةَ المغلِ للصيد ، فلما التأمت الحلقة وانضمت ، قال قازان لجماعته :اليوم نُبْصِرُ إن كان هؤلاء قَبْجيَّة(٤) أو لاً ،وأراد فضيحتهم بذلك . ثم قال لقَبْجَق نحن شَبِعنا صَيْداً،

=السلطان وغيره من النواب ومن في معناهم.وهو أعلى ما يكتب للقضاة والعلماء في الألقاب . ويقال فيه (الجناب الشريف العالي) و (الجناب الكريم العالي) و (الجناب العالي) مجرداً عنهما . وأصل الجناب في اللغة : الفناء أو ما قرب من محلة القوم ، أو ما قرب من محلة القوم ، ومنه قولهم : لذنا بجناب فلان (المختار من صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٥٣ وتكملة المعاجم ٢ / ٢٩٥ – ح ٩٦٥) .

(١) أحد أمراء القاهرة . ولي بعد سنة ٦٩٩ هـ حماة وحمص وحلب وغيرها ، ثم أعطاه الناصر تقدمة ألف في مصر . توفي سنة ٧٠٣ هـ (الدرر الكامنة ١ / ٤٨٢) . والسلاح دار : متولي أمور السلاح .

(٢) تقدم التعريف به . .

(٣) ويقال (غازان) يأتي الحديث عنه في الصفحة ٢٠١ ج٢ القادمة .

(٤) في الأصل : « أقجبة » تصحيف .

وهذا عملناه ضيافةً لك . فنزل قبجق وضرب له جُوكاً (١) وقال لسعادة القان (٢) : نتصيّد . فعبرت بهم حمرٌ وحشية ، فقال قبجق : إيش (٣) يريد القان ؟ فقال له ـ هذا وهذا وهذا . فساق قبجق وصهْرُه يميناً وشمالاً ورمَيا الأول والثاني والثالث فما أخطآها ، وتلاقى نُشّابهما في بطون الحُمُر . فلما حملا ذلك إليه تعجّب من حسن رميهما ، وعَظُما في عينه فقام (٤) [إلى] القبجق وألبسه قبعاً كان على رأسه / ، [١٨٧ آ] وألبس صِهْرَه تِكْلاً (٥) كان عليه .

ولما أقبل عليهما حدّثاه في قصد الشام فوافقهما . وجاء قازان ، ووصل إلى دمشق . ولما التقى الجيشان تعتع عسكر قازان (٦) ، وهمّ بالرجوع فقال قبجق لقازان : أنا أَخْبَرُ بأصحابنا . وهم لهم فَرْدُ حملة فالقان يصبر (٧) . وكان الأمر كما قال، وقُدِّرَ بهزيمة المسلمين . فأراد قازان أن يتتبع المسلمين ، فقال له : أنا أَخْبَرُ بأصحابنا ، هؤلاء يهربون مكيدةً ليلحق القان من ورائه نجدة لهم فلا تَتْبَعْهم؛فتأخر عنهم . وكان ذلك رحمةً من الله للملسمين .

وأراد قبجق ذلك ، وإلا كان الجيش الإسلامي راح كلّه تحت السيف .

---

(١) كذا الأصل ، ولعل الصواب (جوكاناً) وهو المحجن الذي تضرب به الكرة .

(٢) القان : لقب ملوك التتار (المختار من صبح الأعشى ٣ / ٣١٧) .

(٣) أيش : أي شيء . وهو لفظ شائع عند العرب قديماً ، وورد في كتب الجاحظ وغيره

(٤) الأصل : « فقال » . تصحيف .

(٥) التكلة : ضرب من ملابس الأمراء في الهند والصين (دوزي) .

(٦) تعتع في الكلام : تردد فيه . والمراد تردد العسكر بين خوض المعركة والرجوع .

(٧) أي حملة واحدة فقط ، وعلى القان أن يصبر .

وكان قبجق يقول بعد ذلك : كنتُ أولاً سبب هلاكهم لأنه (١) أراد أن يضرب عنقي ، وكنتُ في الثانية سبب نجاتهم .

ولما نزل قازان على دمشق بتل راهطٍ (٢) جعل الحكم فيها لقبجق ، وكتب له فَرَمَاناً بالنيابة عليها . وكان يراعي مصلحة المسلمين ، ويخفف عنهم ويردُّ المغل عن أشياء كثيرة كانوا يريدون أن يفعلوها . وهو / [١٨٧ ب] الذي كان يُباطن أَرَجْواش (٣) نائب قلعة دمشق على عدم تسليمها للمُغل . ولما رحل قازان عن دمشق جعل بكتمر السلاح دار نائب حلب وألبكي نائب الساحل . وجعل قَبجق نائب الشام جميعه . ونزل . بولاي(٤) / في جماعة من المغل في الشام ليكونوا رِدْءاً لهؤلاء النواب .

وفي يوم الخميس خامس عشرين جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وستمائة ، رجع الأمير قبجق وجماعةٌ بين يديه والسيوفُ مسلولة، وعلى رأسه عصابة . ونزل القصر ونودي في البلد أنه نائب القان .

---

(١) أي القان . وفي الدرر الكامنة ج ٣، ص ٢٤٢ ، مايلي : (وكان قبجق يقول : لولا أنا ما قتل من المسلمين أحد ، ولولا أنا ما نجا منهم أحد . فاذا سئل عن ذلك قال : لما وقع المصاف حمل المسلمون حملة صادقة فهم قازان بالرجوع ، فطلبني ليضرب عنقي ففطنت لذلك) .

(٢) تل راهط : قال عنه ياقوت : « موضع في الغوطة من دمشق ، في شرقية بعد مرج عذراء . إذا كنت في القصير طالباً لثنية العقاب ، تلقاء حمص فهو عن يمينك (معجم البلدان) .

(٣) أراجوش : هو علم الدين سنجر بن عبد الله المعروف بأراجوش المنصوري . توفي سنة ٧٠١ هـ (الدرر ١ / ٣٤٩ أو ٢ / ١٧٠ الوافي ٨ / ٣٣٨ ولقبه في مختصر تاريخ أبي الفداء ٢ / ١٤٥ سيف الدين) .

(٤) نزل مع المغول دمشق سنة ٦٩٩ هـ أيام واليها قبجق ، وعندما خرج قطلوشاه من دمشق ترك فيها حامية من التتر برئاسة أمير منهم اسمه بولاي ، ورحل عنها سنة ٦٩٩ يوم السبت في الرابع من رجب . (ولاة دمشق – دهمان ص ١٠٨) .

ولما جلا قازان عن الشام أخذ قبجق يراسل المصريين ، وجهّز عز الدين بن القلانسي (١) ، وزين الدين الشريف رُسُلاً إليهم ، فلما عادوا وتقرَّر الحكم للمصريين على الشام جعلوا مقام قبجق في الشَّوْبك(٢) بخاصَّته ومماليكه .

ولما كان المرة الثانية في واقعة شقحب (٣) شهد بمماليكه وأبلى فيها بلاءً حسناً . وسبق إلى الماء ليملكه،فوجد فرقةً من التتار قد ملكوه . فقاتلهم وملكه ،وبات المسلمون يرتوون بالماء ، وهلك المغل بالعطش. وكان ذلك من أسباب النصرة ، ولما خَلَتْ حماةُ(٤) / ، بعث قبجق [١٨٨ آ] إليها نائباً ، ولم يزل بحماة إلى أن حضر الملك الناصر من الكرك إلى دمشق في سنة تسع وسبعمائة . فحضر هو وقَراسُنْقُر (٥) ، وخرج السلطان وتلقاهما ، وترجّل لهما وعانقهما .

ولمّا استقر السلطان بمصر عاد قَبْجق ونزل بالقصر الأبلق .وهو يظن أنه نائب دمشق ، وأن تقليده يصلُ عقيبه إليه . فجاءه التقليد بحلب ،

---

(١) وهو أبو ليلى حمزة بن مؤيد الدولة أبي المعالي أسعد بن عز الدين ، الصاحب عز الدين الذي أنشأ دار الحديث القلانسية ، وهو أحد رؤساء دمشق الكبار . ولد سنة ٦٤٩ هـ ومات سنة ٧٢٩ هـ ، وعمل بالوزارة بدمشق . (الدارس ١ / ٩٦ والدرر الكامنة ٢ / ٧٥)

(٢) تقدم التعريف بها وهي قلعة حصينة جنوب عمان قرب الكرك .

(٣) كانت هذه الوقعة بين جيش المسلمين والتتار سنة ٧٠٢ هـ . قادها قبجق وانكسر فيها التتار وسماها ابن كثير في البداية ٢٥/١٤ (معركة مرج الصفر) وهي عند ابن حجر في الدرر الكامنة ٢٤٣/٣ ترجمة قبجق المنصوري (موقعة شقحب) . وشقحب : قرية جنوبي دمشق على طريق دمشق – درعا ، تبعد عن دمشق ٣٨ كم ، وهي شمال شرق بلدة (غباغب) . انظر القلائد الجوهرية ص ٢٦٦ .

(٤) أي من الولاة .

(٥) تقدم التعريف به ص ٩٤ ج٢ .

فتوجّه اليها ، وأقام بها . إل أن مات في أواخر جمادى الأولى سنة عشر وسبعمائة ، ونقل إلى حماة ودفن بتربته التي بناها وهي مشهورة .

* * *

(الأمير بهاء الدين قرا أرسلان)

ثم تولاها قرا أرسَلانْ
لما غدا قبجق عنها قد بانْ

لما قفز الأمير سيف الدين قبجق من حمص ودخل بلاد التتار ، وجهّزوا إليه وإلى الذين معه من يردّهم بعد موت السلطان لاجين فلم يلحقوهم . تولّى نيابة الغيبة بدمشق الأمير بهاء الدين قرا أَرْسلان (١) إلى أن أتاها الأمير جمال الدين أقوش الأفرم .

* * *

أيام الأمير جمال الدين أقوش الأفرم

/ وجاءها الأفرم مثلُ الحافظْ [١٨٨ ب]
ولم يَفُهْ بالذّمّ منْه لافظْ

مِنْ غَيْرِ تقليدِ فكان يَحْكُمُ
حتى أتاه فَغَدا يُعَظّمُ

لما قُتل الملك المنصور لاجين أجمع الأمراء أرباب الحلْ والعَقْد

(١) جاء في أمراء دمشق ص ٦٨ نقلا من الأرجوزة .

بمصر على طلب السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون من الكَرَك ،وإقامته في الملك ، فأجلسوه على تخت الملك .

وكانت دمشق بلا نائب من جهة مصر ، فجهز الملك الناصر الأمير جمال الدين أقوش الأفرم (١) إلى دمشق ليكون لها حافظاً . فحضر إليها ومعه تقليدُ ، وحَكَمَ فيها مدةً ، ثم إنه سعى فيها فجاءه تقليدُه وأقام فيها نائباً ، إلى أن دخل الشام قازان وملك دمشق .

* * *

(غازان)

وجاءها غازانُ بالمَغُول
وأكَلَ الأمْوالَ مِثْلَ الغُول

وخطبوا له على المنابرْ
ولم يَجِدْ في نُصْحِهِ مُشابرْ

ولم يفُز بالقلعة المعمورة
لأنها من صورة منصورة

وأبصرَ الناسُ به شدائدا
كادوا يكونون له حَصائدا

ثم جبى أموالها وسارا
وترك الناسَ بها سُكارى

---

(١) ترجمته في الوافي ٩ / ٣٢٦ والدرر الكامنة ١ / ٣٩٦ وإعلام الورى ١٠ وولاة دمشق ١٤٤ .

/ محمود غازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن تولى بن جنكيز [١٨٩ آ]
خان . القان معز الدوَّلة ، ملك التتار (١) .

كان من أجلِّ ملوك بيته ، يتكلم بالمغوليّة والتركيّة والفارسيّة . وكان شاباً عاقلاً شجاعاً مهيباً ، مليحَ الشكل . ملك البلاد القانيّة ، سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، وحسّن له نائبه نَوْروز (٢) الإسلام ، فأسلم سنة أربع وتسعين وستمائة ، ونثر في ذلك اليوم اللؤلؤَ والذهبَ وغيرَ ذلك . وكان يَعفُّ عن الدماء بخلاف الأموال . نشأ بتلك البلاد ، ومات بالقرب من همذان (٣) سنة ثلاث وسبعمائة في شَوَّال ، ونقل إلى تبريز (٤) ودفن بتربته . واشتهر أنه سُمَّ في منديل بعد نكاحه فتعلل ثم مات (٥) .

قدم إلى دمشق ونزل بتل راهطٍ . وملك دمشق وخُطِب لَه على منبر الجامع الأُمَويِّ بدمشق في يوم الجمعة رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وستمائة بحضور المُغْل . ونثر الناسُ الدنانيرَ والدراهمَ على المُغْل . وكتب للأمير سيف الدين قبجق بنيابة الشام . وقرىء فَرَمانَه (٦) / ، ودَبّر قبجقُ الناس ، وأحسَن السّفارَة ، وردَّ [١٨٩ ب]
المُغْلُ عن كل شر .

---

(١) ترجمته في الدرر الكامنة ٢ / ٢١٢ وأمراء دمشق ٨٢ وولاة دمشق ص ٨٧ والبدر الطالع ٢ / ٢ / رقم ٢٦٤ .

(٢) انظر ولاة دمشق ص ٨٧ .

(٣) تقدم التعريف بها في الصفحة ١٠٤ – ج٢ .

(٤) تبريز : مدينة في إيران ، في أقصى الشمال الغربي من طهران .

(٥) انظر بدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٤١٧ .

(٦) انظر فرمان ولاية قبجق في ولاة دمشق في عهد المماليك ص ٩٧ .

ونزل غازان في شهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وستمائة ،ورحل عن دمشق يوم الجمعة ثاني عشر جمادى الأولى من السنة . وتخلَّفَ قطلو شاه نائب المملكة(١) ، ومَنْ معه من المغل بعدما خرج إليه أكابر دمشق مثل ابن المُنجا (٢) وابن الشّيْرجي (٣) والتزموا له بمالٍ يحملونه إليه ، ويرفع السيف عن دمشق .

قال الشيخ وجيه الدين ابن المُنَجّا : إنَّ الذي حُمِلَ من أموال الناس إلى غازان خاصّة ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف . وإلى شيخ الشيوخ الذي نزل بالعادليّة (٤) ما قيمته ستمائة ألف درهم . والأصيل

(١) هو قطلوشاه الططري . كان من أكابر المغول ومقدمهم . قتل في مطلع سنة ٧٠٧ هـ ، وكان قبجق قد طلب إبعاده عن دمشق لما وليها من قبل المغول ، وخرج منها سنة ٦٩٩ في ١٥ جمادى الأولى . (ولاة دمشق ص ٨٧ – ترجمة غازان ، والدرر الكامنة ٣ / ٢٥٤) .

(٢) هو وجيه الدين محمد بن عثمان ابن شيخ الحنابلة ، الدمشقي ، التنوخي . ولد سنة ٦٣٠ هـ تولى نظر الجامع الأموي . وكانت له سطوة وجلال بدمشق . توفي سنة ٧٠١ هـ (مختصر تنبيه الطالب ص ٨ والشذرات ٦ / ٣ والدرر ٤ / ٣٨) .

(٣) هو الصاحب فخر الدين سليمان بن محمد بن عبد الوهاب ، أبو الفضل ، ابن الشيرجي ، الأنصاري ، الدمشقي . ولي نظر الديوان الكبير ،وكان من أكابر البلد . ولما استولى التتار على دمشق أيام غازان ألزموه بوزارتهم ، والسعي في تحصيل الأموال ، فدخل مكرهاً ، وكان قليل الأذى . مات سنة ٦٩٩هـ . (الوافي بالوفيات ١٥ / ٤٢٥ والعبر ٥ / ٣٩٨) .

(٤) هي المدرسة العادلية . وفي دمشق مدرستان بهذا الاسم هما : العادلية الصغرى وهي مدرسة للشافعية بدمشق ، داخل باب الفرج ، شرقي باب القلعة الشرقي . احترقت ولم يبق منها سوى بعض جدرانها (الدارس ١ / ٣٦٨ ومخطط المنجد رقم ٤٦) وذلك سنة ٦٩٩ على يد غازان وسنة ٨٠٣ على يد تيمورلنك . واحترقت سنة ١٣٢٥ هـ وعقب كل كارثة كانت تجدد . وكانت حتّى سنوات قريبة مضت مصلى ينزل إليه بدرج ، ثم جعلت مأوى لطلاب العلم في دار الحديث الأشرفية حتّى سنة ١٤٠٩ هـ (خطط دمشق العلبي ص ١٤٠) ، وكانت بابا خاتون بنت أسد الدين شير كوه قد أوقفتها على ابنة عمها زهرة خاتون بنت الملك العادل . والعادلية الكبرى: نسبة للملك العادل سيف الدين أبي بكر=

ابن نصير الدين الطوسي مائة ألف درهم (١) ، وللصَّفِيِّ السنجاري ثمانون ألف درهم . سوى ما تَمَحَّق (٢) ، ولحق النّاسَ من البَراطيلِ والتّراسيم (٣) .

وأما الصّالحيةُ ، فكان البلاء بها شديداً ، قيل : إنه أُسِرَ منها أربعة آلاف نفسٍ ، وقُتل نحوُ الأربعمائة .

وأحرق أماكن حول قلعة دمشق ، منها دار الحديث الأشرفية ، وما قبالتها إلى العادليّة / الصغيرة إلى العادليّة الكبيرة . وأحرقت دار [٢١٩٠] السعادة وما حولها . واحتاط التتار بهذه النّواحي والأماكن التي لم يصل إليها الحريق . فنهبَت ونُقضَت أخشابها وقلعَ ما فيها من الرُّخام وأُخذ مافيها من الأثاث،وبيعت بأقل الأثمان . وكذلك فعل بجميع الصالحيّة(٤) قُلعت شبابيك التُّرب والأبواب (٥) .

وكان الجامع الأموي يُغلق بين العِشاءين،ومن تأخر فيه شُلِّح . وكان يُصلي فيه العشاءَ والصبحَ نفرٌ يسيرٌ . وغلَتِ الأَسعارُ وأُبيعت

=ابن أيوب . أول من شرع في بنائها نور الدين الشهيد سنة ٥٦٨ وأتمها ولده المعظم . افتتحت رسمياً في احتفال كبير بحضور المعظم أواخر سنة ٦١٩ هـ . وقد شهدت أحداثاً جساماً ونزل بها عباقرة العلماء والفقهاء والأدب فكان تاريخها سجلا لتاريخ دمشق عبر العصور . وحل فيها مؤخراً مجمع اللغة العربية . (الدارس ١ / ٣٥٩ وخطط الشام ٦ ، ٨٣ وفي رحاب دمشق ص ٩٢ وخطط دمشق للعلبي ١٤١ – ١٤٣)

(١) كان كبير القدر عند المغول . ولي نظر الأوقاف والرصد . توفي سنة ٧١٥ هـ (الدرر ١ / ٣٩٠) .

(٢) تمحق : اضمحل .

(٣) البراطيل : جمع برطيل : الرشوة . والترسيم :أي ما يفرض من رسوم وضرائب .

(٤) الصالحية : حي كبير في سفح جبل قاسيون المطل على دمشق .

(٥) انظر تفاصيل أعمال التتار بدمشق في ولاة دمشق ص ٨٧ – ١١٣ .

غِرارة القمح (١) بثلاثمائة . والشعيرِ بثمانيةٍ وعشرين ، ثم ارتفع ذلك وزاد . وقاسى الناسُ شدائد إلى أن لَطَفَ الله تعالى .

وفي ثالث عشرين جُمادى الأولى ، رحل قَطْلُو شاه إلى بلاده ودَّعه نائب الشام الأمير سيف الدين قَبْجَق ، ودُقّت البشائر بالقلعة ، واستقر الناس ، ونودي فيهم بالطمأنينة ، وأن الامير سيف الدين قبجق نائب الشام .

ولمّا كان بعد وقعة شَقْحب كثُرت الإرجافات بموت غازان ولم يَصِحَّ ، ولما صَحَّ ذلك ، كتب علاء الدين الوداعي عن الأمير / [١٩٠ ب] سيف الدين طوغان (٢) مطالعةً إلى السلطان منها :

قد مات غازان بلا مِرْيَهْ
ولم يَمُتْ في الحِجَجِ الماضيه

بل شَنّعوا عن موته فانثنى
حياً ولكنْ هذه القاضيهْ

وكُتب الجوابُ عن السلطان ، بخط الشهاب محمود (٣) رحمه الله :

ماتَ من الرُّعْب وإنْ لم تكن
بموته أسيافُنا راضِيَهْ

---

(١) الغرارة : الجوالق ، الكيس .

(٢) المنصوري : كان من مماليك قلاوون . اعتقله الناصر سنة ٧١٠ هـ وأحضره من البيرة إلى مصر ثم أفرج عنه ، وولاه شد الدواوين بدمشق ، وهو الذي عمر قلعة صفد . سجن بالكرك ومات عن نيف وعشرين سنة (الدرر الكامنة ٢ / ٢٢٨) .

(٣) تقدم التعريف به ص ١٨٥ ج٢ .

وإنْ يفُتْها فأخوه إذا
رأى ظُباها كانت القاضية

وللوداعي في موت غازان عدّةُ مقاطيع منها :

لقد ماتَ غازانُ فويل منافقٍ
يُكابر فيه بالخديعة والمكْرِ

ولم يَبْقَ إلا أن يجيءَ بنفسه
ويَحْلِفَ أني قد شبِعْتُ من القبْرِ

ومنها :

وكم جَعَلَ القُصّادَ حَيّاً ومَيّتاً
قزانُ وأوحته شياطينهم وَحْيا

إلى أن قضى نَحْباً وصار إلى لَظى
وأصبح فيها لا يموت ولا يحيا

وقال الشيخ نجم الدين القحفازي(1) لما كُسرت التتارُ على شَقْحَب في عَوْدهم إلى دمشقَ ثانيةً :

لما غدا غازان فَخّاراً بما
قد قال بالأمس وأغراه البَطَرْ

---

(1) هو علي بن داود بن يحيى بن كامل القرشي ، الحنفي ، الدمشقي : ولد سنة ٦٦٨ ﻫ وقيل ٦٦٧ . عينه تنكز للخطابة في جامعة سنة ٧١٨ وولي التدريس في المدرسة الركنية سنة ٧١٩ﻫ،ثم في الظاهرية سنة ٧٢٢ ﻫ . مات سنة ٧٤٥ ﻫ ، في ٢٤ رجب (الدرر ٣ / ٤٧ والدارس ١ / ٥٤٧ وتوضيح المشتبه للذهبي ص ٤٢٠ .

/ جـاء يُـرَجِّـي مثلهَـا ثـانيـةً [۱۹۱ آ]
فـانقلـب الـدَّسـتُ عليـه وانكسـرْ

* * *

(قبجق)

وصـار فيهـا نـائبـاً للـقـان
قَبْجـقُ إذ صـارَتْ بغـير قـانِ

فسـاسـهـا وكـفَّ عنهـا المُغْـلا
وشـرُّهـم فـي الـبرد زيت يُغْلى

تقدم أن غازان لمّا رحل عن دمشق جعل فيها قبجق نائباً ، وبكتمر السِّلاح دار نائباً بحلب ، والْبَكي نائب السواحل ، ونزل بدمشق قطلوشاه، ومعه جماعة من المُغْل يكونون رِدْءاً لهم إلى أن يستخدموا لهم عساكر ، لأنَّ العساكرَ لما انهزمت دخلت إلى مصرَ،فساس الأمر قبجقُ أحسنَ سياسة ، وجهَّز المغل إلى الأغوار (١) ، فاستطابوها وألِفوا دِفْأها . فلما قوي الحرّ عليهم استوبؤوا راجعين إلى بلادهم .

ولمّا كان في سابع عشرين شهرَ رجب من السنة المذكورة ،أُعيدت الخطبة بجامع بني أميّة للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون .

* * *

---

(١) الأغوار : في الأردن جمع غور وهي الأراضي المنخفضة يجري فيها نهر الأردن .

(الأمير جمالُ الدين أقوش الأفرم)

وجاءَها الأَفْرَمُ مِنْ بَعْدِ التَّترْ
وكان بدراً لاحَ بعدمَا اسْتَتَرْ

مرَّ له بالقصر عيشٌ حُلْوُ
وقَلْبُهُ من كلِّ همٍ خِلْوُ

[١٩١ ب] / كانت لياليه بها أعراساً
ما احتاج مع أمنٍ بها حُرّاساً (١)

قالت له اللّذات لا تَوَاني
دونك للشقراءِ والميدان (٢)

تَفُزُ بِعَيْشٍ أَخْضَرٍ غضٍّ نقي
أيامُكَ البيض بقصرٍ أبلقِ (٣)

فنادم الشموسَ والأقمارا
من ذي عِذارٍ كان أو عَذارى

تزوّجُ الماء ابنةَ السُّلافه
(كأنّه بذاك شلَّ آفه)(٤)

---

(١) في أمراء دمشق ص ١٦٨ : « من أمن . . » .

(٢) في أمراء دمشق ص ١٦٨ : « ودونك الشقراء والميدانا » .

(٣) في أمراء دمشق ص ١٦٨ : « بقصر الأبلق » .

(٤) في أمراء دمشق ص ١٦٨ : « وأنه سل بذاك آفة » .

ساق إلى أفراحه الكُمَيْتا
حتى غدا الهمُّ لديه مَيْتا
وامتدَّ في أيامه لُعْبُ الكُرَهْ
وسَرَّهُ إذ زاد في الصَّيْدِ الشَّرَهْ
أيامُه أشْبَهُ بالمَنامِ
كذاك قالَهُ أُولو الأحْلامِ
كأنّما كانَ بها في جُنَّهْ
مُسْتَتِراً من الرَّدى في جُنَّهْ
لكنه فارقَها كئيبا
وباتَ عنها نازحاً غريبا

الأميرُ جمالُ الدين آقوش الأفْرم (١) . تقدم الكلام أنه كان قد استقر نائباً بدمشق ، ولمّا هرب الجيشُ إلى مصر في وقعةِ غازان ، وتراجع الناس ، عاد الأفرم إلى نيابته على عادته . وكان الأفْرم قد قَدِمَ إلى دمشق بها أميراً من جملة الأمراء ، وأقام بها مدةً في لهو ومجالسِ أُنْسٍ ، يخشى النّاسَ ويَغْشَوْنه .

/ ولما تَسَلْطَنَ لاجين اشتدَّ عضدُ الأفرم به ، لأنهمّا كانا ابني خالَةٍ . [١٩٠٢ آ]

(١) ترجمته في ولاة دمشق لدهمان ص ١٤٤ والدرر الكامنة ١ / ٣٩٦ والوافي ٩ / ٣٢٦ وهو في الدرر (اقش) وعند آخرين (اقوش) .

ثم إنه طُلِب إلى مصر وجُعِلَ حاجباً (١) . ولما قُتل لاجين وأُعيد السلطان الملك الناصر، جهّز الأفرم لدمشق، فنال بها من العيش واللذة، والمنادَمة بجماعةٍ (مطابيع)(٢) من أرباب السيوف والعمائم . وكانت تُشَدُّ له خَيْلُ الكُرة وخَيْلُ الصيّد، فيركب خَيْلَ الصّيد بعد الميدان(٣).

وكان أمره لا يُخالَف في مصر . يكتب التواقيع بدمشق بالوظائف الكبار التي لا تكتب إلا عن السلطان ويجهزها إلى مصر ، فتعود بعلامة السلطان . وكُتبت التّواقيع (٤) في دمشق عن السلطان بالإشارة العالية الأميرية الكافلية الجماليّة ، كافل الشام (٥) المحروس .

---

(١) الحاجب في أصل الوضع من يبلغ الأخبار من الرعية إلى الإمام أو السلطان ، ويأخذ لهم الاذن منه ، وهي وظيفة قديمة الوضع كانت منذ ابتداء الخلافة ، ودعي الحاجب أيام الدولة الفاطمية (صاحب الباب) ، ويقول القلقشندي : وفي زماننا – أي بين عامي ٧٥٦ و ٨٢١ هـ = ١٣٥٥ – ١٤١٨ م – عبارة عمن يقف بين يدي السلطان ونحوه في المواكب ليبلغ ضرورات الرعية إليه ويركب أمامه بعصا بيده ، ويتصدى لفصل المظالم بين المتداعين ، وخصوصاً فيما لا تسوغ الدعوى فيه من الأمور الديوانية ونحوها ، وله في بلاد المغرب والأندلس أوضاع تخصه في القديم والحديث وكذلك أيام المماليك . أما حاجب دمشق فيأتي في الرتبة الثانية بعد نائبها ، وينوب عن النائب في حال غيابه ، فيكون نائب الغيبة ، ويوكل إليه السلطان اعتقال النائب ، أو النيابة عنه إذا أريد ذلك حتى يعين نائب جديد . وجرت العادة أن يكون في دمشق ثلاثة حجاب : حاجب الحجاب ، وهو مقدم ألف والآخران طبلخاناه (أي أمير ما بين ٤٠ و ٨٠ فارساً أو أمراء عشرين أو عشرة)، وكذلك في كل النيابات . انظر صبح الأعشى ١٩/٤ و ١٨٥ وولاة دمشق ص ٢٥ وخطط المقريزي ٢ / ٢١٩ ، وحاشية الدكتور زيادة في السلوك ج ٢ ق ٣ .

(٢) كذا الأصل .

(٣) لعل المراد ميدان الحصى الذي يقع جنوبي دمشق ، والذي يبدأ من مسجد مصلى العيدين إلى الجهة الجنوبية .

(٤) التواقيع : جمع توقيع ، وهو مرسوم التعيين في وظيفة ما . والتوقيع أيضاً : وظيفة يقوم أصحابها بكتابة المكاتبات في الولايات التي فيها ديوان الإنشاء السلطاني، والموقع : هو من يقوم بذلك . وكاتب التواقيع هو الذي يكتب المراسيم السلطانية. انظر صبح الأعشى ٤٦٥/٥ .

(٥) كافل الشام : ويقال له كافل السلطنة الشريفة بالشام المحروسة . وقال القلقشندي : =

وأحبه أهل دمشق لِلُطْفِه معهم ، لأنّه كان جواداً ، لا يرى سفك الدماء ،

وتوجّه بالعساكر والفلاحين إلى جَبَل الكِسْروان (١) ، فانتصر على أهله ، وقتل منهم جماعة ، لأنه لما هُزم الجيش في واقعة غازان كان طريقهم إلى مصر على هذه الجبال / فآذوا النّاس ، وقطعوا الطرقات على الأمراء والجُنْد ، وأخذوا خيولهم وقماشهم وقتلوا جماعة . وكانت هذه الواقعة في جبال الجُرْد (٢) والكسروان من محاسن الأفرم . [١٩٢ ب]

ولم يزل الأفرم على حاله ولذّاته في سَكَنِ القصر الأبلق والنُزَه ولَعْبِ الكُرَة والصيود المختلفة في الوحش والطير ، إلى أن خرج الملك الناصر محمد بن قلاون من الكَرَك ، فشرع الأمراء يقفزون إليه واحداً بعد واحد ، إلى أن بقي وَحْدَه في دمشق . فهرب الأفرم ومعه الأمير علاء الدين بن صُبْح إلى شَقيفِ بيروت (٣) في ليلة الأحد سادس عشر شعبان سنة تسع وسبعمائة .

ثم إن السلطان كتب له أماناً فحضر وأكرمه السلطان ، وأقرّه على نيابة الشام (٤) في الركوب والنزول . وكان دخول السلطان إلى دمشق في

=إلا أن النائب عن السلطان بالحضرة يوصف في عرف الكتاب بالكافلي.والنائب عنه بدمشق يقال فيه كافل السلطنة ، ومن دونه أكابر النواب ، كنائب حلب وطرابلس وحماة . . (صبح الأعشى ٤ / ١٨٨) .

(١) كسروان : منطقة في لبنان مركزها مدينة جونية . وقديماً مقاطعة لبنانية بين نهر الكلب ونهر إبراهيم ، شمالي بيروت .

(٢) الجرد : والجمع جرود : أعالي الجبال التي ترتفع ما بين ١٣٠٠ و ٣٠٠٠ م .

(٣) الشقيف ، في اللغة : الصخر العظيم المنحدر من الجبل ، وفي جنوب لبنان قلعة تدعى شقيف أرنون أو قلعة الشقيف ، أو قلعة بوفور ، استولى عليها الصليبيون واستعادها منهم صلاح الدين الأيوبي ثم أخذوها ثانية فاستعادها الظاهر بيبرس .

(٤) النيابة : وظيفة من وظائف أرباب السيوف ، ويعبر عن صاحبها بالنائب الكافل ،=

يوم الثلاثاء ثامن عشر شعبان سنة تسع وسبعمائة . وسافر معه إلى مِصْرَ على هذه الحالة .

وكان خروج السلطان من دمشق إلى مصر يوم الثلاثاء تاسعَ شهر رمضان سنة / تسع وسبعمائة . [١٩٣ آ]

فلما استقرَّ السلطان في قلعة الجبل (١) أعطى الأفرم صَرْخَد على عادة كَتْبُغا ، وولى سَلاَّرَ الشَّوْبَكَ ، فقيل : إنهما يتراسلان. فولّى الأفرمَ نيابة طرابلس ، وأمره أن لا يدخل دمشق لئلاّ تنشَب أظافيره فيها ويساعده أهلها لمحبتهم فيه . فتوَجّه على مَشاريق المَرْج .

ثم إنّه أقام في طَرابُلُس وهو خائف لا يَقرُّ له قَرار إلى أن تحرك قراسُنْقُر من حلب ، وعزم على الدخول إلى بلاد التتار ، فخرج الأَفْرَم ولاقاه الزَّردكاش ، وتوجّها إلى عند قَراسُنْقُر (٢) ،ودخلوا البلاد أجمعين . وأعطاه خَرَبْندا (٣) خمسين تُومْاناً (٤) ، وأمر له

=أو كافل الممالك الإسلامية ، وهو يحكم في كل ما يحكم به السلطان،وله كل صلاحياته في التواقيع ، كما أن لها مراسيم وتقاليد ، وينوب عن السلطان في غيبته . ولكل ولاية في مصر والشام نائب عن السلطان ، ومنها نيابة دمشق وهي أرفع النيابات ، ويقال لنائبها نائب السلطنة . (صبح الأعشى ١٨/٤) .

(١) التي بالقاهرة . تقدم التعريف بها .

(٢) قراسنقر : سيأتي التعريف به في صفحة ٢١٥ ج٢ .

والزردكاش : هو الأمير بلبان تقدم ص ١٦٩ ج٢ .

(٣) خربندا : هو محمد بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن جنكيز خان المغلي ، غياث الدين ، القان . المعروف بخدابندا ، وعلى ألسنة العامة خربندا . ومعناه بالعربية : عبد الله : ملك العراق وخراسان وأذربيجان ، وتولى بعد أخيه قازان . مات سنة ٧١٦ هـ . (الدرر الكامنة ٣ / ٣٧٨ — الترجمة ١٠٠٣ والوافي ٢ / ١٨٥ — الترجمة ٥٤٤ وانظر السلوك ٢ / ١ / ص ٦ — ح ٢) .

(٤) التومان : الفرقة التي يبلغ عددها عشرة الاف مقاتل في اصطلاح التتر . (ولاة دمشق ص ١٤٠ — ح ٢) .

بهَمَذان (١) . وقصدته الفِداوية (٢) مرّات . ولم يظفروا به ، وأصابه فالجٌ فمات في حدود العشرين وسبعمائة .

وكان رَنْكُهُ (٣) غايةً في الظَّرْف ، وهو دائرةٌ بيضاء يَشقُّها شَطْبٌ أخضرُ كأنه مِسَنٌّ عليه سيف أحمر يمر من البياض الفوقاني إلى البياض التحتاني .

وقال فيه نجمُ الدين هاشمُ البَعْلَبَكّي (٤) :

سُيوفٌ سقاها مِنْ دِماءِ عِداتِه
وأقْسَمَ عَنْ وِرْدِ الرَّدى لا يَرُدُّها

/ وأبْرَزَها في أبيضٍ مثلِ كَفِّه [١٩٣ ب]
على أخْضَرٍ مثلِ المِسَنِّ بحَدِّها

وقال الشيخ شمسُ الدين بنُ الصايغ في ذلك :

مَلِكٌ له في اللهِ وَجْهٌ أبْيَضُ
وبِعَدْلِه في الناسِ عَيْشٌ أخْضَرُ

وبِرَنْكِهِ اللونانِ مُدَّ عليهما
لِعِداتِه في الحربِ سَيْفٌ أحْمَرُ

---

(١) همذان : مدينة في إيران ، جنوب غرب طهران ، فيها قبر ابن سينا .

(٢) الفداوية : جمع فداوي (فدائي) وهو الرجل الشجاع الجريء المقدام ، ثم أطلقت ل من يكلف الاغتيال . (دوزي) وانظر مآثر الإنافة ج ١ ص ٢٥٥ .

(٣) الرنك : الشعار .

(٤) هو أبو محمد هاشم بن عبد الله بن علي التنوخي البعلبكي البعلي ، توفي في جمادى آخرة سنة ٧٣١ ودفن بمقبرة باب الصغير بدمشق ، وكان مدرساً في المدرسة الصارمية . الدرر الكامنة ٤ / ٣٩٩ والدارس ١ / ٣٢٧) .

وكان الخواطىء يَنْقُشْنَ رَنْكَه على معاصمهن وفُروجهن .

ولما كان بِصَرْخَد كتب إليه الشيخُ صدرُ الدين محمدُ بنُ الوكيل صُحْبَةَ حِمْلٍ فاكهةٍ وحَلْوى :

أيا جِيْرَةً بالقصرِ كان لهم مَعْنَى
رَحَلْتُم فعادَ القصر لفظاً بلا معنى

وأظْلَمَ لما غابَ نُورُ جَمالِه
وقد كانَ مِنْ شَمْسِ الضُّحى نُورُه أَسْنى

فلا تَحْسَبوا أنَّ الديارَ وطيْبَها
زَمانُكُمُ لا والذي أذهبَ الحُسنا

لقد كانت الدنيا بكم في غَضارةٍ
ونُعْمى فأعمى الله عَيناً أصابَتْنا

ولا رَقَّت الآصالُ إلا صبابةً
ولا حركت ريح الصَّبا طَرَباً غصنا

يَعَزُّ عليهم بُعْدُ دارك عَنْهُمُ
وقد كُنْتَ منهم قابَ قَوْسَيْنِ أو أدْنى

وإني ألاقي ما لَقِيْتُ من الذي
لِقلبي قد أَصْمى (١) وجسمي قد أضْنى

لقد كنتمُ يا جِيْرَةَ الحيِّ رَحْمَةً
أياديكُمُ تمحو الإساءَةَ بالحُسْنى

(١) أصمى الصيد : رماه فقتله مكانه وهو يراه .

/وكان الأَفْرَم قد خرَج للصيْد ، فوجد قاصِدَه في الطريق . [١٩٤ آ]
فلما وقف على الأبيات تألّم وقال لِخَزْنداره (١) : كم معك ؟ قال :
ألفُ درهم ، قال : ما يكفي الشيخ ، يا صبيان ؛ أقْرِضوني
حوائِصَكُم (٢) ، فأخذها وهي عشرون حياصةً ، وجهّزها إلى الشيخ
صدر الدين قَرِينَ الدراهم ، وقال للقاصد سَلِّم عليه وقل له :

علی قَدِّ الكِسا مَدَّيْتُ رِجْلي
وإن طالَ الكِسا مَدَّيتُ زَادَهْ

* * *

أيام الأمير شمس الدين قرا سُنْقُر

ثُمَّ قَرا سُنْقُرُ جاءَ بَعْدَهْ
ولم تَطُلْ لَهُ عليها مُدَّهْ

لأنّه لَمْ يأمنِ السُّلطانا
وكان مِمّنْ جَرَّبَ الزَّمانا

فما رأى مصلحةً غَيْرَ النّوى
وإنَّ مَنْ رام النّوى فَقَد ثَوى (٣)

فراح باختياره إلى حَلَبْ
ومِنْ هُنالِكَ استعدَّ للهَرَبْ

---

(١) الخزندار : ممسك الخزانة . وقد تقدم التعريف به ص ١٢٨ ج٢ .
(٢) الحوائص : جمع حياصة ، المنطقة التي تشد على الوسط (الزنار) ويوضع فيها ما يحمل من المال .
(٣) ثوى بالمكان : أقام .

غـدا منـكـّـداً إلــى مُـهـنـّــا (١)
لـمّــا اسـتـكـدَّ عِـنـدَه اسْـتـكَـنـّـا

ولـم يَحُـلَّ بعـدَ ذاكَ بَـنْــدا
حـتّى إذا صـارَ إلى خَـرَبَنْـدا (٢)

فـقـرَّ مـن فقـد الفـرار قـلـبـا
ونـال بـالـقـرار مـا أحـبّـا

كـم سَلّـطَ السلطانُ مِـنْ حَشيشي (٣)
عليـه وهـو عنـده كالـرِّيْـشِ

[ولـم يكـن فـي حـزمـه بـداو
يـومـاً فـداوى ضربـة الـفـداوي

ولـم تَشُـقْـه مصـرهُ وشـامُـه
هنـاك حـتّى جـاءه حِـمامُـه (٤)]

[١٩٤ ب] / الأمير الكبير شمس الدين ، أبو محمد قرا سُنْقُر المنصوري(٥).

---

(١) هو مهنا بن عيسى ، سيأتي التعريف به بعد قليل .

(٢) خربندا : تقدم التعريف به في الحاشية ٣ ص ٢١٢ ج٢ .

(٣) الحشيشي : يريد بذلك الفداوية الذين كان يرسلهم الملك الناصر إليه ليقتلوه حتى إنه قيل : إن الذين هلكوا من الفداوية بسبب حذر وحرص قراسنقر ثمانون رجلا (الدرر الكامنة ٣ / ٢٤٧)

(٤) هذان البيتان سقطا من الأصل هنا ومن شرح الأرجوزة الذي نشره الدكتور صلاح الدين المنجد . أخذناهما من الأرجوزة - أمراء دمشق ص ١٦٠ .

(٥) ترجمته في الدرر الكامنة ٣ / ٢٤٦ وخطط المقريزي ٢ / ٣٨٨ وأمراء دمشق ٦٨ وولاة دمشق ١٤٩ وإعلام الورى ص ١١ .

من أكبر مماليك البيت كان أَوْشاقياً (١) ، وترقّى إلى نيابة مصر ودمشق وحلب . كان من أقران طرنطاي (٢) ولاجين والشجاعي ، وكانمعروفاً بالتحيل على بلوغ المقاصد . وسَداد الرأي ،وقيل : إن أصله من قارا(٣)

استنابه المنصور (٤) في حلب . تتبعه طرنطاي ، ولم يزل حتّى أمر بالكَشف عليه . ولم يظفر منه بقصدٍ . وتَقَصَّده ابن السلعوس (٥) الوزير وقهره ، ولم ينل ما أحبّه فيه . ولما عَمِلَ على عَزْله من حلب سعى بدهائه وبذله إلى أن رتّبه الأشرف أمير خازندار (٦) بمصر ، وكان ممن حضر قَتْلَهَ الأشرف وعمل عليه . وناب قراسُنْقُر في مصر لحسام الدين لاجين ، وعمل عليه منكوتمر (٧) مملوكُه حتّى أُمسك في نصف ذي القعدة سنة ست وتسعين وستمائة . وتولى منكوتمر النيابة عوَضَه . ولما قُتل لاجين ، وجاء النّاصر من الكَرَكِ أعطى قَراسُنْقر نيابة الصُبَيْبَة (٨) فبقي فيها مدةً . ونُقل إلى نيابة حماة بعد

---

(١) الأوشاقي ، أو الأوجاقي : لقب الذي يتولى ركوب الخيل للتسيير والرياضة ، أو خادم الإصطبلات (المختار من صبح الأعشى ٣ / ٢٩٠) .

(٢) هو الأمير حسام الدين طرنطاي . تقدم ص ١٧٨ — ج٢ .

(٣) قارا : تقدم التعريف بها ص ١٤٥ ج٢ .

(٤) هو الملك المنصور قلاوون .

(٥) تقدم ص ١٨٨ — ج٢ .

(٦) الخازندار : متولي أمر الخزانة ، وتقدم التعريف به .

(٧) تقدم ص ١٨٤ — ج٢ .

(٨) الصبيبة : هي قلعة بلدة بانياس (في جنوب سورية في هضبة الجولان) وتسمى قلعة النمرود ، وتقع في الشعاب الجنوبية لجبال لبنان الشرقية ، وتسمى قديماً جبل حرمون . وحالياً جبل الشيخ . وتقع إلى الشمال مباشرة من مدينة بانياس الصغيرة التي تقع على الحدود بين سورية وفلسطين ، قرب منابع نهر الأردن (القلاع أيام الحروب الصليبية ص ٥٢) .

[195 آ] العادل / ولما مات الطباخي (١) نُقل قراسُنْقُر إلى حلب ، وأُعطيت حماة لقَبْجق . ولم يزل في حلب إلى حضور الملك الناصر من الكَرَك إلى دمشق في سنة تسع وسبعمائة . فجاء إليه هو وقبجق فتلقاهما ، وترجّل لهما وعانقهما (٢) ، وتوجّها معه إلى مصر ، على أنّ قبجق يكون في دمشق نائباً . وقراسنقر في مصر نائباً . فلما صاروا في مصر ، قال له السلطان : الشامُ بعيدٌ عني ، وما يضبطه غَيْرُك ، وهذا الجاشنكير (٣) يخرج إلى صِهْيَون . فأمْسِكْهُ واحْضر به لنتفق على المصلحة . فأمسكَ الجاشنكير وتوجّه به ، فلمّا وصل إلى بلبيس (٤) . جاءه أسندمر كرجي (٥) ، فتسلمه منه وردّه إلى دمشق فدخلها يوم الإثنين خامس عشر من ذي القعدة سنة تسع وسبعمائة ، ونزل القصر الأبلق . وقدنفض يده من الطاعة ، ولم يظهر ذلك لأحدٍ . وكان قد رتب مماليكه في بيسان وطفس ، وفي الصنمين (٦) ، فلمّا وصل أرغون الدوادار (٧) إلى بيسان ،

---

(١) هو الأمير سيف الدين ، ملك الأمراء الطباخي ، مملوك المنصور .عمل نيابة حلب مدة ، ونيابة حصن الأكراد وطرابلس وغير ذلك . توفي بالساحل سنة ٧٠٦ هـ وكان قد روع التتار ، وأبلى ضد قازان . (الوافي ١٠ / ٢٨٢ — الترجمة رقم ٤٧٨٨) .

(٢) انظر تفاصيل ذلك في السلوك ج ٢ ق ١ ص ٦٠ ، ٦١ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٧٩ — ٨٠ ، ٨٣ — ٨٤ .

(٣) المقصود بيبرس الجاشنكير . انظر تفاصيل علاقة بيبرس هذا مع السلطان الملك الناصر في الدرر الكامنة ١ / ٥٠٢ — ٥٠٧ — ترجمة بيبرس البرجي رقم ١٣٧٣ .

(٤) تقدم التعريف ببلبيس .

(٥) كان نائب طرابلس أيام الأفرم سنة ٧٠١ ، وهو الذي هزم التتار قبل وقعة شقحب ثم ولي نائباً بحماة إلى أن انتزعها منه الناصر وأعطاها المؤيد إسماعيل على كره من أسندمر ، ثم ولاه نيابة حلب ، ثم سجنه بعد قليل . قتل سنة ٧٢١ هـ (الدرر ١ / ٣٨٧ — الترجمة ٩٨٨ والوافي ٩ / ٢٤٨ — الترجمة ٤١٥٦) .

(٦) بيسان : بلدة في شمالي فلسطين ، جنوبي طبرية .
وطفس : قرية في منطقة حوران — جنوبي دمشق تبعد عنها ٩٦ كم ، وشمال غرب درعا — تبعد عنها ١٧ كم . والصنمين : تقدم التعريف بها ص ٣٦٥ ج ١ .

(٧) سيأتي الحديث عنه .

تلقاه مماليك قَراسُنْقُر ، ومَشَوا في خدمته / إلى أن أوصلوه إلى الدّين [١٩٥ ب]
في طفَس ، ومشوا في خدمته إلى الصَّنَمين ، فمشى الذين هناك في خدمته
إلى دمشق ، فدخل القصر ولم يَقْدِرْ يجتمع بأحدٍ ، وصار مماليكه
عند مماليكه وهو ملازمُه في القصر ، وطاوله إلى أن نجز حاله ، لأنه
. . . . . (١) فوجد فيها ما أنكره(٢) ، وأعادها . وغالطه بالبسط
والانشراح ، وفهم بيبرس العلائي (٣) الحال . فركب على أن يمسكه فقال
له : إن كان جاءك مرسوم أستاذي ، فأوقفْني عليه ، وأنا ما عندي غير
السمع والطاعه لأستاذي ، وإلا ركبتُ وقاتلتُك ، إمّا أنتصر وإمّا
أهْرُب ، ويعرف أستاذي أنك أنت الذي كنتَ سبب ذلك . فتخيّل (٤)
العلائي وعاد إلى بيته .

وكانت نيابة حلب ، قد خَلَتْ ، فسيّر إليه تقاليداً مفتوح الاسم(٥)
وقال : هذه النيابة لك ، فإن أردتّها فخذها ، وإلا فسدّها باسم مَنْ تختاره.
وكان هو أوّلاً قال : يا خَوَنْد ، أنا ظهري ثَقُل في حلب ، لأن
مماليكي تزوجوا بها وأملاكي فيها ، وأنا ومماليكي وأولادي قد ألِفناها ،
فإن / تصدّقت عليّ بحلب كان ذلك من بعض الصدقات العميمة . [١٩٦ آ]

---

١) كلمتان غير مقروءتين في الأصل .

(٢) الأصل : « فيما أنكره » ولعله تصحيف ما أثبتنا .

(٣) أحد أمراء دمشق . يأتي في صفحة قادمة .

(٤) تخيل : خاف .

(٥) التقليد المفتوح : مرسوم من السلطان لم يرسم به السلطان لنائب أو إنسان معين . ويقال له أيضاً : المثال ، والجمع أمثلة ، ومثالات ، وهو اصطلاح في العصر المملوكي يعني التقليد ، وهو الورقة التي كانت تخرج من ديوان الجيش إيذاناً باعطاء أحد المماليك إقطاعاً من الإقطاعات التالية . فاذا وقع السلطان على المثال بالموافقة أرسل إلى ديوان النظر لتسجيله وحفظه ، ويكتب بذلك (مربعة) فيها اسم الذي أقطعه السلطان ، ثم ترسل المربعة إلى ديوان الإنشاء حيث يكتب منشور الإقطاع . والتقليد : مصطلح لما كان يصدر من الخليفة العباسي إلى أحد ملوك الأيوبيين باقراره على الملك (صبح الأعشى ١٣/١٥٣)

فقال لأرغون : أنا قد استخرتُ الله في حلب . فركب ملبساً (١) هو ومماليكه من تحت القُماش ، وخرج من دمشق وأرغون معه لا يفارقه ، وخرج منها في يوم الأحد ثالث شهر المحرم سنة إحدى عشرة وسبعمائة ، وأقام في حلب وهو على خوف شديد ، ثم إنه طلب دُسْتوراً (٢) إلى الحجاز الشريف ، فلمّا كان بزَيْزاء (٣) ، أتته رُسُل السلطان ليعرِّج إلى الكرك ، ويأخذ ما أعدّ له من زوّادة الحجاز والإقامات ، فازداد تخيّله وركب ، وأخذ مُشَرِّقاً يقطع عرض السّماوة (٤) وأتى مُهَنّا بن عيسى أمير آل فضل (٥) ، واستجار به ، وأتى بعد ذلك إلى حلب ، وأخذ مماليكه منها وعاد إلى مُهنّا . وكان قد لحقه الحاج بَهادُر (٦) والأفرم (٧) إلى الطريق ونزلوا على مهنّا فأجارهم وجهّزهم إلى خَرْبندا (٨) ، فأقبل عليهم بعدما أقاموا عند مهنّا مدةً ، وهو يستعطف لهم قلب السلطان على أن يعطي الأَفْرَم الرَّحبة(٩)، والزردكاش

---

(١) أي لابساً الدرع .

(٢) الدستور : يراد هنا الإذن والإجازة .

(٣) الزيزاء : لغة : المكان المرتفع . وزيزاء : قرية من قرى البلقاء (شرق الأردن) كبيرة على طريق الحجاج ، يقام لهم سوق فيها ، وفيها بركة عظيمة (معجم البلدان ٣ /١٦٣)

(٤) السماوة : بادية بين الكوفة والشام . معجم البلدان ٣ / ٢٤٥ .

(٥) وهو حسام الدين ، من ال فضل ، من طيىء ، كانت الدولة الأيوبية توليهم على أحياء العرب وحفظ السابلة بين الشام والعراق . كانت إمارته بعد وفاة أبيه سنة ٦٨٣ هـ ولاه السلطان المنصور قلاوون ، عزل عدة مرات كان آخرها سنة ٧٢٠ هـ عندما طرد آل الفضل من البلاد لصلتهم بالتتر . مات سنة ٧٣٥ هـ (الأعلام ٨ / ٢٦٢ والدرر الكامنة ٤ / ٣٦٨) .

(٦) هو الأمير سيف الدين بهادر المنصوري ، نائب طرابلس ، تولاها زمن السلطان الظاهر فأقام فيها إلى أن مات سنة ٧١٠ هـ . (الوافي ١٠ / ٢٩٥ والدرر ١ / ٥٠٠) .

(٧) الأفرم : تقدم ص ٢٠٩ ج٢ .

(٨) تقدم ص ٢١٢ ج٢ حاشية٣ .

(٩) الرحبة : تقدم التعريف بها ص ٣٣٦ ج١ .

بهسنا (١) وقراسنقر البيرة (٢) ، فقال السلطان : ما عندي إلا الصَّلْت [١٩٦ب]
وعَجْلُون والصُّبَيْبة (٣) .

وكان قراسنقر معظماً عند خَرْبَنْدا، ويقال : إن الفداوية (٤) الذين هلكوا بسببه كانوا ثمانين نفساً ، وأولع السلطان به، وجهز إليه جماعة ولم يظفروا به . وانعزل مهنّا ،ولم يعد يحضر إلى مصر ونابذ السلطان وجافاه إلى أن مضت على حاله أربع (٥) وعشرون سنة ، ولم يحضر إلى السلطان إلا بعد موت قراسنقر .

وكان قد ملك ثمانمائة مملوك،وحصَّل أموالاً جمّة ، وأنشأ أملاكاً كثيرةً بحلب ودمشق ومصر ، وترك الجميع وترك أولاده وجماعة من مماليكه بالشام ومصر ، وكان أولاده وجماعة من مماليكه أمراء . وكانت وفاته بمَراغة (٦) في سنة ثمانٍ وعشرين وسبعمائة . رحمه الله تعالى .

* * *

---

(١) الزردكاش : هو بلبان بن عبد الله . تقدم ص ١٦٩ — ج٢ .
وبهسنا : قلعة حصينة عجيبة قرب مرعش وسميساط ، من أعمال حلب (معجم البلدان ١ / ٥١٦) . وقال القلقشندي : قلعة شمالي حلب على نحو أربع مراحل (المختار من صبح الأعشى ٥/٥٦) وهي اليوم في تركيا . والمرحلة نحو ٤٠ كم .

(٢) البيرة : بلد قرب سميساط ، بين حلب والثغور الرومية ، وهي قلعة حصينة (معجم البلدان ١ / ٥٢٦) .

(٣) الصلت : تقدم التعريف بها ص ١١٦ ج٢ وعجلون تقدمت ص ١١٦ ج٢ أيضاً والصبيبة قبل قليل ص ٢١٧ج٢ حاشية ٨ .

(٤) تقدم التعريف بالفداوية قبل قليل ص ٢١٣ ج٢ .

(٥) الأصل : « أربعة » .

(٦) مراغة : بلدة مشهورة ، أشهر مدن أذربيجان وأعظمها (معجم البلدان ٥ /٩٣) وهي اليوم عاصمة منطقة أذربيجان الإيرانية .

(سيف الدين بهادُر السنجري)

ونـاب في الغَيْبَـةِ فيهـا السَّنَجري (١)
وكـان بالقلعـة نـائبـاً سَـرِي

الأمير سيف الدين بها دُر السنجري (٢) . نائب قلعة دمشق (٣).
[١٩٧ آ] سدَّ النيابة لما توجّه قراسنقر، إلى أن حضر كَرَاي بحضرة / الموقعين (٤) والوزير على عادة النواب .

* * *

أيام الأمير سيف الدين كَرَاي

ثـم أتـى كَـرايُ بَعْـدَ ذَلـكْ
نائبُهـا فَـوَعّـر المَسـالكْ

وكـان في الأتـراك زائِـدَ الكَـرَمْ
يَجْعَـلُ في السِّماطِ حَلْوى كالهَـرَمْ

لكـنَّ في أخـلاقـه زَعـارَهْ
لا تنطفـي مـن شَـرِّه شَـرارَه

---

(١) نائب الغيبة : تقدم التعريف به ص ٢١٢ ج٢ حاشية ٤ .

(٢) ترجمته في الدرر الكامنة ١ / ٤٩٨ — الترجمة ١٣٦٥ . ومات بحمص سنة ٧٣٣ هـ .

(٣) نيابة قلعة دمشق : نيابة منفردة عن نيابة السلطنة ، وليس لنائب السلطنة بدمشق عليها حديث ، وولايتها من الأبواب السلطانية ،وعليه حفظ القلعة وصيانتها،وله أجناد بحريةمقيمون في القلعة لخدمته ، ولا يحضر هؤلاء ولا أحد منهم دار النيابة بالمدينة . وكذلك نيابة قلعة حلب (صبح الأعشى ٤ / ١٨٤ ، ولاة دمشق ٢٤) .

(٤) في الأصل : « الموقعون » .

فاستيقظَ الدَّهرُ لهُ بعدَ السِّنَهْ (١)
ما تمَّ نائباً سوى نِصْفِ سَنَهْ

الأمير سيفُ الدِّين كَراي المنصوري (٢) ، كان أولاً قبلَ حضور غازانَ (٣) نائبَ صفد ، ولما حصلت الكسرة جاء بحريمه إلى القلعة ، فلم يمكنوه من الدخول إليها ولا حَرِيْمَه ، فبقي في نفسه من ذلك . ثم إنه عاد إليها نائباً ، وانتقم من أولئك . ثم إنه عُزِل من صفد وتوجّه إلى مصر . ثم إنه قبل خروج الناصر إلى الكَرَك ، رمى إقطاعه وأقام في القدس يأكل من مُلْكِه . ولمّا حضر الناصر من الكَرَك إلى دمشق ، جهّزه إلى غَزَّة فملكها . وتوجّه معه إلى مصر ، وجُرِّد صُحْبَةَ عسكرٍ ، فأقام على حمص ، وساق بالعسكر من بعد / العصر ، وما [١٩٧ ب] انشقَّ الفجر إلا وقد أحاط بدار نائب حلب . وأمسك الأميرَ سيفَ الدين أَسَنْدَمُر (٤) نائبَها . ووصل إلى دمشق نائباً في يوم الخميس حادي عشرين المحرم سنة إحدى عشرة وسبعمائة . ووصل تقليده صحبة الأمير سيف الدين أرغون الدوادار (٥) .

وحلف بالطلاق ، أنه ما يَطّلِعُ على أحدٍ سرق النّصاب الشّرعي

---

(١) السنة : كالوسن : شدة النوم ، أو أوله ، أو النعاس . (القاموس) .

(٢) ترجمته في الدرر الكامنة ٣ / ٢٦٦ والنجوم الزاهرة ٩ / ٢٤٥ وولاة دمشق ١٥٢ وإعلام الورى ١١ .

(٣) غازان ، أو قازان : تقدم ص ٢٠٢ ج٢ .

(٤) كان نائب السلطنة في حماة وطرابلس (وفي النص أنه كان نائب قلعة حلب أيضاً) . كان من مماليك السلطان الناصر . تولى نيابة طرابلس زمن الملك حاجي المظفر ثم رسم له نيابة حماة سنة ٧٥١ هـ وبقي فيها إلى أن عزل في السنة نفسها ، وعاد إلى مصر وأقام فيها ثم اعتقل بالاسكندرية ومات سنة ٧٦١ . (الوافي ٩ / ٢٤٩ والدرر ١ / ٩٨٣) .

(٥) أمير دمشق . يأتي الكلام عنه في صفحة قادمة .

إلا قطع يده .وأحضر المُباشرين (١) من سَلَمْيَة (٢) إلى غزَّة في الزناجير (٣) ، لأنّه كان يكره كتّاب الحساب . فضاق الناس وقاسوا شدائد ، وحلف بالطلاق إنه لا يَقبل لأحدٍ شيئاً .

وأمسكَ الصاحبَ عزِّ الدين بن القلانسي (٤) ، وضرب الشيخ مجد الدين التونسي (٥) بالعصي ، وشتم قاضي القضاة نجم الدين بن صصرى (٦) . فلم يمكث بعد ذلك غير ثمانية أيام حتّى أمسِكَ يوم الخميس ثالث عشرين جمادى الأولى من السنة . وكان قد وصل إليه أرغون الدوادار يومَ الأربعاء ثاني عشرين الشهر المذكور ، بتشريف

---

(١) المباشرون : موظفون إداريون يعينهم الحاكم في عهد المماليك ، يخصص كل منهم بجهة يقوم عليها . منهم مباشرو العمائر ، ومباشرو الأوقاف وغير ذلك (دوزي ١ / ٣٥١) .

(٢) تقدم التعريف بها ص ٩٨ ج٢ .

(٣) الزناجير : جمع زنجير ، وهو سلسلة غليظة من حلقات الحديد ، تتخذ للعقاب (دوزي ٢ / ٣١١ و ١٠٠٦ و ١٠٠٧ ومحيط المحيط) وقد يقال الجنزير . وانظر معجم الألفاظ الفارسية المعربة ص ٨٠ .

(٤) تقدم التعريف به ص ١٩٩ -ج٢ .

(٥) هو أبو بكر بن محمد بن القاسم التونسي الشافعي . درس في الصالحية التي كانت مبنية في تربة أم الصالح إسماعيل الملك . مات بدمشق سنة ٧١٨ هـ (الدارس ١ / ٣٢٣) .

(٦) هو أحمد بن محمد بن سالم بن أبي المواهب الحافظ ، قاضي القضاة ، نجم الدين ، أبو العباس الربعي التغلبي الشافعي قاضي قضاة الشام . ولد سنة ٦٥٥ هـ ، دخل ديوان الإنشاء سنة ٦٧٨ هـ ، وتولى مشيخة الشيوخ سنة ٧٠٢ ومات سنة ٧٢٣ (الوافي ٨ / ١٦ وأعيان العصر ١١٢ ، قضاة الشام ٨٤ والدرر ١ / ٢٦٣ والنجوم ٩ / ٢٥٨ وطبقات الشافعية للسبكي ٥ / ١٧٥ والدارس ١ / ١٣٢ وفوات الوفيات ٦٢٨ والبداية ١١ / ١٠٦ والقلائد الجوهرية ١ / ١٦٨) .

وجاء في ولاة دمشق ص ١٥٣ أن كراي المنصوري دعا بالقاضي نجم الدين ابن صصرى ، وخطيب الجامع الأموي القزويني ، ومجد الدين التونسي وأهانهم وضربهم .

عظيم (١) ، فلبسه ثانيَ يوم ، وركب في الخدمة فأُمسك ، وقيّد ، وجهِّز إلى الكرك / مع الأمير سيف الدين أغَرلوا العادلي (٢) ، [١٩٨ آ] وأُفرج عن الصاحب عز الدين (٣) ، وتُرك عند السلطان في الاعتقال مَنْ يخدمه وجارية يطؤها وكان كثير النكاح ، لا يمكنه الصبر عن ذلك ، وله أربع زوجات ، وثلاثون حظيّة . وكان عفيفاً صيِّناً ، وإذا سافر كانالحريم معه . وكان سمحاً إلى الغاية ، له قصعة واحدة تَسَعُ ثمانية أرؤس غنم ، فيَوْماً يملؤها أرزاً مُفَلْفَلاً ، ويوماً يملؤها حلاوة سكرية ، ويوماً يملؤها عَدَساً ، وكان يحملها أربعة عتّالين بالأقواب (٤) ، وكان يُحبُّ الطرب ، لا تزال المغاني عنده ، ولا يزال في مشروب وفاكهة وحَلْوى . وكان إذا غضب لا يقوم لغضبه شيءٌ لصعوبةِ أخلاقه .

* * *

أيام نائب الكرك (آقوش)

ثــم أتــى آقــوش نــائــبُ الكَــرَكْ
ولــم يَقُــم بِرَبْعِهــا حــتّى تَــرَكْ

---

(١) التشريف (الجمع تشاريف) : الشارة التي توضع على الخلعة من السلطان ، تعطى لكبار الموظفين والأمراء إشعاراً بتوليتهم الوظائف الكبرى كالوزارة والنيابة . وتشريف الوزارة نوع من الدانتيل المخرمة توضع فوق الخلعة إشارة على المرتبة (معجم الملابس لدوزي) وفي النجوم الزاهرة ١٢ / ٣٠٢ – ح٢ أن التشريف هو الملابس المهداة إلى كبار الموظفين .

(٢) تقدم ص ١٩٢ – ح٢ .

(٣) المتقدم الذكر .

(٤) الأقواب : لعلها جمع قاب ، وهو القدر .

وكان من بعدُ كبير الدَّوله ... زيّنها بِصَوْنِه والصَّوْلَه

إذا أتى قام له السُّلطانُ ... فَيَزْدَهِي بذلكَ الإيوانُ

[١٩٨ ب] / ثم استحالَ بَعْدَ ذا عليه ... ولم يكن ملتفتاً إليه

أخرجه قهراً إلى طَرابُلُسْ ... ولم يَجِدْ مِنَ الردى له ترسْ (١)

الأميرُ جمالُ الدين آقوشُ الأشرفيُّ . نائبُ الكَرَك (٢) ، أقام بها نائباً من سنة تسعين وستمائة إلى سنة تسع وسبعمائة .

ولاّه السلطان نيابةَ دمشق بعد إمساك الأمير سيف الدين كَراي، فوصلها في يوم الخميس ثامن جُمادى الآخرَة سنة إحدى عَشْرَة وسبعمائة ، فأقام بها إلى يوم السبت ثاني شهر ربيعِ الأولِ سنةَ اثنتي عَشْرة وسبعمائة ، وخرج يلتقي الأمير سيف الدين سودي (٣) . وكان قد حضر متوجهاً إلى حلب نائباً ، فخرج إليه ورجع هو وسودي ،

---

(١) في أمراء دمشق ص ١٦١ : « ولم يجد له من الردى ترس » .

(٢) ترجمته في ولاة دمشق ص ١٥٤ والدرر الكامنة ١ / ٣٩٥ والوافي ٩ / ٣٣٦ — الترجمة ٤٢٦٧ وإعلام الورى ص ١٢ وخطط المقريزي ٢ / ٥٥ — جامع اقوش الأشرفي ، والسلوك ٢ / ٤٥ وصفحات أخرى قبلها كثيرة .

(٣) الناصري . كان رأس نوبة من أعيان الأمراء . ولي نيابة حلب سنة ٧١٢ هـ وهو الذي أجرى النهر من الساجور إلى قويق ، وطوله أربعون ألف ذراع . مات في رجب سنة ٧١٤ هـ (الدرر ٢ / ١٧٩ والوافي ١٦ / ٤٢ والسلوك ٢ / ١٤٠ والبداية والنهاية ١٤/٧٢)

وقعدا يأكلان السِّماط (١) ، وقرىء كتاب السلطان بأن يتوجّه الأمير جمال الدين آقوش إلى مصر ، فقام من وقته وركب على البريد ، وتوجّه إلى مصر ، وكان بعد رواحه إلى مصر قد اعتقله ، وأقام مدّة ، ثم أفرج عنه .

ولم يكن عنده في أمراء الدولة أحدٌ أكبر منه ، إذا دخل يومَ الخدمة يقوم له / وكان وافر الحُرْمة ، يجلس رأس الميمنة ، ولا تردّ [١٩٩ آ] إشارته عند أحد من أرباب الدولة ، وولاّه نظر البيمارستان المنصوري(٢) ولما توجّه إلى الحجاز سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة ، جعله مُقيماً بالقاهرة هو وألماس (٣) وطَشْتَمِر حِمِّص أخضر (٤) وآقْبُغا عبد

---

(١) السماط ؛ في الأصل : قطعة من الجلد تفرش على الأرض ، يوضع فوقها صحن الطعام ، ثم أصبحت الكلمة تطلق على وجبة الطعام الذي يقدم في وليمة أو غير ذلك ، ويقال : عمل سماطاً . كما يقال : سماط السلطان أو سماط العيد : أي الطعام الذي يقدمه السلطان في المواسم والأعياد . (تكملة المعاجم العربية وخطط المقريزي ١ / ٣٧٨) .

(٢) هذا المارستان بخط بين القصرين في القاهرة . كان قاعة ست الملك ابنة العزيز ، ثم عرف بدار الأمير فخر الدين جهاركس بعد زوال الدولة الفاطمية ، وبدار موسك ، ثم عرف بالملك المفضل قطب الدين أحمد ابن الملك العادل بن أبي بكر بن أيوب ، وصار يقال لها الدار القطبية . . . . ثم شرع في بنائه مارستاناً أول ربيع الآخر سنة ٦٨٣ هـ ، وكان سبب بنائه أن الملك المنصور لما توجه وهو أمير إلى غزاة الروم أيام الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٧٥ هـ أصابه قولنج وهو بدمشق ، فعالجه الأطباء بأدوية أخذت له من مارستان نور الدين الشهيد فبرأ وركب حتى شاهد المارستان النوري فأعجب به ونذر إن آتاه الله الملك أن يبني مارستاناً ، فلما تسلطن أخذ في عمل ذلك ، فوقع الاختيار على الدار القطبية المذكورة . . . (خطط المقريزي ٢ / ٤٠٦ — ٤٠٨) .

(٣) ألماس ، الحاجب الناصري : كان وجيهاً عند أستاذه ، قبض عليه الناصر سنة ٧٣٢ هـ في أواخر ذي الحجة ، وكان ذلك آخر العهد به . يقال إنه خنق بعد ثلاثة أيام . (الدرر الكامنة ١ / ٤١٠ — الترجمة ١٠٦٣ والوافي ٩ / ٣٧٠ — الترجمة ٤٢٩٦) .

(٤) البدري ، الساقي ، الناصري ، لقب حمص أخضر لأنه كان يحب أكله ، اشتراه الناصر صغيراً فرباه وحظي عنده ، تولى نيابة حلب سنة ٧٤١ هـ ، ثم استقر في نيابة مصر ، ثم تقلبت به الأحوال . توفي سنة ٧٤٣ هـ (الدرر الكامنة ٢ / ٢١٩ والوافي ١٦ / ٤٣٧ والنجوم ١٠ / ١٠١ وإعلام الورى ١٦) .

الواجد (١) وثوقاً به . وكان على حاله إلى أن كان في أول سنة أربع وثلاثين وسبعمائة، أخرجه إلى طرابلس نائباً فأقام بها ، وبالغ في طلب الإقالة ، وأن يكون مقيماً بالقدس . فرُسِمَ له بالحضور إلى دمشق ، وخرج الأمير سيف الدين تنكز (٢) وتلقّاه ، وعمل له سِماطاً ، فنزل وأكل منه ، فأمسكه واعتقله بدمشق في القلعة . ثم جُهِّز إلى قلعة صفد ، ثم طُلب إلى إسكندرية وأقام معتقلاً بها .

وكان في رأسه سِلعة (٣) ، فشاور السلطان في قطعها ، فرسم له بذلك ، فقطعها ، فمات معتقلاً في سنة ست وثلاثين وسبعمائة .

وكان زائد الكرم يَعْمَلُ سِماط العيد نَظيرَ سِماطِ السلطان، وإذا ماتَ لأحد من أجناده فرس يُحضر الكِفل (٤) إلى مطبخه ،ويأخذ من الديوان / ستمائة درهم . وإذا خرج إلى مكان ، فجميع جنده من باب القاهرة إلى أن يعود اليها ، لا يطبخ أحد منهم ، ولا يشتري تبناً ولا شعيراً .

[١٩٩ ب]

---

(١) هو في الوافي بالوفيات ٩ / ٣٠٤ آقبغا سيف الدين الناصري ، بينما لقبه صاحب الخطط المقريزية (٢ / ٣٨٤) الأمير علاء الدين . أحضره إلى القاهرة التاجر عبد الواحد ابن بدال ، فاشتراه منه الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ولقبه باسم التاجر الذي أحضره ، وحظي عند الناصر ، وعمله أستادار السلطان ، ثم صار مقدماً المماليك. اعتقله في فتنة الملك الناصر أحمد بن قلاوون أثناء عصيانه بالكرك نائب دمشق طقزدمر ، وأرسله إلى الإسكندرية فقتله الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن محمد بن قلاوون بعد أن اتهمه بالتمرد عليه مع أخيه في الكرك ، وكان ذلك في آخر سنة ٧٤٤ هـ (وانظر الدرر الكامنة ١ / ٣٩١) .

(٢) أحد ولاة دمشق . يأتي بعد قليل .

(٣) السلعة : الشجة في الرأس . أو زيادة تحدث في الجسد مثل الغدة ، وهي الجدرة ، تخرج بالرأس والجسد تمور بين الجلد واللحم إذا حركتها . وقد تكون من حمصة إلى بطيخة . وقيل : هي غدة تظهر بين الجلد واللحم إذا غمزت باليد تحركت (لسان العرب) .

(٤) الكفل : كساء يعقد طرفاه ثم يلقى مقدمه على الكاهل ومؤخره بما يلي العجز ، وقيل : هو شيء مستدير يتخذ من خرق تحت الرحل ، والجمع أكفال (لسان العرب)

وكان يدخل الحمام وحده ومعه طاسة ومئزرٌ وهو يغتسل بنفسه. ولا يَلْبَس مصقولاً ، ولا يلبس مثل باقي العسكر إذا حضر رسول من البلاد،طرازَ زركش (١) ، ولا كَلوتة زركش (٢) .

وكان في طرابلس يقرأ القصص (٣) وحده ويوقع عليها بقلمه، وكان يوقِّع مَسْجوعاً في بعض الأوقات مثل ما كَتَب إلى بعضهم وهو في الكَرَك يشكو من أولاد الكرك . فكتب له (إن لم تصبر على أذى أولادهم اخرج من بلادهم) ووقّع لآخر (قد أحصيناك . وإن عُدتَ أخصيناك) . وطلبَ منه وهو بدمشق صبيٌّ أَمْرَدُ مليحٌ إقطاعاً (٤) ، فوقع من يومه (بخمسمائة ؛ ماذا يعمل بالجندية؟) وكتب إنسان قصَّة يسأله فيها الحضور لينهي حاله . فوقّع له :(الاجتماع مُقَدَّر) .

* * *

أيام الأمير سيف الدين تنكز

ثم أتى مَنْ كان نِعْمَ النائِبْ
تَنْكِزُ جادَتْ قَبْرَه السَّحائبْ
/ فَنَشَر العَدْلَ بِها والحُرمَهْ
فانْتَعَشَتْ بِه وكانَتْ رُمَّه

[٢٠٠آ]

(١) ثياب مطرزة بالذهب (معجم الألبسة) .
(٢) تقدم التعريف بها ص ٢٤١ ج٢ .
(٣) القصص : جمع (قصة) : ورقة تذكر فيها وفاة من كان بيد إقطاع ما ، أو انتقاله عنه ، أو ارتجاعه ، أو إعادة ما خرج عنه ، أو ما يريد صاحب القصة أن يرفع إلى الأمير أو السلطان من قضية أو شكوى وما إلى ذلك . (وانظر صبح الأعشى ١٣ / ١٥٣)
(٤) في الأصل : « إقطاع » .

واتصلتْ أيامُه وامتدّتْ
وأدْبرَتْ نُحُوسُها وارتَدَّتْ

وأمّن البلادَ والعِبادا
كأنّما أيامُه أعيادا

وسارَتِ القُفُولُ في الأقطارِ (١)
آمنةً من سائرِ الأخطارِ

بِهَيْبَةٍ تُراعُ منها الأُسْدُ
وعِفّةٍ ما مثلُها تُحَدُّ

وعَمّر الجامعَ والمدارسَ
وكلَّ وقفٍ كان قبلُ دارسا

وجدَّد القُنِيَّ حتى نَظُفَتْ
ورَسَتِ الأَقذارُ بعد ما طَفَتْ

ووسّع الطريقَ في الأسواقِ
فأصبحت نِهايةَ (٢) الأشواقِ

وطارَ عنه الصِّيْتُ ما بينَ التترْ
حتى استلانَ عَزْمُهُم ثم فَتَر

وقطع الفراتَ ثم اصطادا
هناكَ أياماً وكم أعادا

(١) في أصل الأرجوزة التي نشرها المنجد : في القفار .
(٢) في أصل الأرجوزة التي نشرها المنجد : نهابه . تصحيف .

ينجفلُ الناسُ إلى تبريزِ
إنْ همَّ من دمشق بالتبريزِ (١)

أمّا الرَّشا فلم يَرُشْنِ جناحها
(وغَيَّرَ) (٢) الرسومَ ثم اجتاحها

أيامه كأنّها مواسم
كما ثغورُ عَدْلِهِ بَواسم

فما وَلِيْها بعدَ نُور الدين
كَمِثْلِهِ في التُّرْكِ عَنْ يقينِ

ثم تنكّر الردّى لِتَنْكِزِ
وجاءَنا فيه بأمرٍ مُعْجِزِ

/ فراحَ منها وهو كالمجنونِ [٢٠٠ ب]
كالشّعرة اسْتُلَّتَ من العجينِ

الأمير سيف الدين تنكز ، أبو سعيد الناصري (٣) مملوك الملك الأشرف (٤) . والناس يعتقدون أنه مملوك لاجين . أمّرَه السلطانُ الملك

---

(١) جاء في ترجمة تنكز في الدرر الكامنة ١ / ٥٢٣ مايلي : « وكان يتوجه في كل سنة إلى العيد وربما على الفرات ، وتصيد في تلك البراري أياماً ، وكان أهل تلك البلاد ينجفلون قدامه إلى تبريز السلطانية وماردين وسيس . . . » .

(٢) في أصل الأرجوزة التي نشرها المنجد : « وبطل » .

(٣) ترجمته في الوافي ١٠ / ٤٢٠ والدرر ١ / ٥٢٠ وخطط المقريزي ٢ / ٥٤ ولاة دمشق ١٥٦ وإعلام الورى ١٢ والدارس ٢ / ٢٣٨ فوات الوفيات ١ / ٢٥١ والبداية ١ / ٢٥١ والسلوك ٢ / ق ٧ و ق ٢ صفحات كثيرة والبدر الطالع ١ / ١٦٩ . ونقل ابن حجر إلى الدرر الكامنة أكثر أخبار تنكز عن الصفدي .

(٤) واسمه كجك بن محمد بن قلاوون بن الناصر بن المنظور الصالحي . تولى السلطنة وعمره خمس سنين سنة ٧٤٢ هـ خلعه الناصر أحمد ، ومات سنة ٧٤٦ هـ (الدرر ٣ / ٢٦٥ وبدائع الزهور ١ / ١ / ٤٩٠ .

النّاصرُ عشرة (١) قبل توجهه إلى الكرك . وجاء في الرسليّة عن السلطان من الكَرَك وطَلَب الأمير جمال الدين آقوش من دمشق . ورُسم لتنكز بنيابة دمشق ، فحضر إليها على البريد في شهر ربيع الآخر سنة اثنّي عشرة وسبعمائة . وأقام بها نائباً إلى أن أمسك بها في ثالث عشرين الحجة سنة أربعين وسبعمائة .

وتمكن في النيابة ، وسار بالعساكر وفتح مَلَطْيَة (٢) في سنة خمس عشرة وسبعمائة . وحج في سنة عشرين وسبعمائة . وعَظُمَ شأنه،وهابه الأمراء بدمشق . والنواب بالشام،وأَمِنَ الرعايا وأهلُ البَرّ ، ولم يكن لأحد جاهٌ ولا حماية في المدينة . وأقام هذه المدة كلها يعطي الطبلخانات (٣) . والتقادم (٤) . والإقطاعات والنيابات (٥) والوظائف

---

(١) أي جعله أمير عشرة : أي أمير عشرة فرسان ، وربما كان فيهم من له عشرون ولا يعد إلا في أمراء العشرات . وهذه الطبقة لا ضابط لعدد أمرائها بل وتنقص . ومن هذه الطبقة يكون صغار الولاة ونحوهم من أرباب الوظائف . وهكذا أمراء المئة والألف يكون من أمرائهم الولاة والنواب الكبار . (صبح الأعشى ٤ / ٦٥) .

(٢) ملطية : تقدم التعريف بها ،وهي بلدة من بلاد الروم تتاخم الشام .

(٣) طبلخاناه : أي بيت الطبل ، (وخاناه) لفظ فارسي معناه البيت (نهاية الارب ٨ / ٢٠٣) وتستعمل لأمور ثلاثة : ١ – مرتبة عسكرية يتولى صاحبها إمرة أربعين فارساً ، وقد تزيد إلى الثمانين ، ومن أمراء الطبلخانات تكون الرتبة الثانية من أرباب الوظائف وأكابر الولاة . وهذا هو المراد هنا .٢ – المكان الذي تشغله الجوقة الموسيقية في قلعة الجبل بالقاهرة أو قلعة دمشق (صبح الأعشى ٤ / ٨ وخطط المقريزي ٢ / ٢١٣) .
٣ – طبول متعددة متنوعة . . .

(٤) التقادم : جمع تقدمة : رتبة عسكرية ، وهي إمرة تعطى لقيادة الجيش ، ومن ينال هذه الرتبة يسمى المقدم . ومنه مقدم الألوف الذي يتولى قيادة ألف عسكري، ومنه مقدم الجيش الذي يتولى إمرة الجيش (دوزي) .

(٥) النيابات : تقدم التعريف بها ص ٢١١ – ج٢ .

الدينية من قضاء القضاة والمدارس الكبار والخطابة ونظر الجامع(١) والحِسْبَة (٢) / وأنظار المباشرات الدينية (٣) . ولم يأخذ على ذلك [٢٠١ آ] ديناراً ولا درهماً لا هو ولا أحد في بابه ، ولم يَتَجَسر أحد من الأمراء ومَنْ دونهم يظلم ذمياً . ولم يَزَلْ في عُلُوٍّ وارتقاءِ مكانةٍ في كل سنة إلى أن أُمسِك .

وأثّر في الجامع الأُمَوِيِّ كُلَّ إثرةٍ حسنةٍ ، بعدما كان خَرَاباً ، وجدَّد المدارسَ وزَخْرَفَها وعَمّر أوقافها ، وجَدَّد القنوات جميعها. وكان يمشي بنفسه في الليل على الطرق والأسواق ، ويأمر بتوسعة ما يراه ضَيِّقاً ، وما يُصْبِحُ ذلك المكانُ إلاَّ والصُّنّاع تَعْمَل فيه . وكتبَ له أخيراً السلطانُ : « أعزَّ الله أنصار المَقَرِّ الكريمِ العالي »، وفي جملةِ الألقاب : الأتابكي ، الزاهدي ، العابدي . وكان السلطان لا يفعل

---

(١) النظر : وظيفة يتولى القائم بها – ويسمى الناظر – نظر الأموال ، وينفذ تصرفاتها . ويرفع إليه حسابها فيه فيتأمله ، فيمضي ما يمضي ويرد ما يرد . وهو مأخوذ إما من النظر الذي هو رأي العين لأنه يدير النظر في أمور ما ينظر فيه ، وإما من النظر الذي هو بمعنى الفكر ، لأنه يفكر فيما فيه المصلحة من ذلك ، ثم هو يختلف باختلاف ما يضاف إليه . كناظر الجيش، وناظر الخاص. وأما نظر الجامع الأموي فموضوعه التحدث في أوقافه وما يحصل منها ، ووجوه الصرف وأرزاق المستخدمين فيه وما يتعلق بذلك ، وفي الغالب يكون مع قاضي القضاة الشافعي (صبح الأعشى ٣ / ٤٧٢) .

(٢) الحسبة : أي الأمر المعروف والنهي عن المنكر ، ويقوم عليها موظف يدعى المحتسب ، ومن أعماله أيضاً التحدث في أمر المكاييل والموازين ودار العيار ونحوها . وهو مشتق من قولهم (حسبك) بمعنى (اكفف) لأنه يكفي الناس مؤونة من يبخسهم حقهم . وأول من قام بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه (انظر المختار من صبح الأعشى ٣ / ٢٨٦) وعمله يشمل جميع أمور الأسواق .

(٣) أي نظر ديوان الصدقات والأوصياء والأيتام والحرمين والمدارس (صبح الأعشى ٢ / ٤٠ و ١٩١ و ج ٥ ص ٤٦٥) .

شيئاً من الأمور حتى يشاوره ويأخذ رأيه ويدعو بحياته . وكان عفيف الفرج عشّاقاً يذوب صبابةً ووَجداً ،ولا يقع منه أمرٌ يَشينُ دينَه، وغايةُ ما يفعله إذا زاد به الوَجْدُ أن يَدَعَ محبوبَه ينام وراءه ويأمره بضمه إليه لحظةً . اشْتَهر هذا وعُرِفَ عنه / غيرَ مرّة وكان يسافر ومعه حريمُه ، [٢٠١ ب]

وكان أخيراً يتوجّه في كلّ سنة إلى باب السلطان ، ويعودُ أعظم مما جاء ، وبلغ إنعامُه عليه في سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ألفَ ألفٍ وخمسين ألفَ درهمٍ حكاه لي القاضي شرف الدين النّشو، ناظر الخاص ،هذا الذي من الخزانة . وأمّا الخيول المُسوَّمة المُثمّنة(١) فملك من الإسطبلات ، وهي شيء كثير ، هذا خارجاً عن الإنعام الذي يأخذه من دمشق من العين والغلّة والأنعام ، وهو ما يقارب أربعمائة ألف درهم ، وكان كل سنة يضاعف إنعامه . وكانت الخِلَع التي يَلْبَسها شيئاً كثيراً .

قال القاضي شرف الدين النشو: كان القِباء(٢) الذي يلبسه في الآخر يتقوم على السلطان بألفي دينار مصريّة . وكان في جملة الإنعام طِبْلباز(٣) ذَهَباً صِرْفاً .

ولما توجّه إلى باب السلطان كان ذلك في سنة تسع وثلاثين وسبعمائة ، وهي آخر سَفْرَةٍ توجّه إليه . وكنتُ أنا صحبة رِكابه ،

---

(١) الخيل المسومة : المعلمة ، والمثمنة : الغالية الثمن .

(٢) القباء : لباس ، تقدم وصفه ص ٢١٧ ج٢ .

(٣) الطبلباز : طبل كان يستخدم في استدراج الطيور ، أو مناداة البوازي ، ولكنها غدت في القرن الثامن عشر الآلة التي يؤثرها المسحرون في رمضان وأتباع رباطات الدراويش . وكانت تعرف بـ (طبلة المسحر) ، وهذه الآلة تمسك بيد وتقرع بعصى قصيرة باليد الأخرى (دائرة المعارف الإسلامية ج ١٥ ص ٨٤ — ٨٥) .

وخرج السلطان إلى بئر البيضاء ، وتلقاه بأولاده وأمرائه ، وترجّل / له. [٢٠٢ آ]
وقبّل رأسه وضمّه وبالغ في إكرامه . وتوجّه وهو إلى جانبه وأنزله في مقر بكتمر الساقي بسرياقوس(١)،وأمّا قُوْصُون (٢) فإنه تلقاه إلى الصالحيّة . وتوجّه قرمشي (٣) في البريد وعاد من قاقون إلى أن وصل إلى مصر أربع مرّات ، وجهّزَ إليه في الرمل خِلَعاً وخيلاً ، ولكل من حضر معه،وكل يوم يصل إليه وهو في الرمل إنعامات وتشاريفُ،(٤) ومراكيبُ كاملة العدد . وأمّا الإنعامات التي في باب السلطان فكانت أمراً زائداً عن الوصف، ودَخَل به إلى الدُّور ، وعرض عليه بناته ، وخيّره في اثنتين منهُنَّ ، وزوّجهما بولديه ، وكتب كتابيهما عليهما ، وتوجّه به إلى الصَّعيد(٥) وتصيد الكراكي(٦) .

وكان الأمير سيف الدين آقبغا عبد الواحد ، يسير مع طلب نائب الشام حتّى لا يضايقه أحد في المعادي (٧) ولا في الجسور ،ولقد رأيته

(١) سرياقوس : بليدة في نواحي القاهرة (معجم البلدان ٣ / ٢١٨) وهي من المدن القديمة في مصر ، وهي من قرى شبين القناطر بمديرية القليوبية تقع على الشاطيء الشرقي لترعة الإسماعيلية ، شمال القاهرة ، تبعد عنها ١٨ كم (النجوم ٩ / ٧٩) .

(٢) الأمير الكبير سيف الدين من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون تزوج ابنة السلطان وتزوج السلطان أخته وقتل بالإسكندرية عام ٧٤٢هـ . (خطط المقريزي ج٢ ص٣٠٧ – ٣٠٨ ذكرها جامع قوصون) ..

(٣) هو قرمشي بن أقطوان الحاجب . نشأ بصفد على خير وعبادة واعتقاد في ابن تيمية وأتباعه . كان تنكز يحبه ، ثم ولي الحجوبية بالقاهرة ، ثم نيابة صفد أيام الصالح إسماعيل ، ثم آل أمره أن خنق في شعبان سنة ٧٤٧ (الدرر ٣ / ٢٤٨ ، والسلوك ٢ / ٢ / ٤٩٧ وهو فيه قرمجي)

(٤) التشاريف : تقدم التعريف بها ص ٢٢٥ ج٢ .

(٥) الصعيد : المنطقة الجنوبية من مصر . أهم مدنه أسوان .

(٦) الكراكي : جمع كركي ، وهو نوع من الطيور يعيش قرب المياه . وانظر السلوك ج ٢ ق ١ ص ٤٦١

(٧) المعادي : جمع (معدية) وهي مركب أو قارب يقطع فيه النهر من ضفة إلى أخرى . (عامية) .

بعيني يوماً وهو واقف مع الأمراء والمشايخ مثل أصلم والجاولي والخطيري (١) وغيرهم . واذا بمملوك سائق من البريّة حتى وصل إليه ، وقال له : هذا السلطان / واصل إليكم ، فلا تنزل يا أمير ، [٢٠٢ ب] يعني نائب الشام . فما كان بعد قليل حتى أقبل السلطان. وقدامه خمسة أمراء وهم الخاصكية (٢) ذلك الزمان ، ملكتمر الحجازي ، ويلبغا اليحياوى والطنبغا المارداني ، وآقسنقر (٣) وآخر أنسيته . وعلى يد كل واحد منهم سُنْقُر (٤) ، فقال له لما وصل : يا أمير أنا أميرَ شكارك (٥)

---

(١) أصلم : هو أصلم القبجاقي ، بهاء الدين ، السلاح دار ، أحد مماليك الملك المنصور قلاوون الألفي ، مات يوم السبت ١٠ شعبان ٧٤٧ (خطط المقريزي ٢ / ٣٠٩ والدرر ١ / ٣٨٩ والوافي ٩ / ٢٨٥ ووفاته فيه سنة ٧٤٧ والسلوك ٢ / ٣ / ٧١٩) .

الجاولي : هو سنجر بن عبد الله الجاولي ، أبو سعيد ، علم الدين ، فقيه ، ومن أمراء الجند بالديار المصرية . ولد بآمد سنة ٦٥٣ هـ / ١٢٥٥ م وكان من مماليك جاولي أحد أمراء الظاهر بيبرس . تولى أيام العادل مصر وبلاد الشام . توفي بالقاهرة سنة ٧٤٥ هـ/١٣٤٥ م . (الأعلام ٣ / ٢٠٧ وفيات ابن رافع ١ / ٤٩٨ والوافي ١٥ / ٤٨٢ والدرر ٢ / ١٧٠ والنجوم ١٠ / ١٠٩ والشذرات ٦ / ١٤٢) .

والخطيري : هو أيدمر الخطيري ، الأمير عز الدين ، مملوك شرف الدين أوحد بن الخطيري ، الأمير مسعود بن خطير ، انتقل إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون حتى صار أحد أمراء الألوف . مات في رجب سنة ٧٣٧ ودفن بتربته خارج باب النصر . (خطط المقريزي ٣١٢/٢) .

(٢) وهم جماعة من أخصاء السلطان . .

(٣) يلبغا اليحياوي: من أمراء دمشق . يأتي الحديث عنه بعد قليل . وألطنبغا المارداني الساقي أمره الملك الناصر محمد بن قلاوون وقدمه وزوجه ابنته. تسلم نيابة حماة، ثم نيابة حلب، ومات فيها في صفر سنة ٧٤٤ (خطط المقريزي ٣٠٨/٢ والوافي ٣٦٤/٩ والدرر ٤٠٩/١).

وآق سنقر : تقدم التعريف به ص ٧٣ ج٢ .

(٤) السنقر : نوع من الطيور الجارحة تشبه الصقر . وهي كلمة تركية الأصل . (ديوان لغة الترك) والجمع سناقر .

(٥) أمير شكار : لقب على الذي يتحدث على الجوارح من الطيور وغيرها وسائر أمور الصيد . وهو مركب من لفظين أحدهما عربي (أمير) والثاني فارسي (شكار) ومعناه الصيد . فيكون معناه : أمير الصيد (المختار من صبح الأعشى ٣ / ٣٠٣) .

وهؤلاء باز داريتك (١) . وهذه السناقر إذا رُحْتَ إلى الشام أشيعُهُم (٢) إليك تفرح بهم . وأراد النزولَ ليَبُوْسَ الأرْضَ فمنَعه .

وذكر لي ناصر الدين دواداره (٣) فيما بعد موتِه وقد كان عزله وضربه بالمقارع وأخذ منه للسلطان ثمانية عشر ألف دينار غير ما أخذه لنفسه قال : ما أقول إلا الحقّ ، ما رأيته قط يغفل عن نفسه . وما كأنه إلا واقف بين يدي ربه عزّ وجل ، وقال لي : ما كان يُخِلّ بقيام الليل ، وما صلّى صلاة قط إلا بوضوء جديد ، ومنذ كان في الطباق(٤) وإلى آخر وقتٍ ما أمسك بيده ميزاناً . انتهى .

ورأيتُ منه شيئاً ما رأيتُه من غيره وهو / أنّه كان له كاتبٌ مفرد [٢٠٣ آ] للزّكاة لا يعمل غير هذه الوظيفة (٥) . إذا حال الحَوْلُ على شيء

---

(١) البازدار : هو الذي يحمل الطيور الجوارح المعدة للصيد على يده (المفصل بالألفاظ الفارسية ص ١٧١ والمختار من صبح الأعشى ٣ / ٣١٣) . والبازيار : الذي يحمل الباز للأمير ويعتني به أثناء الصيد (دوزي ص ٤٩٨ – ح ٩٥٣) .

(٢) في إعلام الورى ص ١٤ : « وهذه الأربع سقورة إذا توجهت إلى الشام يكونوا صحبتك » .

(٣) الدوادار : لقب حامل دواة السلطان أو الأمير أو غيرهما ، ويتولى أمرها مع ما ينضم إلى ذلك من الأمور اللازمة لهذا المعنى من حكم وتنفيذ أمور وغير ذلك بحسب ما تقتضيه الحال ، وهو مركب من لفظين : عربي وهو (الدواة) وفارسي هو (دار) ومعناه : ممسك الدواة . . (صبح الأعشى ٥ / ٤٦٢ وخطط المقريزي ٢ / ٢٢٢) .

(٤) الطباق : مفردها طبقة ، أي مراتب الحضور في درس أو غيره . وكاتب الطباق : هو الذي يسجل الحضور على طبقاتهم (دوزي) والطباق أيضاً : ثكنات المماليك في قلعة الجبل بالقاهرة ، وكانت كل طبقة تضم المماليك المجلوبين من بلد واحد . وهذا هو المراد . (خطط المقريزي ٢ / ٢٠٤ – ٢٠٧ و ص ٢١٣) .

(٥) علق الدكتور زيادة على تطور ديوان الزكاة في مختلف العصور الإسلامية على ما قاله المقريزي عن تنكز أنه استجد ديواناً للزكاة : (ولم يستطع الناشر أن يجد فيما لديه من المراجع المتداولة في هذه الحواشي شيئاً بصدد نشأة هذا الديوان وتاريخه في الدولة الإسلامية . =

= باعتباره الديوان الذي قام على جمع الزكاة وصرفها على مقتضى الشريعة ، ماعدا أنه يفهم ن Von Kremer : Culturgeschichte des orients
وهو الكتاب المترجم إلى الانكليزية تحت اسم
Khouda Bukhsh : the orient under the caliphs - P. 187.
ان الخليفة معاوية بن أبي سفيان لما استقر له الأمر فرض الزكاة على أموال المستحقين من بيت مال المسلمين ، وربما تطلب منه ذلك إنشاء ديوان الزكاة .
ثم انه يوجد في ابن طباطبا (الفخري في الآداب السلطانية ص ٢٣٦) ان الوزير علي بن عيسى : (لما ولي الوزارة فشت صدقاته ومبراته ، ووقف وقوفاً كثيرة من ضياع السلطان وأفرد لها ديواناً سماه ديوان البر ، جعل حاصله لاصلاح الثغور للحرمين الشريفين) .
وهذا الديوان هو الذي أورده مسكويه في (تجارب الأمم ح ٥ ص ٢٥٧) باسم ديوان البر والصدقات . على أنه من الواضح مما سبق هنا بهذه الحاشية انه لم تكن ثمة علاقة بين هذا الديوان وبين الزكاة . انظر أيضاً MEZ : Die Renaissance des islams : :
وهو الكتاب الذي ترجمه إلى اللغة العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة تحت اسم (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ح ١ ص ١٢٥ - ١٣١) . غير أنه في (السلوك ج ١ ص ٤٤ - ٤٥) وفي (المواعظ والاعتبار ح ١ ص ١٠٨ وما بعدها) ان السلطان صلاح الدين الأيوبي كان أول من جبى الزكاة بمصر وانه كان بمصر منذ عصر الأيوبيين ديوان يعرف باسم (ديوان الزكاة) ويقوم عليه موظف اسمه (متولي الزكاة) وكان الأسعد ابن مماتي صاحب كتاب (قوانين الدواوين) ممن تولوا هذه الوظيفة . ويظهر أن هذا الديوان كان منبع مضايقات متعددة لكثير من الناس ، ولاسيما المسافرين والحجاج والباعة . (انظر المقريزي نفس المرجع والجزء ص ١٠٩) . وكذلك ابن جبير (تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار ص ٣٩ - ٤٠ و ٥٥ - ٥٦ و ٦٣ - ٦٤) ، (ولذا أمر السلطان العزيز عثمان بن صلاح الدين (٥٨٩ - ٥٩٥ هـ = ١١٩٣ - ١١٩٨ م) بتفويض أمر الزكاة إلى أرباب الأموال . فمن وجب عليه حق فيها وحمله إلى ديوان الزكاة قبل منه ، ومن لم يحمل (من زكاته شيئاً) لا يتعرض إليه . فبخل الأغنياء باخراج زكواتهم . . . انظر أيضاً (المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٠٠ للمقريزي) . ومن ذلك كله يتضح أن ديوان الزكاة الذي نشأ في مصر في أوائل عهد الأيوبيين قد قل شأنه منذ عهد السلطان العزيز عثمان ابن صلاح الدين . وان الدولة تركت الناس يتصرفون في أمر الزكاة بأنفسهم إلى حد كبير .
ويظهر أن الحال بقي على هذا المنوال مدة الدولة الأيوبية ودولتي المماليك الأولى والثانية حتى أوائل القرن التاسع الهجري على الأقل ، فقد ذكر القلقشندي (صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٧ ضمن ما أورده بصدد الزكاة ما نصه (والذي عليه العمل في زماننا بالديار المصرية ان أرباب الزكوات المؤدين لها يفرقونها بأنفسهم ، ولم يبق بها ما يؤخذ على صورة الزكاة إلا شيئان ، أحدهما ما يؤخذ من التجار وغيرهم على ما يدخلون به إلى البلد من ذهب وفضة ، =

من حواصله عمل ما يجب على ذلك من الزكاة وقرأه عليه فيرسم بصرفه .
وعمر الجامعَ والتربة إلى جانبه بِحِكْرِ السُّماق ، (١) ، والتربة لزوجته بجوار الخوّاصين (٢) . وعمّر البيمارستان بصفد . وكانت عَمَايِرُه وأملاكه بالشام جميعه وبمصر وبالقدس شيئاً كثيراً .

ولما كان في آخر سنة أربعين وسبعمائة ، وكان الساحل مَحْلاً ،

= فإنهم يأخذون على كل مائتي درهم خمسة دراهم . . . ، ثم إنه إذا كان بالبلد متجر لأحد تجار الكارم من بهار ونحوه وحال عليه الحول بالبلد أخذوا عليه الزكاة أيضاً . . . والثاني ما يؤخذ من العداد من مواشي أهل برقة من الغنم والإبل عند قدومهم البحيرة بسبب المرعى .
ومن هذه العبارة يتضح أن لفظ الزكاة قد اقتصر معناه في عصر المماليك بمصر على جزء فقط من مدلوله الأصلي . بل يوجد بالمقريزي (المواعظ والاعتبار ج ١ ص ١٠٧) ما ينص على أن الزكاة قد صارت تعتبر من الأموال الهلالية والمكوس المستحدثة مثل مكوس المواريث والثغور والمتجر السلطاني وغيرها . كما يوجد بنفس المرجع والجزء (ص ٣٧٥) خان اسمه خان الزكاة ، وقد كان فندقاً للمسافرين من الحجاج والتجار كما يظهر . انظر السلوك (ص ٥٠٢ حاشية ٣ ج ٢ قسم ٢) . وكذلك يوجد في (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٨٧) تعريف لوظيفة شد الزكاة بدمشق ونصه : (وموضوعها التحدث في متجر الكارم ونحوه) . . . ومنه يتبين تماماً ما انكمش إليه معنى لفظ الزكاة في عصر المماليك انظر أيضاً . Demombynes : La Syrie P. 149 . السلوك ج ٢ قسم ٢ ص ٥١٠ – ٥١١ حاشية (٤) .

(١) حكر السماق : موضع بدمشق يسمى اليوم شارع النصر ، وكان يسمى شارع جمال باشا (ولاة دمشق ١٦٧) ويمتد من رأس سوق الحميدية الغربي وباب القلعة الغربي حتى محطة الحجاز غرباً .

أما الجامع الذي بناه فسمي باسمه (جامع تنكز) وقد اختار له موقعاً جميلا مشرفاً على نهر باناس (على الطرف الشمالي من شارع النصر) بوشر ببنائه في صفر سنة ٧١٧ وكمل بنيانه في شعبان سنة ٧١٨ . وقام الإمام ابن تيمية بتحرير قبلته ، وأصلح مراراً ، وله منارة مملوكية وفيه روائع فنية في المحراب ، كما أن فيه مدفن تنكز ثم هدمت إدارة الأوقاف المسجد كله سنة ١٣٧١ هـ وأقامت مكانه محلات تجارية أعيد بناء المسجد فوقها بالإسمنت والحجر الأبيض واقتطع قسم من صحنه الشمالي جعل مدرسة شرعية للبنات فتقلصت مساحته من ٦١٧٧ م٢ إلى ٥٤١٦ م٢ (خطط دمشق للعلبي ٣١٦ – ٣١٨) .

(٢) تقدم التعريف بالخواصين وهو سوق الخياطين اليوم . والخواص هو الصائغ الذي يخوص أي يزين الأشياء بصفائح الذهب .

أراد السلطان [أن] يجهز بناته صحبة الأمير سيف الدين بَشْتاك (١) إلى دمشق ليدخُلْنَ على أولاد تنكز ، فجهّز يقول ياخَوَنْد هذا الأمير بَشْتاك يجيء بجمع عظيم ، والساحل السَّنةَ مَحْلٌ ، وما يحمله الطريق ، وأنا أحضر بأولادي ونعمل هذا المهم هناك ، وكان الناس قد أرجفوا أنه قد عزم على التوجه إلى عند الشيخ حسن بن تمرتاش(٢) ، وعند الله تجتمع الخصوم . فما كان الجواب إلا أن حضر طاجار الدوادار (٣) ، وقال له : السلطان . يسلم عليك ، وقد حلف أنه ما بقي يَدَعُكَ / تروحُ إلى مصر ، ولا يُجهّز إليك أميراً كبيراً حتى لا تتوهّمَ ، فقال : أنا الآن أتوجه معك جريدة ، (٤) ومعي أولادي ، فثبطه وقال : ما يحتاج إلى هذا ، ولو وصلتَ إلى بِلْبيس (٥) ردّك ، وأنا مثل اليوم عندك بتشريف جديد(٦) ؛ ولو توجّه لكان خيراً ،ولكن ليقضيَ اللهُ أمراً كانَ مفعولاً . فتوجّهَ من عنده طاجار ، وما عاد إلا مع الأمير سيف الدين بَشتاك [و] طَشْتَمر حِمّص أخضر (٧) نائب صَفَد إلى [٢٠٣ ب]

---

(١) الناصري : قربه السلطان وكان يسميه في غيبته بالأمير ، وجرده لإمساك تنكز . تقلب في مناصب عديدة إلى أن قتل في أول سلطنة الملك الأشرف كجك نحو سنة ٧٤٢هـ. (الوافي ١٠ / ١٤٢ والدرر ١ / ٤٧٧) .

(٢) هو ابن جوبان . سعى للإيقاع بين تنكز والسلطان الناصر ، وكان ذلك سبب هلاك تنكز . مات سنة ٧٤٤ هـ (الدرر ٢ / ١٥ والوافي ١١ / ٤١٢) .

(٣) الماردني الناصري : أمره الناصر سنة ٧٠٩ هـ ثم أعطاه طبلخاناه (إمرة أربعين فارساً حتى ثمانين) ثم أصبح دواداره (حامل دواته) . قتله قوصون سنة ٧٤٢ هـ . (الدرر ٢ / ٢١٣ والوافي ١٦ / ٣٧٨ – الترجمة ٤٠٩ والنجوم الزاهرة ١ / ٧٥ والسلوك ج ٢ في صفحات كثيرة) .

(٤) الجريدة : جماعة الخيالة ، لا رجالة فيها .

(٥) بلبيس : تقدم التعريف بها وتقع إلى الشمال الشرقي من القاهرة .

(٦) تقدم التعريف بالتشريف قبل قليل . ص ٢٢٥ ج ٢ حاشية (١) .

(٧) تقدم التعريف به قبل قليل . ص ٢٢٧ ج ٢ حاشية (٤) .

دمشق . وقبض عليه هو والفَخْري (١) ، وأمراء الشام ، وقُيِّد (٢) عند مسجد القدم ، وجهز سيفه إلى السلطان ، وتوجهوا به إلى مصر .

وَكَأَنَّه بَرْقٌ تَأَلَّقَ بالحِمَى
ثم انْطَوى وكأنه لم يَلْمَعِ

فيا رَزِيَّة حلَّتْ بأهل دمشق ، لقد تأسَّفوا عليه ، ويا طُوْلَ أسَفِهِم .

وحضر الأمير سيفُ الدين بَشْتاك ومعه عشرة (٣) أمراء من مصر ، ونزل القصر ، وحلَّف العسكر للسلطان ولأولاده من بعده ، واحتاط على حَواصِلِه وموجوده ، ووسَّط (٤) أمير آخُوْر طغاي(٥) ، وجنغاي ، والاوزان (٦) ، وحُمِل / ما كان حاصلاً من الذهب والفضة ، [٢٠٤ آ] والحوائص والطَّرز ، والكلوتات وأنواع القماش والجواهر والقطع العربية واللؤلؤ المدوَّر ، ما كان جملته ثمانمائة حِمْلِ جَمَل . وفي ضمن ذلك ما وُجد من العين ذهباً ثلاثمائة ألفِ دينارٍ وستين ألفَ دينار .

---

(١) هو قطلوبغا الفخري : والي دمشق . يأتي الكلام عنه ص ٢٥٠ .
(٢) انظر — ان شئت — تفاصيل القبض على تنكز في السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٤٩٨—٥٠٨
(٣) الأصل المخطوط : « عشر » .
(٤) التوسيط : أحد أنواع طرق الإعدام في عصر المماليك ، وطريقته أن يعرى الإنسان من الثياب ، ثم يشد إلى خشبة مطروحة على الأرض ، ويضرب بالسيف تحت سرته بقوة ضربة تقسم جسمه نصفين ، وتخرج معاه وتقع على الأرض . (إعلام الورى ص ١٠٢ — ح ٤) .
(٥) طغاي : تقدم التعريف به في حواشي الجزء الأول .
وأمير آخور : هو الذي يتولى شؤون إسطبل السلطان أو الأمير ، ورعاية ما فيه من خيول ودواب . (معيد النعم ومبيد النقم) . وهو مركب من لفظين : أحدهما عربي (أمير) والثاني فارسي (آخور) ومعناه المعلف . فصار المعنى (أمير المعلف) (صبح الأعشى ٤٦١/٥ وخطط المقريزي ٢٢٤/٢ والسلوك ٢ / ٤٣٨ —ج ٣ ودوزي ٦١/١) .
(٦) كذا الأصل ، وفي الدرر الكامنة : (أوران) .

وألف ألف وخمسمائة ألف درهم . وأخذت مماليكه وجواريه(١) وخيوله المثمنة إلى مصر . ولمّا وصل تَنْكِز إلى مصر دخل القلعةَ ولم يستحضرْه(٢)،وإنما كان قُوْصون(٣) يتردَّد في الرَّسْليّة(٤) ، ثم إنه اعتقله في الإسكندرية،وحُبس بها دون الشهر وقضى الله فيه أمره (٥)

ولــولا حُــرْمَــةٌ للــدِّيــن عنــدي
اقْتَلْــتُ سَــقَتْــه صافيــة شَــمولُ

ولمّا كان في أوائل شهر رجب سنة أربع وأربعين وسبعمائة ، أُحْضِرَ تابوتُه من الإسكندرية ودُفن في تربته ، جوار جامعه (٦) وقلتُ أنا فيه(٧) :

---

(١) في الأصل : « وجواره » تصحيف .

(٢) أي لم يحضره السلطان .

(٣) تقدم التعريف به في ص ٢٣٥ ج٢ .

(٤) أي في التراسل .

(٥) وقال ابن حجر في الدرر ج ١ ، ص ، ٥٢٦ : « . . . ومات في أوائل سنة ٧٤١ هـ ويقال : ان ابن صابر المقدم هو الذي قتله . وأرسل الناصر كتابه إلى دمشق يقول : إن تنكز كنا سألناه عن حواصله ، فلم يقر بشيء منها ، فلما بلغه أنا استأصلناه احتد من ذلك وحم حمى مطبقة فمات » — وذكر ابن إياس في بدائع الزهور ج ١ ، ق ١ ، ص ، ٤٧٩ (وأكثر أخباره عن تنكز من الصفدي) ما يلي : (فلما سجن أقام في السجن أربعين يوماً وهو مقيد ، ثم إن السلطان رسم بخنقه ،فأرسل إليه الحاج إبراهيم بن صابر مقدم الدولة فخنقه وهو بالسجن ، فلما مات غسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه بثغر الإسكندرية . . . ثم قال : واستمر تنكز مدفوناً بالاسكندرية فترة يسيرة ، ثم إن بعض الأمراء شفع فيه ، بأن ينقل جثته إلى دمشق ويدفن في مدرسته التي أنشأها بدمشق ، فرسم بنقله من الاسكندرية إلى دمشق . فنقل في أواخر سنة ٧٤١ هـ ودفن بدمشق ، وفيه قال الصلاح الصفدي :

إلــى دمشــق نقلــوا تنكــز فيــا لهــا مــن آيــة ظاهــرة

ثم أورد بقية الأبيات التي ستأتي بعد قليل .

(٦) انظر بدائع الزهور لابن إياس وأخبار تنكز ،ج ١ ، ق ١ ص ٤٧٧ — ٤٨١ .

(٧) الشعر معروف الصفدي كما في بدائع الزهور ج ١ ، ق ١ ، ص ٤٧٩ .

إلى دِمَشْق نقلوا تَنْكِزاً
فيا لَها مِنْ آيةٍ ظاهِرَهْ
في جَنّةِ الدنيا له جُثّةٌ
ونفسه (١) في جنّةِ الآخِرَهْ

/ وقلت أيضاً : [٢٠٤ ب]

في نَقْلِ تَنْكِزَ سِرٌّ
أرادَه اللهُ رَبُّهْ
أتى به نحو أرضٍ
يُحِبُّها وتُحِبُّهْ

وقلت (٢) كأنني أخاطبُه :

أعاد الله شَخْصَكَ بَعْد دَهْرٍ
إلى بَلَدٍ وَلِيْتَ فلم تَخُنْها
أقمت بها تُدَبِّرُها زَماناً
وتأمُرُ في رَعاياها وتَنْهَى
فلا هذا الدخولُ دَخَلْتَ فيها
ولا ذاكَ الخرُوجَ خَرَجْتَ منها

وكتبتُ إلى القاضي شهاب الدين بن القَيْسراني من مصر سنة خمس وأربعين وسبعمائة :

(١) في بدائع الزهور : « وروحه » .
(٢) في الأصل : « وقال » سهو . بدليل عبارة : « كأنني أخاطبه » .

ألا هَـلْ لُيَيْـلاتٌ تقضَّتْ عـلى الحِمـى
تَعُـودُ بِوَصْـلٍ للسُّـرورِ مُنَجّـزِ

ليَـالٍ إذا رامَ المُبـالِـغُ وَصْفَهـا
يُشَبِّهُهـا حُسْـناً بأيـام تَنْكِـزِ

وبَعْـدَ عِشْـرِيْنَ مَـعَ السَّبْع مِئَـهْ
حَـجَّ بهـا تنكـز فـي خـير فِئَـه

* * *

(الأمير بدر الدين بَيْبَرس)

فنـابَ لمّـا غـابَ عنهـا الحـاجِـبُ
بيْبَرْسُ فـاعْـرِفْ ذاك فهو واجبُ

ومُـذْ أتـى مِـنْ حَجِّـه ما نَظَـرَهْ
بـل عـاد بالبريـد (١) فافْهَـمْ خَبَـرَهْ

الأمير بدر الدين بيبرس الحاجب (٢) .

[٢٠٥ آ] كان أولاً أمير آخور (٣) / ولما حضر السلطان من الكَرَك عزله

---

(١) في أمراء دمشق ص ١٦٢ : « في البريد » .

(٢) ترجمته في الوافي بالوفيات ١٠ / ٣٥١ – الترجمة ٤٨٤٥ والدرر الكامنة ١ / ٥٠٨ والسلوك ج ٢ ق ٣ ص ٦٣٧ . ولقبه في الأصل المخطوط بدر الدين . إلا أنه سيأتي بلقب ركن الدين بعد قليل في الصفحة ٢٤٥ ولعل الصواب بدر الدين كما هو في أكثر المصادر التي رجعنا إليها .

(٣) أمير آخور : من يتولى شؤون اصطبل السلطان . وانظر حواشي ص٢٤١ ج٢ .

بالأمير أَيْدغمش (١) ، وولاّه الحجبة . وكان حاجباً(٢) ، إلى أن جُرِد إلى اليمن ، ولمّا عاد نَقِمَ السلطانُ عليه أموراً نُقِلَتْ عنه، فاعتقله في حادي عشري القعدة سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، وأفرج عنه في سنة خمسٍ وثلاثين وسبعمائة ، وجهّزه إلى حلب أميراً . ولما كان الأميرُ سيف الدين تَنْكِز بمصر في سنة تسع وثلاثين وسبعمائة طلبه من السلطان ، فرسم له(٣) بالحضور إلى دمشق فحضر إليها ، وترك بدار أيدغدي شقير (٤) وملكها . ولم يزل بدمشق إلى أن طلع في وجهه ماء شرى (٥) . فتوفي بعدها بجمعة في شهر رَجَب الفرد سنةَ ثلاثٍ وأربعين وسبعمائة .

وله بالقاهرة في داخل باب الزهومة (٦) دارٌ مليحة .

ولمّا عزم الأمير سيف الدين تَنْكِز على الحج ، في سنة إحدى وعشرين وسبعمائة ، أذنَ له السلطانُ في ذلك ، ورَسَم للأمير ركن الدين بيبرس الحاجب أن يكون نائب الغَيْبَة (٧) إلى أن يعود من الحج،

---

(١) سيأتي الحديث عنه ص ٢٥٧ .

(٢) تقدم على الكلام على الحاجب والحجوبية ص ٢٤٤ ج٢ .

(٣) رسم له : أصدر السلطان أمراً مكتوباً بذلك .

(٤) هو أيدغدي المنكوتمري المعروف بشقير . كان من مماليك لاجين . ترقى عندما لحق بالناصر ، وتقرب منه ، ثم غضب عليه ، وقبض عليه سنة ٧١٥ هـ وقتله عندما وشى به الأمراء أنه يريد قتل السلطان سنة ٧١٥ هـ (الدرر الكامنة ١ / ٤٢٥) .

(٥) الشرى : طفح جلدي بشكل بثور ناتئة ، يسبب حكاكاً قد يكون شديداً

(٦) باب الزهومة : كان في اخر ركن القصر الشرقي الكبير الذي كان للحاكم بأمر الله الفاطمي ، وكان هذا القصر يسمى القصر المعزي نسبة إلى المعز لدين الله الفاطمي تميم بن معد . وكان هذا الباب مقابل خزانة الورق التي هي في القرن التاسع الهجري خان مسرور . وقيل له باب الزهومة لأن اللحوم وحوائج الطعام كانت تدخل إلى القصر منه . والزهومة : الزفر . (خطط المقريزي ١ / ٤٣٥) .

(٧) تقدم التعريف بنائب الغيبة ص ٢٧٨ ج٢ .

[٢٠٥ب] وكان ينوب / على العادة . ولمّا بَلَغَهُ قُرْبُ تنكز من دمشق ركب على البريد في الليل ، وخرج من دمشق قبل وصوله بيوم أو يومين ، وتوجّه إلى مصر ولم يعلم به أحد (١).

* * *

أيام الأمير علاء الدين ألطُنْبُغا

ثم أتى الطُنْبُغا إليها
ولم يَفُزْ بطائل إليها (٢)

وتمّ ما تمّ له مع طَشْتَمِر
وما خلت دنيا امرىء إلا تَمُرّ (٣)

وعاد في تلك الجيوش من حلبْ
كأنّما الشرّ لنفسه جَلَبْ

وشدّ للحزم حُمولاً وحَزَمْ
فخامر الجيشُ عليه وانْهَزَمْ

وأمّ مصرَ يَبتغي قوصونا
فما رأى سِرّ الهدى مصونا

---

(١) ثم اعتقل بالإسكندرية مدة ، فلما كانت سنة ٧٣٥ ولي نيابة حلب، ثم استقر أميراً بدمشق سنة ٧٣٩ ، ولم يزل بها إلى أن توجه الفخري صحبة الناصر أحمد أمير الغيبة عنه بدمشق ، ثم أسن ، ومات في رجب سنة ٧٤٣ (الدرر الكامنة ١ / ٥٠٨) .

(٢) في أمراء دمشق : « لديها » .

(٣) كذا الأصل . وفي أمراء دمشق : « من الأمر » وكلاهما من المرارة .

وأخـــذا مِـــنْ بَعْـــدِ ذا وحُبِسا(١)
وخلعـــا للمـــوت مـــا قـــد لَبِســـا

الأمير علاء الدين أَلْطُنْبُغا الحاجب الناصري (٢).

تولى نيابة حلب بعد موت سُودي نائبها ، وأقام فيها إلى أن أخرج السلطان الأمير سيف الدين أرغون (٣) الدَّوادار إليها نائباً . وتوجّه الأمير علاء الدين إلى مصر ، وأقام بها إلى أن مات أرغون في سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة . فأخرجه السلطان / إليها ، وبقي فيها إلى أن عُزِلَ [٢٠٦آ] منها في سنة تسع وثلاثين وسبعمائة . وقد وقع بينه وبين الأمير تنكز ، وطلبه السلطان إلى مصر ، وولاه نيابةَ غَزَّة ، فأقام بها إلى أن أُمسك تنكز ، فرسم له بنيابة دمشق . فحضر إليها من غزَّة، ودخلها يوم الاثنين سادس المحرم سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، فأقام بها إلى أن تولى الأشرف كجك (٤) ، وقام بدولته قوصون (٥) . وخرج الأمير طَشْتَمر (٦) على قُوصون في حلب ، وأراد ولاية الملك الناصر أحمد

(١) أي الطنبغا وقوصون .

(٢) ترجمته في الوافي بالوفيات ٣٦١/٩ والدرر الكاملة ٤٠٨/١وولاة دمشق١٨٠ .

(٣) سيأتي الحديث عنه ص ٢٧٢ .

(٤) هو ابن محمد بن قلاوون ، علاء الدين ، الملك الأشرف ابن الملك الناصر : نصبه الأتابكي قوصون بعد أن قتل أخاه المنصور أبا بكر سنة ٧٤٢ هـ . ولد سنة ٧٣٤ هـ / ١٣٣٤م ومات سنة ٧٤٦ هـ = ١٣٤٦ م (خطط المقريزي ٢ / ٢٣٩ والأعلام ٦ / ٧٣) .

(٥) قوصون : أمير كبير ، لقبه سيف الدين ، حضر من بلاد بركة إلى مصر ٧٢٠ تاجراً . أبتاع منه نفسه الملك الناصر محمد بن قلاوون . تقدم في المراتب وتزوج السلطان أخته وتزوج قوصون ابنة السلطان . قبض عليه بعض الأمراء الناقمين عليه ، وقتل بالإسكندرية سنة ٧٤٢ هـ (خطط المقريزي ٣٠٧/٢الدرر ٢٥٧/٣ والسلوك ٢/ ق١، ٣٠٢).

(٦) تقدم التعريف به ص ٢٤٧ ج ٢ .

المقيم بالكرك . فندب قوصون الأمير علاء الدين ألطنبغا ، وتوجّه بالعساكر الشاميّة والحمويّة والطرابلسيّة إلى حلب ، وفرّ طشتمر عند وصوله ، ودخل بلاد الروم . فنهب حواصله (١) ، وفرّق أمواله ، وعاد إلى جهة دمشق وصُحْبَته عسكر حلب إلى دمشق وطرابلس . فلما وصل إلى القُطَيْفة (٢) وجدَ قطلوبغا الفَخْري (٣) قد جاء وملك دمشق وملكها . وقد كان قوصون أخرج الفخري من مصر ومعه ألفا فارس / ليحاصر أحمد في الكَرَك . ولما بلغه خلوُّ دمشقَ من ألطنبغا [٢٠٦ ب] جاء إليها وملكها . وأقام على خان لاجين(٤) ، وحضر إليه سليمان بن مهنا (٥) وطُقُزْتَمُرْ نائب حماة(٦) ، وأصلم (٧) نائب صفد ، وآقسنقر (٨) نائب غزة ، ودعا قَطْلوبُغا لأحمد الذي في الكرك .

(١) الحواصل : ما حصل عنده ، أو مستودعاته . وتستعمل اليوم كلمة (حاصل) لمستودع الخشب خاصة .

(٢) القطيفة : بلدة على طريق دمشق — حمص ، بعد ثنية العقاب لقاصد حمص . تتبع اليوم محافظة ريف دمشق ، وتبعد عن دمشق ٤١ كم شمالا بشرق .

(٣) سيأتي الحديث عنه بعد قليل .

(٤) خان لاجين : بناه الأمير حسام الدين لاجين تحت ثنية العقاب عند ملتقى طريقي بغداد وحمص، والمشهور في عصرنا بخان عياش . (ولاة دمشق — لدهمان ص٧٠ وصورة هذا الخان فيه ص٧١ كما أن فيه ما كتب على عتبة بابه . وأنه من أنشاء الأمير حسام الدين لاجين).

(٥) هو سليمان بن مهنا بن عيسى بن مهنا ، من ال الفضل من ربيعة ، يلقب علم الدين ، أمير عرب الفضل في بادية حمص والفرات . كان موالياً لسلاطين مصر قبل أن يلي الإمارة . تولى إمرة العرب من قبل الناصر بدلا من أخيه موسى ، أو بعد وفاته سنة ٧٤٢ هـ واستمر بها إلى أن مات في سلمية سنة ٧٤٤ هـ / ١٣٤٣ م (الوافي بالوفيات ١٥ /٤٣١ والدرر ٢ / ١٦٣ والأعلام ٣ / ٢٦٠-٢٦١) .

(٦) يأتي الكلام عنه ص ٢٦٠ — ٢٦١ .

(٧) تقدم التعريف به ص ٢٣٦ ج٢ .

(٨) آقسنقر : هو الأمير شمس الدين ، أحد مماليك الملك المنصور قلاوون ، ثم اختص به الناصر محمد بن قلاوون ، وجعله أحد الأمراء المقدمين . قبض عليه الملك الصالح مع بعض الأمراء عندما كان نائباً بمصر سنة ٧٤٤ هـ ، وكان هذا اخر العهد به . (الخطط المقريزية ٢ / ٣١٠ والوافي ٩ / ٣١٣ والدرر ١ / ٣٩٤) .

ولما وصل ألطنبغا أقام على القُطَيْفة ،وترددت الرُسُل بينه وبينه ؛ وخامر الفخري (١) لأنه استضعف نفسه مع العساكر التي مع ألطنبغا. وآخر ما طلب الفخري أن يوفي دراهم الأيتام التي أخذها ، وأن يكون نازلاً عنده ضيفاً . وأن يخرج عن قوصون،ولو وافقه دخل الفخري في خدمته ، وكان عنده ضيفاً يصرّفه بأوامره ونواهيه ،ولكن لا مردّ لما يقدّره الله . وأقام ألطنبغا على القُطَيْفة يومين ،ولما كان في اليوم الثالث بكرة ، خامر العسكر الذي مع ألطنبغا على القُطَيْفة وتَحَيَّزوا إلى الفَخْري ، وبقي ألطنبغا والحاج أرقطاي (٢) والمرقبي (٣) ، وابن الأبوبكري (٤) ، فلوّوا رؤوسهم وتوجهوا إلى مصر (٥) ولمّا قاربوا مصر . جهّز قراتمرُ / دوادارَه (٦) إلى قوصون ، فجهز لهم خيولاً [٢٠٧ آ]

(١) لعل المراد فاوض . والفخري هو الأمير قطلوبغا القادم بعده .
خامر : خاتل : تغير عما كان عليه - مادة (خمر) - المنجد .

(٢) والعامة تقول : (رقطاي) ، الأمير سيف الدين ، أحد مماليك الأشرف خليل بن قلاوون ، وصار إلى أخيه الملك الناصر محمد جمداراً (يعتني بلباس السلطان) ، ثم استقر في نيابة حمص سنة ٧١٠ هـ ، ثم نقل إلى صفد نائباً سنة ٧١٨ هـ ، ثم استقدم إلى مصر ليعمل نيابة الغيبة إذا خرج السلطان للصيد ، وتقلب في وظائف كثيرة إلى أن سلمه السلطان حاجي نيابة مصر ثم حلب ، ومات في ظاهرها بعين مباركة سنة ٧٥٠ هـ وله ٧٠ سنة (خطط المقريزي ٢ / ٤٠ والسلوك ٢ / ٣ / ٨١٢ والدرر الكامنة ١ / ٣٥٤ - الترجمة ٨٧٧ .

(٣) هو أيدمر المرقبي . كان من أمراء دمشق ثم طرابلس ، ومات بها سنة ٧٤٤ هـ (الدرر ١ / ٤٣٠ والسلوك ٢ / ٣ / ٥٨٥) .

(٤) هو أستبغا بن بكتمر البوبكري . تنقل في الإمرة حتى أعطي تقدمة في أيام الناصر بن قلاوون . ولي نيابة حلب بعد طيبغا الطويل ، ثم نقل إلى القاهرة أميراً كبيراً . مات سنة ٧٧٧ هـ . (الدرر ١ / ٣٨٦ والسلوك ٢ / ٣ / ٥٨٥) .

(٥) ولم يبق مع الطنبغا سوى أرقطاي نائب طرابلس وأستبغا بن (بكتمر) البوبكري وأيدمر المرقبي من أمراء دمشق . فانهزموا على طريق (صفد) إلى جهة غزة والقوم في أثرهم . . .) . (هذا التوضيح من السلوك ج ٢ قسم ٣ ص ٥٨٥ . .)

(٦) تقدم التعريف بالدوادار ص ٢٣٧ ج٢ .

وتَشاريف (١) على أنه يصبح يتلقاهم ، فأمسك أمراء مصر قُوْصون، وسيَّروا مَنْ تلقى ألطنبغا والذين معه ، وأخذوا سيوفهم وجهزوهم إلى إسكندريّة ، ولم يزالوا في الاعتقال إلى أن جاء الناصر أحمد من الكَرَك وجلس على تخت المُلْك بمصر ، وجهّز إلى إسكندرية مَنْ قَتَل ألطنبغا وقوصون وجماعة غيرهما ، وذلك في ذي القعدة أو في شوال سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة .

وكان الأمير علاء الدين خبيراً بالأحكام الشرعيّة وسياسة الدولة ، ودخل في البلاد السيسيّة (٢) غير مرة ، وأنكى فيها ، وفتح الفتوحات بها ، وكان طويلَ الروح في المحاكمات ، لا يَمَلُّ القضية إلى أن تنفصل . وفصل في أيامه قضايا كانت مُزْمِنَةً .

وكان يلعب بالرُّمْح ، ويرمي النُّشّاب ،وكان من الفُرسان الأبطال لم يَقْدِرْ أحدٌ في بيت السلطان أن يرمي جنبه إلى الأرض ، وكان سمحاً جواداً لا يدخر شيئاً ، وإنما لم يرزق سعادة بدمشق .

* * *

[٢٠٧ ب]

أيامُ الفَخْريّ
(سيف الدين قطلوبُغا الساقي)

وبَعْدَ ذا استولى عليها الفَخْريْ
وحازَها كالأسَدِ المُسْتَضْريْ

---

(١) انظر معنى التشاريف ص ٢٢٥ ج٢ .

(٢) لعل المراد البلاد التابعة لبلدة (سيس) انظر التعريف بها ص ٧٥ ج٢ .

ولـم يُمتّـع بالمُقـام فيهـا
وكـان يَـهواهـا ويَصْطفيهـا

وقـام مـع أحمـد صاحـب الكَـرَكْ
قيـامَ مَـنْ لـم يَخْشَ في الدُّنينا دَرَكْ

وخـاض فيـه غَمَـراتِ المـوتِ
وشـابَ فَـوْداه (١) لحـبِّ الفَـوْتِ

وهـو يـرى إحسانَـه ذُنـوبـا
ويمـلأ الغيـظُ لـه ذَنـوبـا (٢)

وآخـرَ الأمـرِ أطـارَ رأسَـهْ
ثـم سـبى حريمـه ونـاسَـه

الأمير الكبير المُقَدَّمُ الشُّجاع الداهية ، سيفُ الدين قُطْلوبُغا الساقي النّاصري المعروف بالفَخري (٣) ..

كان من أكبر مماليك أستاذه ، لم يكن لأحدٍ من الخاصة ولا من غيرهم إدلالٌ على السلطان ، ولا مَنْ يكلِّمه بكلامه ، ويرد عليه الأجوبة الفاحشة الحادة المرَّة غيْره . ولم يزل عنده أميراً حتى أمسكه في واقعة غضبه على أرْغُون (٤) وإخراجه إلى حلب نائباً . ولما دخل تنكز إلى مصر في سنة تسع وعشرين وسبعمائة ، أخرجه السلطان معه إلى/ الشام [٢٠٨ آ]

(١) الفود : معظم شعر الرأس مما يلي الأذن ، أو ناحية الرأس . وفي الأصل المخطوط : « فؤاده » خطأ ولا يقوم البيت .

(٢) الذنوب : الدلو العظيمة .

(٣) ترجمته في الدرر الكامنة ٢ / ٢٥٠ وولاة دمشق ١٨٤ والنجوم الزاهرة ١٠ / ١٠٣ و إعلام الورى ١٦ وأمراء دمشق ص ٦٩ .

(٤) أحد ولاة دمشق ، يأتي بعد قليل .

ولقد توجّه في بعض السنين ، وأقام على ما قيل على بابه من بكرة إلى قريب الظهر . حتّى أذن له في الدخول . فلما خرج معه كان يَشُدُّ الشَّلْو (١) في وسطه . وإذا رمى تنكز الجارح على رمية ، نزل وحصّله بلا سِرْموزة (٢) . وكان في خدمته مثلَ أقلِّ مملوكٍ عنده . ولمّا وصلا إلى دمشق كان لايركب تَنْكِزٌ في وقت من الأوقات إلا ويجد الفخريَّ راكباً وهو واقفٌ ينتظره ، لأنه كان له واحدٌ من غلمانه قد جعله يجلس أمامَ إسْطَبْل النَّوْبَة متى رآهم قَدَّموها توجّه إليه وأعلمه بذلك . ولم يزل في الخدمة إلى أن دخل في عَيْنه وملأ قَلْبَه . فلمّا كان عند إمساكه ، خرج إليهم فوجده وفي وَسَطِه التركاش (٣) ، فقال: لاإله إلا الله يا فخري ، وأنت الآخر بالتركاش ؟ فقال: ما شُدَّ إلا في يومه .

ثم إنّه توجّه إلى مصر ، فعظمّه السلطان ، وهمّ بأن يقوم له إذا دخل . ولما توفي السلطان جاء هو إلى ألطنبغا (٤) وحلّفَهُ للناصر أبي بكر ، وهو الذي أمسك بَشْتاك (٥) وما جسر عليه أحدٌ غيرَ . [٢٠٨ ب] ولمّا / قام قُوْصون بأمر الأشرف كُجُك (٦) ، جهّز الفخري إلى الكرك ليحاصر أحمد (٧) ، فجرى ما ذكرناه في ترجمة ألطنبغا (٨) .

---

(١) الشلو : سير اللجام المتقادم .

(٢) حذاء يشبه الخف يلبس داخل البيت (فارسي) (السلوك ١ / ٢٩٤ – ح١) .

(٣) التركاش : لفظ فارسي معناه جعبة أو الكنانة توضع بها القسي والنشاب والجمع تراكيش . وترسم أيضاً تركش . (السلوك ١ / ٣٧١ ودوزي ٢ / ٣٨) .

(٤) تقدم ص ٢٤٦ ج٢ .

(٥) تقدم ص ٢٤١ ج٢ .

(٦) تقدم ص ٢٨٠ ج٢ .

(٧) هو الملك الناصر أحمد بن الناصر .

(٨) انظر صفحة ٢٤٦ ج٢ .

ولمّا حضر إلى دمشق ، حلّف الناس للناصر أحمد ، واستخدم البَطّالة (١) ، ورتّب في الوظائف من أراد ، وأحبّه الناس وأخذ من مال الأيتام أربعمائة ألف درهم ، وأنفقها (٢) فيما دعت الضرورة إليه . وأمسك الطرقات مِنْ صَرْخَد إلى البحر ، ومنعَ الأخبارَ أنْ تصل إلى مصر ، وظَفِرَ بالبريد ومعه نفقةٌ من عند قُوصون لألطنبغا وهي عشرة آلاف دينار فأخذها . ولما وصل ألطنبغا إلى القُطَيِّفة ، ومعه تسعةَ عَشَرَ ألفَ فارس ، ضعفت نفوسُ الذين مع الفخري ، فركب وجعل يقوّي قلوبهم : وقال لمماليكه : بالله يا أولادي إنْ هَرَبْتُ اضربوا رقبتي ولما خَامَرَ عَسْكَر ألطنبغا ، دخل هو بالعسكر إلى دمشق ونزل بالقصر الأبلق ، وحلّف العساكر للناصر أحمد وجهزّ إليه ليحضر إلى دمشق ، فقال له : جهّز لي الأمراء الكبار / الذين [٢٠٩ آ] عندك ، فجهّز إليه طُقُزْدَمر (٣) ، وأَصلم(٤) ، وقُماري(٥) وسليمان بن مُهنّا(٦) ، فتوجهوا إلى الكرك ، وعادوا ولم يحضر ، ووعده بأنه اذا حضر الأمير سيف الدين طشتمر من بلاد الروم حضر إلى دمشق فأخذ الفخري في العمل على حضور طشتمر . وجهزّ إليه إلى البلاد الروميّة ، ولم يزل به حتى وصل إلى دمشق ، فخرج

---

(١) البطالة : العاطلون عن العمل .

(٢) في الأصل : نفقها .

(٣) أحد ولاة دمشق . انظره في الصفحة ٢٦١ القادمة ويكتب (طقزتمر) أيضاً .

(٤) تقدم ص ٢٣٦ ج٢ .

(٥) هو قماري الناصري ، أخو بكتمر الساقي ، أمره الناصر بعد موت بكتمر . تقلب في مناصب عدة ، سجن في الإسكندرية وقتل سنة ٧٤٧ هـ (الدرر ٣ / ٢٥٦) .

(٦) تقدم ص ٢٤٨ ج٢ .

إلى دمشق ، فخرج وتلقاه وأنزله بالنّجيبيّة التي على الميدان (١) ، وحمل إليه مائة ألف درهم . وجهّز الفخري النّوّاب إلى بلاد الشام ، فجهّز طَيبُغا حاجي (٢) إلى حلب ، وطَينال (٣) إلى طرابلس ، والبشمقدار (٤) إلى حمص ، وجهّز شعار الملك . واستعمل جميع ما يحتاج إليه . وسأل من النّاصر أحمد الحضور ، فسوّف به ولم يحضر ، وعزم هو وقطلوبغا على التوجه إليه بالعساكر . فلمّا بلغه خروجهم توجّه هو وحده إلى القاهرة ، فتوجّها بالعساكر الشاميّة إلى القاهرة ، ولمّا

[٢٠٩ ب] قاربا القاهرة ، جهّز من تلقاهما ، ودخلا القاهرة / وطلعا إلى القلعة (٥) وحضر قضاة مصر والشام والخليفة وأمراء مصر والشام ، وعساكرهما ، وحلف الناس للناصر أحمد ، والفخري واقفٌ مشدود الوسط ، وبيده عصا محتفلاً بالأمر غاية الاحتفال ، لم يُدَعْ في أمره ممكناً .

---

(١) النجيبية : مدرسة ملاصقة للمدرسة النورية وضريح نور الدين الشهيد ، من جهة الشمال . درست وتحولت إلى دور سكن . أنشأها أقوش بن عبد الله الأمير الكبير جمال الدين النجيبي (٦٠٩ – ٦٧١ هـ) حسب قول الذهبي في تاريخه – حوادث سنة ٦٧٧ هـ علم فيها العلامة شمس الدين بن خلكان (الدارس ١ / ٤٦٨ وخطط الشام ٦ / ٩٠) .

(٢) طيبغا حاجي : أحد الأمراء بدمشق بعد أن كان رئيس نوبة الجمدارية بالديار المصرية . اعتقل بعد إمساك تنكز ، ثم أفرج عنه قبل موت الناصر ، وولي نيابة حلب ومات سنة ٧٤٣ هـ (الدرر ٢ / ٣٣٢) .

(٣) طينال الأشرفي ، الحاجب ، أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون ، ولي نيابة طرابلس سنة ٧٢٦ ثم غزة ثم دمشق سنة ٧٤١ ثم صفد أيام الملك الصالح إسماعيل فمات فيها سنة ٧٤٣ هـ (الوافي ١٦ / ٥١٦ والدرر ٢ / ٣٣٤ وخطط المقريزي ٢ / ٧٦ دار طينال) .

(٤) هو طرنطاي البشمقدار الناصري الذي ولاه الفخري نيابة حمص (الدرر الكامنة ٢ / ٢١٧ – ترجمة طرنطاي رقم ٢٠١٠) .

(٥) أي قلعة الجبل . تقدم التعريف بها ص ٨٩ ج٢ .

ولم يكن غيّرهُ ينهض بما نهض به ، ثم إنه أخرج أيْـدُغـمُش (١) إلى حلب وآل ملك (٢) إلى حماة ، والأحمدي (٣) إلى صفد ، وآقسنقر الناصري (٤) إلى غزّة ، ورتّب طَشْتَمَر (٥) في نيابة مصر ، وأخرج الفخريَّ بعدَ الجميع إلى دمشق نائباً ، فلمّا قارب العريش (٦) لحقه ألطنبغا المارداني في ألفي فارس لإمساكه ، فلما أحسّ بذلك ، فرّق ما معه ، وهرب في نفرٍ قليل من مماليكه ولحق بأيْدُغمُش ، وهو نازل على عين جالوت (٧) مستجيراً به . فأكرم نزوله ، وفي الليل أمسكه وقيّده ، وجهّزَه إلى مصر مع ولده ، ولما بلغ الناصر أحمد إمساكه ، أمسك طشتمر (٨) نائب مصر ، وأخذه معه ، وتوجّه به إلى الكَرَكِ وجهّزَ من تسلم الفخري من أيدغمش ، ولحقه به إلى الكرك / واعتقلهما بالكَرَك مدّةً ، ثم أخرجهما وضرب أعناقهما ، [٢،١٠ آ]

---

(١) من ولاة دمشق . يأتي بعد قليل .

(٢) في الأصل المخطوط : « والملك » . تصحيف . والتصحيح من خطط المقريزي ٢ / ٣١٠ وآل ملك : هو الأمير سيف الدين الحاج آل ملك . أصله مما أخذ أيام الملك الظاهر من كسب (الأبلستين) لما دخل بلاد الروم سنة ٦٧٦ هـ . ترقى في الخدمة إلى أن صار من كبار الأمراء المشايخ رؤوس المشورة أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون . ولما وصل الناصر أحمد إلى السلطنة أخرجه إلى نيابة حماة . وفي زمن الصالح إسماعيل قدم إلى مصر ، وبقي مدة ، ثم أصبح نائباً عن السلطان في مصر . مات بالإسكندرية خنقاً سنة ٧٤٧ هـ (الدرر الكامنة ١ / ٤١١ – الترجمة ١٠٦٤ وخطط المقريزي ٢ / ٣١٠ – جامع آل ملك) .

(٣) هو بيبرس الأحمدي . انظر الدرر الكامنة ١ / ٥٠٢ – الترجمة ١٣٧٢ وخطط المقريزي ٢ / ٥٢ والسلوك ٢ / ٣ / ٥٦٧ وصفحات أخرى)

(٤) تقدم التعريف به ص ٢٤٨ج٢ .

(٥) تقدم التعريف به ص ٢٤٧ج٢ .

(٦) تقدم التعريف بالعريش ص ٣٣ج١ .

(٧) عين جالوت : تقدم التعريف بها ص ١٥٦ج٢ .

(٨) تقدم ص ٢٤٧ ج٢ .

وأمر أهل الكرك ، فنهبوا حريم طشتمر ،وحَريمَ الفَخْريِّ ، وسَبَوْهُنّ فتألم الناس لذلك . فأما طَشْتَمر فإنه هَلِعَ وجَزِعَ ، وأما الفخري فلم يَهَبِ الموتَ ، وقال للمتوكلين به : بالله قَدِّموني قبل أخي (١) فإن أخي ماله ذَنْبٌ؛ وجاء الخبرُ إلى دمشق بقتلهما في أول المحرم سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة (٢) . وقلتُ أنا فيه :

سَمَتْ هِمّةُ الفَخْرِيِّ حتّى تَرَفّعَتْ
على هامةِ الجَوزاء والنَّسْرِ بالنَّصْرِ

وكانَ به لِلملكِ فَخْرٌ فخانَه الز
مانُ فأضحى مُلْكُ مِصْرٍ بلا فخري

* * *

(الأمير سيف الدين أَلِلْمِش)

(ونابَ للفَخْري بغير لَبْسِ
أَلِلْمِشُ الحاجبُ مع بَيْبَرسِ (٣))

حتّى أتى إلى دمشقَ وانقلبْ
أيدغَمشٌ النائبُ نحو حلبْ

الأمير سَيْفُ الدين أَلِلْمِش ، أمير حاجب (٤) بدمشق . كان

---

(١) يقصد طشتمر المتقدم الذكر .

(٢) مقتله في الدرر الكامنة سنة ٧٤٣ هـ .

(٣) سقط هذا البيت من الأصل المخطوط ، أخذناه من الأرجوزة في أمراء دمشق ص ١٦٣ .

(٤) ترجمته في الوافي بالوفيات ٩ / ٣٧ — الترجمة ٤٢٩٥ والدرر الكامنة ١ /٤١٠ — الترجمة ١٠٦٢ .

الأمير سيف الدين تنكز قد جهزه إلى جَعْبَر (١) نائباً ، ثم إنه بعد ذلك كتب فيه إلى السلطان ، وجعله أميرَ حاجب دمشق فأقام بها من سنة تسع وثلاثين وسبعمائة إلى أن مات / في ذي القعدة سنة ست وأربعين [٢١٠ ب] وسبعمائة .

وكان ساكناً عاقلاً وادعاً محتشماً .

لما توجّه الفخريُّ بالعساكر إلى مصر ، وذلك في واقعة الناصر أحمد ، جعل الأمير سيف الدين أَلِلْمِش أميرَ حاجب ، والأمير ركن الدين بيبرس الحاجب نائبي غيبة بدمشق ، وكانا يدبّران الأمور ، ويطالعان السلطان بالأخبار والمتجددات ، إلى أن حضر الأمير علاء الدين أَيْدغْمشُ أمير آخور (٢) نائب حلب ، وأقاما على ذلك مدة تزيد على أربعة أشهر ، وأما الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب فقد تقدمت ترجمته (٣) .

* * *

أيام الأمير علاء الدين أيْدُغْمُش

وبعده أتى إليها أيْدُغْمُشْ
ولَجَدْهُ فيها يكاد يُفْرَشُ

---

(١) جعبر : قلعة على نهر الفرات ، مقابل صفين التي كانت فيها الوقعة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، وكانت تعرف أولا بدوسر ، فتملكها رجل من بني نمير يقال له جعبر ابن مالك فغلب عليها فسميت باسمه (معجم البلدان ٤ / ٣٩٠) . وهي بين بالس والرقة ، وتتبع اليوم محافظة الرقة في الجمهورية العربية السورية ، وقلعتها غمرتها المياه بعد إنشاء سد الفرات ، وكانت ملحقة بناحية مريبط التي غمرتها المياه أيضاً .

(٢) الآتي توا .

(٣) صفحة ٢٤٤ .

فجاءه الموتُ بها فُجاءَهْ
وبَثَّ من حياته رَجاءَهْ

وهو الذي قام على قوصونا
وحدَّ من أعطافه الغُصونا

الأمير علاء الدين أَيْدَغْمُش الناصري . أمير آخور (١) ، وكان من مماليك الطباخي(٢) وقرَّبه السلطان الملك الناصر وجعله أميرَ آخُوره ، [٢١١١ آ] وأقام في الوظيفة زماناً لأنّه تولّاها بعد الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب (٣) ،إلى أن أُخرج من مصر . ولما جرى لألْطُنْبُغا ما جرى وقارب دخولُه مصر ، اتفق الأمراء الخاصَّة مع أَيْدغْمُش (٤) على قوصون ، فوافقهم على ذلك ولولاه ما جسروا على ذلك ، وأمر الحَرافيش (٥) فنهبوا إسطبله وخزائنه وخانقاته (٦) ، ونهبوا دُوْرَ مماليكه وأصحابه . وكان عنده ذهب عظيمٌ وسلاحٌ وغير ذلك ،فنُهب الجميع وتمزّق . وأُبيع الدينار في القاهرة بعشرة دراهم، لكثرة ما نَهَبَ الناسُ .

---

(١) ترجمته في الوافي بالوفيات ٩ / ٤٨٨ – الترجمة ٤٤٥٢ وفي خطط المقريزي ٢ / ٤٥ والدرر الكامنة ١ / ٤٢٦ وولاة دمشق ١٨٥ .

وأمير آخور : هو الذي يتولى شؤون اسطبل السلطان . وانظر ص ٢٤١ ج٢ .

(٢) الطباخي: تقدم التعريف به ص ٢٥٨ ج٢ وفي الدرر : « قلبان الطباخي » .

(٣) مر قبل قليل .

(٤) تفاصيل الخلافات بين قوصون وأيدغمش في بدائع الزهور ١ / ١ / ٤٨٨ – ٤٩٤

(٥) الحرافيش : الزعر العياق ، وهم أدنى مراتب العامة ، لا عمل لهم ثابتاً ، وهم متعطلون ، والمنخرطون مع الحرامية . (إغاثة الأمة ص ٧٢ – ٧٣ ومعيد النعم السبكي ص ١٤٣ و ١٧٢) .

(٦) الخانقاه : ويقال خانكاه ، والجمع خوانق أو خوانك : كلمة فارسية معناها بيت أو الموضع الذي يأكل فيه الملك، وحدثت في الإسلام في حدود سنة ٤٠٠ هـ ليتفرغ فيها المتصوفون للعبادة (دوزي) وانظر خطط المقريزي ٢ / ٤١٤ .

وهو كان السبب في أمر السلطان النّاصر أحمد (١) . ولما ملّكَ (٢) ولاّه حلب ، ولم يزل بها إلى أن تولىّ الصالح إسماعيل (٣) ، فرَسَمَ لأَيْدَغْمِش بنيابةدِ مَشْقَ ، فأتى إليها يوم الخميس عشرين صفر سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ، وأقام بها إلى ثالث جمادى الآخرة (٤) ، كان ذلك يوم الثلاثاء . فركب بكرةً على العادة ، وأطعم طيوره ، ونزل وقعد في دار السعادة (٥) ، وقُرئت عليه القِصص / وأكل وعلّم [١١١ ب ٢] على فُوَطه العَلائم ، وعرضَ طلبة والمضافين ، فقدّم جماعة وأخّرَ جماعةً . وقعد هو ورَمْلَة بنُ جمّازٍ (٦) يتحدثان ، فسمع حِسّ جماعةٍ من جَواريه في الدور ، فأخذ العصا ودخل إليهن ، وضرب واحدةً منهن ضَرْبتين ، وسقط ميتاً ، فأمهلوه إلى بكرة الأربعاء ودفنوه

(١) أي السبب في توليه السلطنة .

(٢) أي السلطان الناصر المذكور .

(٣) هو الملك الصالح ابن الملك الناصر . واسمه إسماعيل بن محمد بن قلاوون ، علاء الدين ، من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. بويع بالسلطنة بمصر بعد خلع أخيه الناصر أحمد سنة ٧٤٣ . مات بالقاهرة سنة ٧٤٦ هـ / ١٣٤٥ م . (الأعلام ١ / ٣٢٣ والدرر الكامنة ١ / ٣٨٠ والوافي بالوفيات ٩ / ٢١٩ وبدائع الزهور ج ١ ق ١ ص ٤٩٨ — ٥٠٦) . ولقبه في بدائع الزهور عماد الدين، وفيه أنه السادس عشر من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية ، والرابع ممن ولي السلطنة من أولاد الناصر محمد بن قلاوون . وقد رثاه الصلاح الصفدي .

(٤) في ولاة دمشق والدرر في الرابع من جمادى الآخرة .

(٥) تقدم التعريف بدار السعادة ص ١٤٩ ج٢ .

(٦) هو رملة بن جماز بن محمد بن أبي بكر الطائي ، أمير آل علي ، أمره الأشرف حين أمسك مهنا بن عيسى ، وقلد ابنه جماز مكانه حين مات . ولما مات جماز أمر الناصر ولده هذا وهو صبي ، فحسده أعمامه ، وسعوا جهدهم لعزله ، ولكن الناصر لم يمكنهم من ذلك . (الدرر الكامنة ٢ / ١١١) .

خارج ميدان الحَصى (١) . وكان يكثّر من الخِلع : من سلّم عليه قال : أَعْطُوه خِلْعَة . وكان مدةُ ولايته في حلب وفي دمشق نِصْفَ سنة .

* * *

أيام الأمير طُقُزْتمر

ثمّ أتى مِنْ حَلَب طُقُزْ تمر
وكشَفَتْ عن وجهها له الخُمُرْ

حتّى اختلاها غادةً حسناءَ
قد فَتَرَتْ مُقْلتَها الوَسْناءَ

وسار عنها وهو في مِحَفّهْ
ولم تكن مَنُونُه مُحَفّه

فمات من وجدٍ على فِراقُها
وما وفى العِدّة مِنْ طَلاقها

وكان قد نابَ بمصرٍ وحَلَبْ
وفي دمشقَ وحماةٍ فَحَلَبْ

---

(١) في خطط المقريزي ٢ / ٤٥ : « وشرع في الضربة الثالثة فسقط ميتاً » وفي الدرر الكامنة ١ / ٤٢٧ : « يقال إنه لبس خلعة السلطان يوم الاثنين ثالث الشهر ، وركب بها في الموكب فأصبح ميتاً ، فيقال إنها كانت مسمومة ولما مات ظنوا أنه اعترته السكتة القلبية ، فدخل إليه الأمراء والأطباء واختبروا حاله فلم يظهر لهم شيء فتركوه يوماً ، ثم صلوا عليه يوم الأربعاء » . ودفن قبلي جامع القبيبات في حمى الميدان ، على الطريق . (ولاة دمشق ص ١٨٥) .

وميدان الحصى تقدم التعريف به في حواشي الصفحة ٢٦ من الجزء الثاني .

الأمير الكبيرُ سَيْفُ الدينِ طُقُزْتَمر الناصري (١) . كان أولاً من مماليك المؤيد إسماعيل (٢) صاحب حماة ، وقدَّمه / للسلطان الملك الناصري فحظي عنده ، ولم يزل مُعَظَّماً في كل طبقة لعقله وسكونه وعَدَمِ شَــرِّه . [٢١٢ آ]

نص الملك الناصرُ (٣) عليه عند موته أن يكون ابنُه أبو بكر (٤) السلطانَ ، وأن يكونَ طُقُزْتَمر نائبَه بمصر . ولما ثارت الفتن بمصر وخُلع أبو بكر ، وتولّى كُجُك (٥) ، طَلَبَ الخروجَ من مصر . وسأل نيابةَ حَماة ، فأعطوه حَماة . فجاء إليها ، ولم يزل بها إلى أن توجّه مع الفخريِّ بالعساكر . ولمّا خلت حلَبُ من أيدغمش طلب نيابة حلب ، فجاءها وأقام بها ، إلى أن مات أيدغمش . فرسَمَ له بنيابة دمشق . فجاء إليها في نصف شهر رجب سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ، وأقام بها مدة .

---

(١) ترجمته في الدرر الكامنة ٢ / ٢٢٥ والنجوم ١٠ / ١٤٢ وأمراء دمشق ٤٦ والبداية والنهاية ١٤ / ٢١٦ وولاة دمشق ١٨٦ من إعلام الورى ص ١٨ – رقم ١٩ وخطط المقريزي ٢ / ١١٦ والوافي ١٦ / ٢٤٥ والسلوك ٢ / ١ / ٦٢٠ و ج ٣ ق ٣ ص ٦٩٨ وبدائع الزهور ١ / ١ / ٥٠٧ وهو في إعلام الورى والخطط والسلوك وبدائع الزهور (طقز دمر) .

(٢) هو إسماعيل بن علي ، الملك المؤيد ، عماد الدين ، أبو الفداء بن الأفضل ابن الملك المظفر ابن الملك المنصور صاحب حماة ، تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شادي . مات سنة ٧٣٢ هـ ، وتملك بعده ابنه الأفضل محمد . (الوافي ٩ / ١٧٣) .

(٣) هو الملك الناصر محمد بن قلاوون .

(٤) هو أبو بكر بن محمد بن قلاوون ، السلطان الملك المنصور ابن السلطان الملك الناصر ابن السلطان الملك المنصور . أوصى له أبوه بالملك بعده دون أخيه الملك الناصر أحمد . وكان أحمد أكبر منه سناً . جلس على تخت السلطنة سنة ٧٤١ ثاني يوم من وفاة أبيه ، قتله متولي قوص ، وحمل رأسه إلى قوصون سنة ٧٤٢ هـ (الوافي ١٠ / ٢٥٠ والدرر ١ / ٤٩٢ .

(٥) هو الملك الأشرف كجك . تقدم ص ٢٨٠ ج٢ .

وسيّر الملكُ الصالحُ إليه ملكتمر الحجازي (١) فخطب ابنته فأجاب لذلك ، وكان السلطان الملك المنصور (٢) مزوَّجاً بابنته الأخرى ، فهو حَمُو سلطانين

ولما توفي الصالح إسماعيل (٣) جاءه الأمير سيف الدين بَيْغرا (٤) وحلّفه للملك الكامل (٥) ، وبعد ثلاثة أيام أو أربعة حضر إليه بيبغارُوس (٦) يطلبه إلى مصر ، فاعتذر بضَعفه / وسأل الإعفاء ، ثم بدا له وخرج في مِحَفّةٍ وهو يَتحسّر على دمشق ، ودخل بيته في مصر ، ولم يطلعَ إلى القلعة فأقام خمسة أيام . [٢٠١:٢ ب]

وتوفي — رحمه الله — في تاسع جُمادى الآخرة سنة ست وأربعين وسبعمائة .

* * *

---

(١) هو ملكتمر الحجازي الناصري : اشتراه الناصر وأحضر إليه وعلى رأسه فوطة زهرية وقباء تتري فلقب بالحجازي . أمسكه المظفر لما تخيل منه سنة ٧٤٨ هـ فكان ذلك آخر العهد به (الدرر ٤ / ٣٥٨ والسلوك ٢ / ٣ / ٧٥٥ .

(٢) أبو بكر . المتقدم الذكر .

(٣) تقدم قبل قليل .

(٤) هو الأمير بيغرا الناصري . كان من الأمراء المقدمين بعيد وفاة الناصر محمد ابن قلاوون ، ثم استقر نائب السلطنة ، ثم ولي الحجوبية أيام الملك الكامل وغيرها . . . مات في شوال سنة ٧٥٤ هـ والدرر ج ١ / ٥١٤ وفي السلوك ٢ — صفحات كثيرة أيام الكامل ومن قبله الناصر أخبار كثيرة عن نشاط بيغرا ومهماته . وفي الأصل المخطوط : « شغرا » تصحيف .

(٥) هو سيف الدين شعبان بن محمد بن قلاوون .

(٦) هو الأمير سيف الدين بيغا آروس نائب السلطنة بمصر ، شاع ذكره في الأيام الصالحية ، وكان خاصكياً في حياة الناصر ، اعتقل في البلستين وقتل عام ٧٥٤ هـ (الوافي ١٠ / ٣٥٦ والدرر ١ / ٥١١) .

أيام الأمير سيف الدين يَلْبُغا اليحياوي

ثمَّ أتى لها الأميرُ يَلْبُغا
وَنالَ فيها من عِداه ما بَغى

لكنّها أَخْنَتْ عليه آخرا (١)
وصار في قاقونَ عَظماً ناخِرا (٢)

وكان قد قام بخلع الكامِلِ
وسَعْدُهُ في ذاك خَيْرُ كافِلِ

وصَحَّ ما أراده في الأُولى
وراحَ فيما بَعْدَها مَخْذولا

وفرَّ من عَجْزٍ إلى حماةِ
فخانه الزمانُ في الثِّقاتِ

فَرَدَّهُ في قَيْدِهِ مُكبَّلا
والسَّيفُ ضمَّ نَحْرَهُ وقَبَّلا

وكان ذا وجهٍ كَبَدْرِ التَّمِّ
ومِعْطَفٍ مُثَقَّفٍ بالضَّمِّ

---

(١) في الأصل المخطوط : « أخرى » تصحيف . والتصحيح من أمراء دمشق ص ١٦٤

(٢) قاقون : قال ياقوت في معجم البلدان ٤ / ٢٩٩ : حصن بفلسطين قرب الرملة ، وقيل : هو من عمل قيسارية من ساحل الشام . وهي اليوم قرية في ظاهر مدينة طولكرم الواقعة في منتصف السهل الساحلي الفلسطيني على الخط الحديدي الواصل بين حيفا وسيناء . وتبعد عن طولكرم ٧ كم إلى الشمال الغربي ، دمرت في الحروب الصليبية . ثم عمرها بيبرس. ثم دمرها إبراهيم باشا ، ثم هدمها اليهود سنة ١٩٤٨ م وأقاموا على أراضيها المستعمرات منها مستعمرة روفين (معجم بلاد فلسطين ٥٩٠ – ٥٩١) .

وَلُطْفُهُ أرَقُّ مِن نَسِيمِ
وخُلْقُهُ كالرَّاحِ والتسنيمِ (١)

كأنَّما يبسم عن أقاحِي (٢)
وفَرقُهُ يُسْفِرُ عن صَبَاحِ

الأمير سيفُ الدين يَلْبُغا اليحيوي النّاصري (٣) .

كان من أكبر الخاصكيّة (٤) ، ولم يكن عند أستاذه (٥) مثله . وكانت / الإنعامات التي تصلُ إليه من السلطان لم يَفْرَحْ غيرُه بمثلها . [٢٢١،٣ آ] يطلق له الخيولَ بسروجها ولُجُمها وكنافيشها : الزركش (٦) خمسة عشر فرساً ، خمسة عشر فرساً . والأكاديش (٧) من الجشار (٨) ما بين مائتين . ويجهز إليه التشاريف : الأطلس والحوايص (٩) الطُّرُز الزَّرْكَش .

---

(١) التسنيم : ماء في الجنة .

(٢) الأقاح : جمع أقحوان أو قحوان : نبات أوراق زهره مفلجة صغيرة ، ويشبهون به الأسنان ومن أجمل زهور الحدائق بألوانه وأشكاله المتعددة . يزهر أواخر الخريف والشتاء :

(٣) ترجمته في الدرر الكامنة ٤ / ٤٣٦ والنجوم الزاهرة ١٠ / ١٨٥ وولاة دمشق ١٨٨ وإعلام الورى ١٩ وخطط المقريزي ٢ / ٧١ والسلوك ٢ / ٣ / ٧٥٥ وأمراء دمشق في الإسلام ص ١٠٠ ويقال له اليحياوي .

(٤) الخاصكية : من يختص بهم السلطان ، وانظر مزيداً من التفصيل في الصفحة ١٧٣ ج٢ .

(٥) أستاذه : هو الملك الناصر أحمد بن محمد بن قلاوون .

(٦) الكنافيش ، أو الكنابيش : جمع (كنفوش) : بردعة الحصان ، توضع تحت السرج . لفظ عامي (دوزي) . ويطلق أيضاً على السرج وآلته . وانظر السلوك ١ / ٤٥٢ – ح٢ وإعلام الورى ص ٧٩ – حاشية ٣ .

والزركش : قماش مطرز مزركش (دوزي) .

(٧) الأكاديش : جمع (كديش) وهو نوع من الخيل غير العراب ، أصله من بلاد الترك والروم ، ويعرف في القرون الوسطى بالأكديش (صبح الأعشى ، ومتن اللغة) .

(٨) الجشار : الخيل والأبقار التي تساق مع الجيش (ولاة دمشق ص ١١٧ –ح ١) .

(٩) الحوايص : المناطق . جمع حياصة : ما يتمنطق به . .

حكى لي الحاجُّ حُسين أستادداره قال : جرى يوماً بين يدي السلطان ذِكْرُ عشرين ألفَ دينار ، فقال يَلْبُغا : والله ياخَوَنْد أنا عمري ما رأيتُ عِشْرِيْنَ ألفَ دينارٍ ، فلما خرج من عنده طلب ناظرَ الخاصِّ (١) وقال : احْضِرْ ليَ الساعةَ خَمْسةً وعشرين ألف دينار ، وخمسةَ تَشاريف وطُرُزَها ، وكَلوتاتِها (٢) وحَوائصَها . فلمّا أحضر ذلك قال : احمل التّشاريف إلى يلبغا وقل له : إذا أتاك الجمداريّة (٣) بالذّهب اخْلَع عليهم هذه التشاريف ؛ وطلب خمسةً من الجَمَداريّة وقال : توجهوا بهذا الذهب إلى يَلْبُغا . انتهى.

بنى له الاسطبل في سوق الخيل تحت قلعة الجبل (٤) . وكان هو بنفسه يهندس العِمارَة ، ولما فَرَغَ مَدَّ فيه سِماطاً عظيماً ، وأنعم على أمراء الدولة / بتشاريفَ وخُيول . [٢١٣ ب]

ولما مَرِض السلطان (٥) ومات ، كان يَلْبُغا ومَلَكْتَمر الحِجازي (٦) يُمرِضانه .

---

(١) ناظر الخاص : هو الذي يتولى النظر في أموال السلطان الخاصة . وانظر مزيداً من التفصيل في الصفحة ٢٦٥ ج٢ .

(٢) الكلوتة : لباس الرأس . انظر حواش صفحة ٢٤١ ج٢ .

(٣) الجمدار : الذي يتصدى للباس السلطان أو الأمير وثيابه ، وأصله (جامدار) وهو مركب من لفظين فارسيين : أحدهما (جاما) ومعناه الثوب،والثاني (دار) ومعناه ممسك فيكون المعنى (ممسك الثوب) (نهاية الأرب ٨ / ٢٠٥ – ح ٣ والمختار من صبح الأعشى ٣ / ٢٩٧) أما في تكملة المعاجم العربية لدوزي ج ٢ ص ٢٦٧ – حاشية ٨٩٧ فهو الذي يحمل المرآة أمام الملك حتى يلبس ثيابه .

(٤) بالقاهرة .

(٥) الناصر محمد بن قلاوون .

(٦) تقدم قبل قليل .

ثم إنّ يلبغا سأل من الصالح (١) أن يكون نائباً بحماة ، فأمر له بذلك فأتاها وأقام بها .

ولما مات ألطنبغا المارداني (٢) نائب حلب توجّه (٣) يلبغا اليها .

ولما طُلب طقزتمر (٤) إلى مصرفي أيام الكامل (٥) رُسم ليلبغا بنيابة دمشق . فدخلها يوم السبت ثاني عشر جُمادى الأولى سنةَ ستٍّ وأربعين وسبعمائة .

ولمّا أمسك الملك نائب صفد (٦) سنة سبع وأربعين وسبعمائة ، استوحش يَلَبُغا ، وبرز إلى الجُسورة ظاهرَ دمشق ، وأقام هناك أياماً ، وأتاه نائب حمص البشمقدار ، وأراق نائب صَفد ، وأسندمر نائب حماة (٧) ، والبدري نائب طرابلس (٨) واجتمع الجميع عنده بظاهر دمشق ، وأجمعوا على خلع الكامل(٩) وكتبوا إليه

(١) هو الملك الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون . تقدم التعريف به ص ٣٦٨ .

(٢) تقدم ص ٢٥٥ ج٢ .

(٣) في الأصل : « وتوجه » خطأ .

(٤) تقدم قبل بضع صفحات .

(٥) الملك الكامل هو سيف الدين شعبان بن محمد بن قلاوون .

(٦) نائب صفد : هو الأمير سيف الدين أراق الذي يقال له الفتاح لأنه كان يتولى فتح السجن الذي يعتقل فيه الأمراء . أخرجه السلطان الناصر محمد نائباً إلى صفد سنة ٧٣٣ هـ . ثم إلى دمشق أميراً ثم إلى غزة نائباً ، ثم إلى حلب ، ثم إلى صفد ، ثم إلى دمشق ثانية ، أقيل منها سنة ٧٤٧ هـ (الوافي ٨ / ٣٣٢) .

(٧) تقدم صفحة ٢٧٩ ج٢ .

(٨) هو سيف الدين بيدمر البدري . أحد المماليك الناصرية ، ولي نيابة طرابلس ثم نيابة حلب في سلطنة المظفر حاجي . قتل بغزة سنة ٧٤٨ هـ . (الدرر الكامنة ١ / ٥١٣) .

(٩) وهو سيف الدين شعبان بن محمد بن قلاوون .

بذلك . فقام أمراء مصر عليه وخلعوه . وأقاموا المظفر حاجي (١) مكانه.
فأقر يلبغا على نيابة دمشق . ثم إنه ورد إليه الخبر بإمساك ستة أمراءَ
من مصر ، وهم آقسنقر الناصري (٢) / والحجازي (٣) ، وقرابغا [٢١٤آ]
السباقي صهر يلبغا (٤) ، وأيْتَمِش (٥) ، وبزلار (٦) . فأما الحجازي
وآقسنقر فإنّهما قُتلا (٧) في الوقت . وجهّز البقية إلى إسكندرية

---

(١) هو المظفر حاجي بن محمد بن قلاوون ،السلطان المظفر ، سيف الدين ابن السلطان الملك الناصر . ولقبه زين الدين ، تسلطن بعد أن خلع أمراء مصر أخاه السلطان الكامل سيف الدين شعبان سنة ٧٤٧ . ذبحه قواده بعدما ساءت سيرته في ١٢ رمضان سنة ٧٤٨ / ١٣٤٧ م . (خطط المقريزي ٢ / ٢٤٠ ، الوافي ١١ / ٢٣٧ ، الأعلام ٢ / ١٥٣ وفيه أنه لقب بالحاجي لأنه ولد في طريق عودة أبيه من الحج سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م ، والدرر ٢ / ٣ — الترجمة ١٤٧٦ والنجوم ١٠ / ١٤٨ والبداية ١٤ / ٢١٩ وبدائع الزهور ١ / ١ / ٥١٣ والشذرات ٦ / ١٥٢) .

(٢) تقدم ص ٢٤٨ ج٢ .

(٣) ملكتمر : تقدم ص ٢٦٢ ج٢ .

(٤) كان دوادار أرغون شاه نائب دمشق . تقدم عنده حتى كان لا يخالف له أمراً مات بالطاعون سنة ٧٤٩ هـ (الدرر ٣ / ٢٤٤ والبداية والنهاية ١٤ / ٢٢٨ — حوادث سنة ٧٤٩ .

(٥) ذكره المصنف مع الولاة . يأتي ص ٢٨٣ ج٢ .

(٦) بزلار العمري : كان من مماليك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ، ثم تقدم بعده وولي نيابة دمشق . مات في قلعة دمشق سنة ٧٩١ وهو مسجون بها (الدرر ١/٤٧٦) .

(٧) جاء في بدائع الزهور ج ١ قسم ١ في حوادث سنة ٧٤٧ ما يلي : « فلما كان يوم الاثنين طلع سائر الأمراء من المقدمين والطبلخانات والعشروات ، فلما أن باتوا بالقصر ، دخل عليهم بعد المغرب جماعة من المماليك السلطانية وبأيديهم سيوف مسلولة وأطيار ، وكانوا نحو خمساية مملوك ، فلما دخلوا قبضوا على جماعة من الأمراء منهم : الأمير آقسنقر والأمير ملكتمر الحجازي والأمير قرابغا القاسمي ، والأمير أيتمش بن عبد الغني والأمير بزلار العمري والأمير صمتار . قيل إن الأمير آقسنقر ، لما أرادوا أن يقبضوا عليه بالقصر ، جرد سيفه وقصد نحو السلطان ليقتله فمسكه الأمير شجاع الدين اغرلوا ، وأخذ سيفه من يده وقبض عليه . فلما قبضوا على هؤلاء الأمراء ، قيدوهم وأرسلوهم إلى السجن بثغر الاسكندرية . وأما الأمير آقسنقر والأمير ملكتمر الحجازي فحبسهم السلطان في البرج بالقلعة ،فلما دخل الليل،أمر بخنقهما ، فخنقا تحت الليل ودفنا ولم =

وجاءه كتاب السلطان يُعَرِّفه ما جرى ويُطَيِّبُ خاطِرَه . فكتب الجَوابَ بالدعاء . واجتمع بأمراء دمشق وعرَّفهم ما جرى ، وكتب إلى نواب الشام على العادة الأولى ، وخرج إلى القصر ، ولم يَدَعْ في دار السعادة إلا الحريم . فجاءه الأمير سيف الدين أراي (١) يطلبه إلى مصر . وقال بفمه لأمراء دمشق : يا أمراء ، نائبكم الأمير سيف الدين أرغون شاه نائب حلب ، فتحللت العزائم عنه . فطلع إلى الجُسورة على العادة ، فلما كان بعد صلاة الجمعة اجتمع الأمراء بسوق الخيل تحت علْم السلطان ؛ وكانت المُلْطفاتُ (٢) قد جاءت إلى الأمراء ، وقصدوه إلى قبته ، فلّما رأى أوائلهم هرب منه هو والأمير سيف الدين قلاوون وناصر الدين محمد بن جمق وتبعه الأمير علاء الدين علي بن

=يشعر بهما أحد من الناس. ومن العجائب أن هؤلاء الأمراء كانوا سبباً لسلطنة الملك المظفر حاجي فأخذوا من الجانب الذي كانوا يأمنون إليه فكانوا كما يقال في المعنى :

ربما يرجو الفتى نفع فتى ... خوفه أولى به من أمله

رب من يرجو به دفع الأذى ... سوف يأتيك الأذى من قبله

بينما جاء في الدرر ج ٤ ص ٣٥٨ أن ملكتمر الحجازي أمسكه المظفر لما تخيل منه سنة ٧٤٨ هـ وكان هذا آخر العهد به .

(١) نائب الكرك ، تنقلت به الأحوال إلى أن صار أمير اخور . مات سنة ٧٥٧ هـ (الدرر ١ / ٣٤٧)

(٢) الملطفات : كتب سرية تكتب على كاغد (ورق) لطيف تلف وتختم ثم توضع في مكان خفي كنصاب سكين ، أو سواك ، أو عصا ونحو ذلك ، يجوف داخلها ، وتوضع فيه وتسلم إلى من أرسلت إليه سراً (ولاة دمشق لدهمان – ص ١٦٤ – ح ٢) . وهناك نوع آخر من الكتب يطلق عليه اسم المطلقات ، وهي ما يرسله السلطان من رسائل هامة إلى نوابه بمصر أو الشام سراً . وهي ثلاثة أنواع : المكبرة والمصغرة والبرالغ (مفرده برلغ) ويصدر النوع الثالث إذا كان الأمر متعلقاً بما يجب عمله نحو قادم عظيم من البلاد الإسلامية المجاورة (السلوك ج ٢ ق ١ ص ٩٣ – ح ٢) .

طغربك (١) أمير حاجب والعسكر فأوصلوه إلى ضُمَيْر (٢) ، وعادوا؛ وكان العَرَبُ قد / أنكوه ، ومَنَعُوه الماءَ والنوم ، فهلك هو [٢١٤ ب]
ومن معه مِنْ حمل الحديد وعدم الأكل . واختلف عليه مماليكهُ
فقال : بالله وسِّطوني (٣) أو اضربوا عنقي . ولما بلغني ذلك قلت :

تَفَرَّقَ شَمْلُ السَّعْدِ عن يَلْبُغا
وقد بغى وغَدا في عكسه مُتَوَرِّطا

فقال له السيفُ الذي شُدَّ وَسْطَه
وقد بالغ الأعرابُ في الجَوْرِ والسَّطا

فقال له مماليكه : أنتَ قلتَ لنا إنَّ نائب حَماة (٤) معك ، فتوجَّهْ
بنا إليه ، فعرَّج إلى حَماةَ ، فطلع نائبُ حماة وتلقّاه ، ودخل به إلى
حَماة . ثم إنّه أمسكه والذين معه وقيّده وقيّد أباه وجهزهما إلى مصر ،
فلما وصلا إلى قاقون (٥) تلقاهما الأمير سيف الدين مَنْجَك (٦)،

---

(١) كذا الأصل واسمه في الدرر الكامنة٣/٥٦علي بن طغريل الحاجب بدمشق .كان أحد من كاتب السلطان في أمر يلبغا اليحياوي ، وساق وراءه إلى أن ألجأه إلى حماة . مات بالطاعون بالقاهرة سنة ٧٤٩ هـ .

(٢) الضمير : قال ياقوت الحموي : موضع قرب دمشق ، قيل : هو قرية وحصن في آخر حدود دمشق مما يلي السماوة . لما ذكر في شعر المتنبي (معجم البلدان ٣ / ٤٦٣) وهي اليوم بلدة تابعة لمحافظة ريف دمشق على الطريق المؤدي إلى تدمر فدير الزور . تبعد عن دمشق ٤٤ كم شمالا بشرق .

(٣) التوسيط : تقدم شرحه ص ٢٤١ ج٢ .

(٤) ويدعى قطليجا الحموي الجمدار – كان من أخصاء الناصر ، ولي نيابة حماة من سنة ٧٤٧ هـ ، فأساء السيرة ثم نقل إلى حلب ، ومات فيها سنة ٧٥٠ هـ – الدرر الكامنة ج ٣ ، ص ٢٥٥ – ترجمة – ٦٥٠ .

(٥) قاقون : تقدم التعريف بها ص ٢٦٣ ج٢ .

(٦) ذكره المصنف بين الولاة . سيأتي صفحة ٢٩٩ ج٢ .

فجهز أباه إلى مصر وخنق يلبغا وحزّ رأسه (١) . وجهزه إلى مصر .
ومما قلت أنا فيه :

إنّ في يَلْبُغا الكل تَبيب
عِبْرةً أصبحتْ على الدَّهْر تُتْلى

ما يُساوى العز الذي قد رآه
في دمشقٍ بِذُل قاقونَ أصْلا

وقلتُ فيه أيضاً :

ألا إنما الدنيا غُرُورٌ وباطلٌ
فطوبى لمن كَفّاه منها تَفَرّغا

[٢٢١٥ أ] / وما عَجَبي إلا لِمَنْ باتَ واثقاً
بأيّامِ دَهْرٍ ما رَعَتْ عَهْدَ يَلْبُغا

وقلتُ فيه أيضاً :

دعِ الدَّهر يُعْلي مَنْ أراد إلى السُّها
ودافِعهُ مِنْ وَقْتٍ لِوَقْتٍ وجُزَّهْ

فقد نال منه يَلْبُغا فوق ما ابتغى
وقصتُه تُجْلى (٢) على المتنزّهْ

---

(١) سنة ٧٤٨هـ وآخر جمادى الأولى – الدرر الكامنة ج ٤ ، ص ٤٣٧ – ويقول ابن اياس : إن رأسه علق على باب زويلة مدة ثلاثة أيام (بدائع الزهور – ج ١ ، ق ١ ، ص ، ٥١٥) .

(٢) كذا الأصل : ولعلها (تحكى) .

وأنــزل مــن عنــد الثــريــا إلــى الثــرى
وأمســكه صِــرْفُ الــرّدى فــي مَحَزَّهْ

وألْحَفَــــه العَيْــشُ الغَــليــظ رداءَه
عــلى لطــف معنــاه ورقّــةِ بَــزِّهْ

فــلا سَعْــدَ إلا مــا رأينــاه نــالَــه
ولا ذُلَّ إلا مــــا رأى بعــــد عِــزِّهْ

وكان من أحسن الأشكال كأنّما تبسم عن سِمْطَيّ (١) لؤلؤ ، وفيه لُطفٌ وذَوق ، يحب أهلَ العلم والقرآن ، وكان كريماً لايَرُدُّ مَنْ سأله ، وإخْوَتُه ودَواداره أمراءٌ . وابنه وأبوه وجماعةٌ من ألزامه ومماليكه أمراء طَبلخانات (٢) .

وعَمّر الجامعَ بسوق الخيل بدمشق (٣) ، وغَرِمَ على أساسه جُملةً كثيرةً ، وقال : لو لم تتم عِمارَتُه بِعتْ سَيفي وقِبائي وكَمّلْتُ

(١) السمط : الخيط ما دام الخرز أو اللؤلؤ منتظماً فيه . الجمع : سموط .

(٢) تقدم التعريف بالطبلخاناه صفحة ٢٧١ ج٢ .

(٣) ويسمى باسمه (جامع يلبغا) وكان من الجوامع المشهورة بدمشق . يقع إلى الشمال الغربي من قلعة دمشق ، ويطل من الشمال على ساحة المرجة (أو الشهداء) التي يخترقها نهر بردى وكان مكانه تلا يشنق عليه المجرمون . بدأ العمل ببنائه في أواخر ذي الحجة سنة ٧٤٧ ولم يكمل إلا في رمضان سنة ٧٥٧ ، وقد جدد مرات كان آخرها سنة ١١٧٣ هـ إثر الزلزال المشهور . وتبلغ مساحته ٤٧٢٠ م ٢ منها ١٢٥٨ م ٢ مساحة الحرم ، و ٣٤٦٢ م ٢ مساحة الصحن ، وكان له ثلاثة أبواب : باب الفرج من الشمال ، وباب المنزه من الغرب ، وباب الخلق من الناحية الشرقية (ويشرف على سوق الخيل) (انظر خطط دمشق للعلبي ص ٣٦٢ - ٣٦٤ وولاة دمشق لدهمان ١٩٠) . وقد عمدت وزارة الأوقاف مؤخراً إلى هدمه سنة ١٣٩٥ هـ ، ورغم مرور مدة طويلة على هدمه مع ما جاوره من دكاكين لم ينته العمل حتى اليوم (سنة ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م) من بناء أساس بناء يقام مقامه .

عِمارتَه . وأشتهي أن يَكْمُل وأصلّي فيه ركعتين ، فما صلّى فيه . ولا كَمُلَتْ عِمارته إلا بعد موته بمدةٍ مَديدة .

* * *

[٢١٥ ب] الأميرُ سَيْفُ الدينِ أَرْغُونْ شاه

ربعد ذا أرغون شاه جاءَها
فساءَه الدَّهْرُ كما قد ساءَها

وفُصِلَتْ هامَتُه عن جَسَدِهْ
حتى رَثَى العَدوُّ بعد حَسَدِهْ

عادى رجالاً نام عن مُرادِهم
فلم يناموا مِنْ لَظى أَحقادِهِمْ

والنَّوْمُ بين ما ضِغَيْن مِنْ أَسَدْ (١)
خيرٌ من النوم بقَلْبِ ذي حَسَدْ

لأنّهُم جاؤوا له بالقصرِ
وأخرَجوه في الدُّجى (بالقهر) (٢)

وفعلوا به الذي أرادوا
وكان ما قد دبّروا وكادوا

---

(١) أمراء دمشق ١٧٣ « والنوم فيما بين ما ضغني أسد »

(٢) في أمراء دمشق : (بالقسر) .

وكـــان فـــي أيّـــامــــه الغــلاءُ
وآبَ بعــــد ذلــك الــوبــاءُ

الأمير سَيْفُ الدِّين أرغون شاه الجمِدار (١) ، رأس نوبة الناصري (٢) . كان في أيام أستاذه شريكاً للأمير سيف الدين أرغون العلائي (٣) في رئاسة الجَمَدارِيّة (٤) . وكان تزوج بابنة آقبغا عبد الواحد (٥) .

ولما خرج الفَخريّ (٦) إلى حصار الكَرَك (٧) ، كان معه في جملة المندوبين لذلك . وحظي عند الملك الكامل (٨) فجعله أستاذ داره (٩) ، وزادت حظوته عند المظفر حاجي (١٠) . ثم إنه أخرج لنيابة صفد (١١) فَدبَّرَهَا جيداً ، ثم طُلب إلى مصر ، ورُسِمَ له بنيابة حلب ، عوضاً عن الأمير سيف الدين بَيْدَمر البَدري (١٢) [٢١٦ ٢]

(١) ترجمته في الوافي بالوفيات ٨ / ٣٥١ – الترجمة ٣٧٨٧ والدرر الكامنة ١ / ٣٥٠ وإعلام الورى ص ٢٠ وولاة دمشق ١٩٦ والسلوك ٢ / ٣ / ٨٠٠ – ٨٠٣ .
(٢) رأس النوبة : لقب الذي يتحدث على مماليك السلطان أو الأمير ، وتنفيذ أمره فيهم ، والجمع (رؤوس نوب) : (صبح الأعشى ٥ / ٤٥٥ ، النجوم الزاهرة ١١ / ٢٢٧)
(٣) كان من مماليك الناصر ، وكان رأس نوبة الجمدارية (أصحاب ثياب السلطان) عنده ، اعتقل في دولة المظفر حاجي ، وقتل سنة ٧٤٨ هـ (الدرر ١ / ٣٥٣ والسلوك ٢ / ٣ / ٧٥٦) .
(٤) تقدم التعريف بالجمدار صفحة ٢٦٥ج٢ .
(٥) تقدم التعريف به ص ٢٢٨ ج٢ .
(٦) الفخري قطلوبغا : تقدم الحديث عنه ص ٢٤٨ج٢ .
(٧) الكرك : تقدم التعريف بها ص ١١٥ج١ .
(٨) تقدم ص ١٢٩ج٢ .
(٩) تقدم الحديث عن الأستاددار ص ١٥٢ج٢ .
(١٠) تقدم ص ٢٦٧ج٢ .
(١١) تقدم الكلام عن صفد ص ١٦٦ج٢ .
(١٢) تقدم ص ٢٦٦ج٢ .

ودخل دمشق دخولاً عظيماً ، وتوجّه إلى حلب ، ولما جرى لِيَلْبُغا ما جرى حضر هو إلى دمشق بُكْرَةَ الثُّلاثاء سابعَ عشر جُمادى الآخرة سَنَةَ ثمانٍ وأربعينَ وسبعمائة . وكان ذاك الغلاء ، واختطف الحَرافيشُ (١) الخبزَ من الجوع ، فأمسك جماعةً فقطع أيديهم ، وسَمَّر على الجِمال سبعةً . فقلت في ذلك :

كـــان الغـــلا يغـــلو فأمّـــا إذا
أصْبَـــحَ نَـــاراً قُلْـــتُ ذا يغلـــي

وأصبـــحَ الحُـــرْفُـــوشُ ذا كَسْـــرةٍ
مـــن طلـــب الكِســـرة فـــي شُـــغْلِ

مَـــنْ يَطْلُـــبِ الخبـــزَ ومَـــنْ يشتهي
وهـــو بقطـــع اليـــد والـــرِّجْـــلِ

ولما كان الوباءُ سَنَةَ تسعٍ وأربعين وسبعمائة ، خرج إلى المَرْج وبقي هناك مدةً تزيد على الشهر ، ثم دخل إلى المدينة ، ومات أخوه الأمير سيف الدين أباجي (٢) ودَواداره قَرابُغا (٣) وكان عنده جراءة لاتتجزأ فقلتُ :

يـــا رَبِّ أنـــتَ اللطيـــفُ صُـــنعـــاً
تَفْعَـــلُ فـــي الخَلْـــق مـــا تَشـــاءَ

ثَـــلاثُ غَيْـــنـــات احتـــوتنـــا
الغَـــمُّ والـــغَبْـــنُ والغَـــلاءَ

---

(١) تقدم الكلام على الحرافيش ص ٢٥٨ ج٢ .

(٢) وكذا في السلوك ٢ / ٢ / ٣٥٢ ، واسمه في النجوم الزاهرة ١٠ / ٢٧٤ (أياجي)

(٣) تقدم التعريف به ص ٢٦٧ ج٢ .

/ مـآلُهـا (١) فـي الـورى ثـلاث [٢١٦ ب]

الفكـرُ والفقـرُ والفنـاءُ

يـا ربِّ (فامنُن) بـراءِ رِفْـقٍ

يتبعـهـا الـرزقُ والـرَّخـاءُ

ولم ينل أحدٌ من السعادة ما ناله في دمشق ، وحَصَّل شيئاً كثيراً من الذهب والجوهر ، وما تمكن أحدٌ بعد تنكز تَمَكُّنَه . يكتب إلى مصر بكل ما يريده في حَلَبَ وطَرابلس وحَماة وصَفَد من نَقْلٍ وإضافة ، وإمساكٍ وإقطاعٍ وعزل وولايةٍ ، فلا يُردُّ في شيءٍ من ذلك . وكان إذا غضب لايقوم شيءٌ لغضبه ، وبعد ذلك يرجع ويرضى .

ولم يزل على حاله إلى أن حضر ألْجيُبغا (٢) الخاصكي نائب صفد (٣) يوم الخميس ثالث عشر مِن ربيع الأول سنة خمسين وسبعمائة ، واتفق هو وفخر الدين إياز (٤) وجاءا إليه (٥) وهو نائم

---

(١) في الأصل : « قالها » تصحيف .

(٢) ألجيبغا : كان من أمراء المشورة عند الناصر حسن ، ثم ولي نيابة طرابلس ، واحتال على قتل أرغون شاه نائب دمشق ، قتل سنة ٧٥٠ هـ (الدرر الكامنة ١ / ٤٠٦) . وهو في بدائع الزهور ١ / ١ / ٥٣٤ (جيغا) .

(٣) في الدرر وبدائع الزهور : نائب طرابلس .

(٤) الأمير ، السلاح دار الناصري ، كان أرمنياً وأسلم على يد الناصر محمد بن قلاوون ثم تقلب في مناصب عدة ، قبض عليه في دمشق زمن سلطنة الناصر حسن بعد أن أغرى ألجيبغا بالعصيان ، ووسط الاثنان معاً في سوق الخيل ، وعلقا على خشبة بحضور العساكر الشامية سنة ٧٥٠ هـ ، وكان قد حاول الهرب بزي راهب فلم يفلح . (الوافي ٩ / ٤٥٩ والدرر ١ / ٤٢٠)

(٥) أي إلى أرغون شاه .

في القصر ، ودقّا عليه الباب ، وأخرجاه من فراشه ، وتوجها به إلى دار فخر الدين إياز ، وقيّداه بقيدٍ ثقيلٍ ، ونقلاه إلى زاوية المُنَيْبع (١) . فأقام هناك يوم الخميس إلى المغرب ، ودخل إليه مملوكه الذي يخدمه فوجده مذبوحاً والسكين في يده (٢) . فأوقفوا عليه نائب / قاضي القضاة ، وأقام ألْجِيْبُغا بالقصر الأبلق (٣) إلى يوم السبت . [٢١٧ آ] بعد ما أخذ الجواهر التي كان قد حصّلها أرغون شاه .

وكان قد جاء ألجيبغا وفعل هذه الفعلة ، وأصبح بكرة النهار من الغلس (٤) أحضر الأمراء ، وادّعى أنه فعل ذلك بأمر السلطان . وأخرج لهم كتاباً يتضمن إمساكه ، وكان الكتاب زُوْراً فمشت القضيّة على الأمراء . ولمّا ذُبح وأُخذ هو الجوهرُ ارتاب الأمراء ولبسوا السلاح ، وجاؤوا إلى القصر وحاربوه . وجعل ألجيبغا يكابرهم ، ثم إنه خَطَم(٥) فيهم بمماليكه ، وهرب بعد ما قُطِعَت يد الأمير سيف الدين ألجيبغا العادلي ، وجُرِح جماعةٌ من العسكر ، وانهزم معه الأمير فخر الدين إياز (٦) ، وتوجّها إلى طرابلس ، ثم إنّ أَمْرَهما شاع ، ولم يَقَرّ لهما بطرابلس قرار ، وأمسك فخرُ الدين

---

(١) المنيبع : من متنزهات دمشق قديماً ، كان له زاويتان ، ومكانه اليوم بناء جامعة دمشق القديم المطل على نهر باناس وأرض معرض دمشق الدولي (انباء الغمر – مجلد ١ص ٣٩٠ – ج ٣) .

(٢) تفاصيل مقتله في بدائع الزهور ١ / ١ / ٥٣٤ – ٥٣٥ وفي الدرر ١ / ٤٠ رواية أخرى لمقتل أرغون شاه .

(٣) تقدم التعريف به ص ٢٥٣ ج٢ .

(٤) الغلس : ظلمة آخر الليل .

(٥) خطم : مر بسرعة .

(٦) في السلوك ١ / ٣ / ٨٠٠ « إياس » .

إيازُ في البِقاع وأُمسك ألجيبغا . وورد المرسوم من مصر بأن يوسَّطا (١) ففعل بهما ذلك ، وعُلِّقا على نهر بردى بدمشق (٢) .

---

(١) التوسيط : تقدم الكلام عنه ص ٢٤١ ج٢ .

(٢) جاء في بدائع الزهور ج ١ قسم ١ ص ٥٣٤ رواية أخرى حول مقتل ارغون شاه هي : (وفيها — اي في سنة ٧٥٠ هـ — وردت الأخبار من دمشق بأن أرغون شاه نائب الشام قد قتل تحت الليل ؛ وكان سبب ذلك أن الأمير جبغا نائب طرابلس دخل دمشق وصحبته جماعة من عسكر طرابلس ، وكان أرغون شاه نائب الشام مقيماً بالقصر الأبلق الذي في ميدان دمشق ، فدخل عليه الأمير جبغا نائب طرابلس فوجده نائماً ، فهجم عليه وقيده ، وسجنه بقلعة دمشق . فلما طلع النهار ، طلب الأمير جبغا قضاة دمشق والأمراء ، فلما حضروا أخرج لهم مرسوم السلطان بالقبض على ارغون شاه نائب الشام ، فعند ذلك سكن ما كان من الاضطراب بين الناس بدمشق ، وظنوا أن ذلك صحيح ، ثم ان الأمير جبغا احتاط على موجود ارغون شاه جميعه .

فلما كانت ليلة الجمعة رابع عشر من رجب شاعت الأخبار بمصر ، أن أرغون شاه نائب الشام ، وجد مذبوحاً وهو في السجن ، ولا يعلم من ذبحه ؛ فأحضر الأمير جبغا القضاة والأمراء ، وكتب الأمير جبغا صفة محضر ، بأن أرغون شاه نائب الشام وجد مذبوحاً في السجن ولا يعلم من ذبحه .

ثم فشا الكلام بين أهل دمشق ، بأن هذا كله من فعل الأمير جبغا ، فكثر الكلام في حق الأمير جبغا بذلك ، فتعصب لثأر أرغون شاه جماعة عسكر دمشق وحاربوا الأمير جبغا فانكسر ، وهرب ، وتوجه إلى نحو المزة ، وهي من ضياع دمشق فأقام بها أياماً ، ثم توجه إلى طرابلس .

فلما جرى ذلك ، أرسلوا أهل دمشق ، وكاتبوا السلطان بما وقع من أمر أرغون شاه نائب الشام ، فلما وصل الخبر إلى السلطان ، أنكر ذلك ، وحلف على مصحف شريف بحضرة الأمراء أنه لم يكن له علم بذلك ، ولا كاتب جبغا بقتل أرغون شاه نائب الشام ؛ ثم برزت المراسيم الشريفة إلى أمراء دمشق ، بأن يتوجهوا إلى طرابلس ويحاربوا جبغا نائبها .

فلما وصلت مراسيم السلطان إلى أمراء دمشق ، بأن تخرج إلى جبغا وتحاربه ، فخرج إليه عسكر دمشق قاطبة ، وتوجهوا إلى نحو طرابلس ، وحاربوا جبغا فانكسر وهرب فقبضوا عليه ، وأتوا به إلى الشام وهو أسير ، فكان دخوله إلى الشام من الأيام المشهودة .

وكان في مراسيم السلطان التي وردت من مصر بأن : (إذا ظفرتم بجبغا اشنقوه على باب قلعة دمشق) فلما ظفروا به شنقوه على باب قلعة دمشق وأقام معلقاً ثلاثة أيام لم يدفن ثم أنزلوه ودفنوه وخمدت الفتنة في دمشق بعد ما كانت أهل الشام نسبوا قتلة الأمير ارغون شاه إلى السلطان ولاموه على ذلك ، فظهرت براءة السلطان من ذلك . . .)

وقلتُ أنا في أرغون شاه :

[٢،١٧ ب] تَعَجّبْتُ من أرغونَ شاه وطَيْشه الـ
لذي كان منه لايُفيق ولا يَعي
وما زال في سُكْر النيابة طافحاً
إلى حين فاضَتْ نَفْسُه في المُنَيْبِع

وقلتُ في الأمير سيف الدين ألْجيبُغا :

لما بغى ألجيبُغا واعتلى إلى السُّها
في ذَبْحِ أرغون شاه
قبل انسلاخِ الشهرِ في جِلَّقٍ
عُلِّقَ من عُرْقوبَه مثل شاه

* * *

نيابة الغيبة بعد ذلك

(بدر الدين مسعود الخطير)

وابنُ الخَطيرِ نابَ فيها الغَيْبَهْ
وكانَ ذا رئاسةٍ وهَيْبَهْ
وكان في مصر أميرَ حاجبْ
وكان في غَزَّةَ خيرَ نائبْ
وبعد ذاك نابَ في طَرابُلُسْ
نيابةً يَرضى بها النَدبُ النَدِسْ (١)

(١) الندب : السريع إلى الفضائل ، الماضي النشيط ، والندس : الفطن الذكي .

هـذا مـع الحِشْمـة والأصـالـهْ
وشكـرِ مَـنْ يعـرفْ خِصالَـه

* * *

الأمير الأصيل بدر الدين مسعودُ بنُ أوحد الخطير (١) . ولد بحارة الخاطب (٢) بدمشق سنة ثلاث وثمانين وستمائة . وتوفي بدمشق يوم الثلاثاء سابع شوال سنة أربع وخمسين وسبعمائة .

أخذ العشرة بدمشق (٣) سنة ثلاث عشرة ، ووَلِيَ الحِجْبَةَ الصغرى (٤) سنة سبع عشرة وسبعمائة . / وقَرَّبه الأميرُ سيف الدين [٢١٨ آ] تنكز (٥) ، وأدناه ، ثم إنه جهّزه صُحْبَةَ أَسِنْدَمِر (٦) رسول جوبان (٧) إلى مصر ، فلمّا رآه السلطان أعجبه أدَبُه ، وحُسْنُ تأتّيه (٨) . فرسم له بالمقام بالقاهرة ، وجعله حاجباً وأعطاه طَبَلْخاناة(٩)

---

(١) ترجمته في الدرر الكامنة ١ / ٣٤٨ ووفيات ابن رافع ٢ / ١٦٢ وأمراء دمشق ٨٢ .

(٢) تقع حارة الخاطب جنوب حي مئذنة الشحم (الشماعين) جنوبي سوق البزورية . (خطط دمشق ٤٣٦) .

(٣) أي أصبح أمير عشرة فرسان .

(٤) أي تولى الحجوبية الصغرى.انظر التعريف بالحجوبية في حواشي ص٢٤٤ ج٢ .

(٥) تقدم قبل قليل .

(٦) تقدم ص ٢١٨ ج٢ .

(٧) هو جوبان المنصوري : كان من مماليك الأشرف . أمره الناصر بدمشق ، اختلف مع تنكز ، وجاء إلى القاهرة ، ثم عاد إلى دمشق . ومات بها سنة ٧٢٨ هـ . (الدرر الكامنة ١ / ٥٤٢) .

(٨) حسن التأتي للأمور : قصدها ومعالجتها برفق وحكمة .

(٩) انظر التعريف بالطبلخاناه ص ٢٧١ ج٢ .

ولم يزل بمصر حاجباً إلى أن أمسك ألْماس أمير حاجب (١) بمصر . فولاّه السلطان مكانه . وكان للسلطان إذ ذاك على حركة الصيد ، فأنعم عليه ، بجملة دراهم تقدير سبعين ألفاً . وقال له : استعن به على هذه الحركة .

ولم يكن بمصر إذ ذاك نائب ، فكان هو في منزلة النيابة (٢) . ولما أمسك الأمير سيف الدين تنكز ، رسم له السلطان بنيابة غزّة ، فخرج إليها وأقام بها تسعة أشهر ، ثم نقله إلى دمشق ، فحضر إليها في أيام ألطُنْبغا وأقام بها ، ولما اتفق قوصون (٣) نيابة الملك الأشرف كجك (٤) طلبه إلى مصر . وجعله أمير حاجب ، وذلك في صفر سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة ، فأقام بها شهرين وعاد إلى دمشق ثانياً ، وأقام بها مدة وهو أكبر / مُقدمّي الألوف (٥) . ثم إنه رسم له بنيابة غزّة ، فتوجّه إليها في شهر رجب سنة سبع وأربعين وسبعمائة . ولم يزل بها إلى أن جرى لِيَلْبُغا اليحياوي ما جرى . فرسم له بنيابة طرابلس ، فتوجّه إليها في جُمادى الآخرة،وعاد منها إلى دمشق في أوائل شعبان سنة تسع وأربعين وسبعمائة . لأنه عزل منها بألجيبغا الخاصكي ، ولما خلت دمشق من النائب بها بقتل أرغون شاه ، رسم له بسدِّ النيابة غَيْبَةً (٦) ، وكانت كُتب السلطان ترد عليه . ثم رُسِمَ له بالعود إلى طرابلس ، فتوجّه إليها في جمادى الأولى سنة

[٢،١١٨ ب]

---

(١) تقدم ص ٢٥٦ ج٢ .
(٢) تقدم التعريف بالنيابة ص ٢٤٥ ج٢ .
(٣) قوصون : تقدم ص ٢٤٢ ج٢ .
(٤) تقدم ص ٢٤٧ ج٢ .
(٥) المقدم : لقب على الذي يتولى أمر المماليك السلطان .
(٦) تقدم الحديث على نيابة الغيبة ص ٢٥٦ ج٢ .

خمسين وسبعمائة . ولم يزل بها إلى أن طُلِبَ إلى مصر ، فدخل دمشق نهار عيد الفطر سنة إحدى وخمسين وسبعمائة . ولما وصل إلى الرَّمْـلَة رُسِمَ له بالعَوْدِ إلى دمشق ، فعاد إليها وأقام بها بغير إقطاع . ثم أعطي إقطاع الأمير سيف الدين نُوروز . ولم يزل على ذلك إلى أن توجّه مع أرغون الكاملي إلى لُدّ . وعاد إلى دمشق في واقعة بيبغاروس / ، (١) ورسم له السلطان بنيابة طرابلس ثالثاً . وجاءه [٢١٩ آ] تقليده مع طُقْـطَاي الدوادار (٢) ، وهو على لُدّ ، وتوجّه مع العساكر إلى حلبَ صحبةَ الأمير سيف الدين شيخو ، وسيف الدين طاز . ولمّا كانوا بحلب ، استعفى من نيابة طرابلس ، وحضر مع العساكر إلى دمشق في عيد شهر رمضان وحمل الجِتْرَ (٣) على رأس السلطان الملك الصالح (٤) بدمشق . ولما توجّه السلطان من دمشق ، فَوَّض

---

(١) انظر تفاصيل الواقعة في بدائع الزهور ١ / ١ / ٥٣٩ وخطط المقريزي ٢ / ٧٣

(٢) كان من مماليك الناصر فعمله جمداراً (متولي لباس السلطان) . ثم أضافه إلى يلبغا اليحياوي ، فتغلب على يلبغا ، تقلب في مناصب عدة اعتقل بالإسكندرية ثم أخرج إلى طرابلس ومات بها سنة ٧٦٠ هـ (الوافي ١٦ / ٤٧٠ الترجمة ٥١١ والدرر ٢ / ٢٢٦ والنجوم ١٠ / ٣٣٤) .

(٣) الجتر : المظلة في عهد المماليك ، ومن يحملها ويقوم على خدمتها وشؤونها يسمى حامل الجتر . وهذه المظلة ، ويقال لها القبة أو الطير ، وهي على هيئة قبة من الحرير الأصفر المزركش ، على أعلاها صفة طائر من فضة مموهة بالذهب تحمل على رأس الملك حين أخذه الملك ، وفي العيدين ويحملها الأمير الكبير أو أخو السلطان أو ولده ، وفي مملكة الشام ونيابة حلب يحملها نائبها يوم دخول السلطان ، ولا يحق لأحد استعمالها في المواكب إلا السلطان . (إعلام الورى ص ٢٦٧ — حاشية ٣ عن كتاب حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين ، لابن كنان الدمشقي) .

(٤) هو الملك الصالح صالح بن محمد . أقيم بعد أخيه الملك الناصر بدر الدين ، أبو المعالي حسن بن محمد سنة ٧٥٢ هـ ، وكان مبتذلا ثار عليه الأميران شيخو وطاز وسجناه بالقلعة سنة ٧٥٥ هـ ومات سنة ٧٦١ هـ / ١٣٦٠ م (خطط المقريزي ٢ / ٣٤٠ والدرر الكامنة ٢ / ٢٠٣ — الترجمة ١٩٧٢ ووفاته فيه سنة ٧٦٢ والأعلام ٣ / ٢٨٠) .

إليه نيابة الغَيْبة فسدَّها قريباً من ثلاثة أشهر ، إلى أن توفي؛ رحمه الله(١) وكان خيّراً ساكناً متواضعاً ، يكرم أصحابه ويهدي إليهم ، ويتودد إليهم . ولاينسيء أحداً من أصحابه بمصر والشام . وقد طوَّلتُ ترجمته في تاريخي الكبير (٢) ، وذكرت فيه مَرْثيةً وكتاباً كتبتُه عن نائب الشام ، ومن أبيات المرثية :

أَخْلَيْتَ أفقَ دِمَشْقٍ من سناك فَطَـرْ
فُ النّجْـمِ ما بين تَصويبٍ وتَصْعيدِ

تبكـي الكواكـبُ بَـدْراً كـان يُؤْنِسها
بِنُـورِه ثـم أضـحى تحـت جُلْمـودِ

أبقـى بنيـه رُواةَ الجـودِ عنـه لنـا
فنحن في سَنَدٍ فيـه ابنُ مَسْـعودِ (٣)

* * *

(١) في الدرر الكامنة ٤ / ٣٤٨ أنه مات في شوال سنة ٧٥٤ هـ ، أرخه جماعة من الدمشقيين ، ووقع في الوفيات لشيخنا العراقي أنه مات في شوال سنة ٧٤٩ هـ وهو وهم وأظنه أعاده في سنة ٧٥٤ هـ على الصواب ، ثم عرفت سبب الوهم ، فان الذي مات سنة ٧٤٩ هـ أخوه محمود كما تقدم في ترجمته – فلعل قوله في سنة ٧٤٩ مسعود سبق قلم وإنما هو محمود . – وفي وفيات ابن رافع ج ٢ ، ص ١٦٢ ترجمة ٦٥٦ : أنه توفي في دمشق ، ودفن بقاسيون يوم الثلاثاء في سابع شوال من سنة ٧٥٤ هـ .

(٢) تاريخ الصفدي الكبير هو كتاب (الوافي بالوفيات) .

(٣) يريد بابن مسعود الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ، الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٨٤٨ حديثاً .

(أيام الأمير سيف الدين أيْتَمِش)

/ ثـم أتـاهـا نائبـاً أيْتَمِـشُ [٢١٩ ب]
ولم يَـزَلْ مِـنْ أُنْسِهـا يَسْتوحِـشُ

وكـان فيـه كـرمٌ إن أودعـه
فـي أحـدٍ فقـد أصـاب مَـوْضِعَـهْ

وفيـه مـع هـذا سـكونٌ زائـد
ودينـه إلـى هُـداه قـائـدْ

الأمير سيف الدين أَيْتَمِشُ الجُمدار الناصري (١) . أمّرَهُ السلطان فيما يُقارب سنة أربع وعشرين وسبعمائة . وتولّى الوزارة في أيام الصّالح إسماعيل(٢) ، وعزل منها . وولي الحُجُوبيّة بمصر . وكان زائد السكون ، كثيرَ الأدب ، يضبط أمر نفسه فيما له من المصروف . ولا يتكل فيه على كاتب . ومع ذلك : كان كثير الإحسان إلى مَنْ يخدمه .

ولمّا مات أرغون شاه ألزمه أربابُ الحَلّ والعَقْد بنيابةِ الشام ، فتَعلّقَ واستعفى ، فأكرهوه على ذلك . ودخل دمشق في نفرٍ قليلٍ في حادي عشر جُمادى الآخِرَة سنة خمسين وسبعمائة . وأقام بها لايَرُدّ مَرسوماً ، ولا يَعْزِل ولا يُولي ، يطلب السلامة بذلك ، ولم

---

(١) ترجمته في الوافي بالوفيات ٩ / ٤٨٢ والدرر ١ / ٤٢٤ وولاة دمشق ص ٢٠٣ وإعلام الورى ص ٢٠ .

(٢) تقدم ص ١٢١ ج٢ .

يزل بها إلى أن خُلع السلطانُ الملكُ الناصرُ حَسَنُ (١) في المرة الأولى ، وتولى الملك الصّالح صالح . فحضر إليه الأمير سيف الدين بزلار(٢) وحلّفه .

[٢٢٠ أ] / ثم إنه بعد ذلك طُلب إلى مصرٍ ، فخرج من دمشق يوم الخميس ثالث عشر شهر رجب الفَرْد سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة ، وخرج العسكر معه إلى الجسورة . ودخل مصر ،وقبّل الأرض بين يدي السلطان ، وتوجّه للسلام على الأمير سيف الدين قبلاي (٣) نائب مصر ، فأمسكه وجَهّزه إلى إسكندرية ، ثم أفرج عنه بعد مدة يسيرة .

وجُهز إلى صفد بطّالاً ، إن اشتهى يحضر الخدمة ، وإن اشتهى لايحضر ، ويركب لنفسه ، وينزل متى أراد ، فأقام بها إلى أن حضر بيبغاروس (٤) إلى دمشق ، وقد خرج على السلطان ، فطلبه وأحضره غَصْباً ، فأقام عنده ، وكان يَصدّه عن أشياء كثيرة من الفساد .

ولمّا وصل السلطان إلى دمشق ، وأراد العود إلى مصر ولاّه نيابة طرابلس . فتوجّه إليها في أوائل شوّال سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ، وأقام بها إلى أن توفي في سَلْخِ شهر رمضان المعظم سنة خمس وخمسين وسبعمائة .

* * *

---

(١) هو الملك الناصر حسن بن محمد الناصر بن قلاوون . ولد سنة ٧٣٦ هـ وتوفي سنة ٧٦٢ هـ (الأعلام ٢ / ٢٣٣ النجوم ١٠ / ١٨٧ والدرر ٢ / ٣٨ والوافي ١٢ / ٢٦٦ والبداية ١٤ / ٢٢٤ وبدائع الزهور ١ / ١ / ٥١٩ – ٥٢٣ والبدر الطالع ١ / ٢٠٧) .

(٢) تقدم التعريف به ص ٢٦٧ ج٢ .

(٣) الناصري : ولي نيابة الكرك ، ثم الحجوبية في أيام الناصر حسن بالقاهرة ، ثم النيابة أيام الصالح صالح . ومات سنة ٧٥٦ هـ (الدرر الكامنة ٣ / ٢٤٣) .

(٤) تقدم ص ٢٦٢ ج٢ .

أيام الأمير سيف الدين أرغون الكاملي

/ وجاءها أرغون أعني الكاملي [٢٢٠ ب]
ووجهُه كبدر تمٍّ كاملِ

وقَدُّهُ مِثْلُ القضيبِ النّاضرِ
مَرَّتْ عليه تسعةٌ من حاجرِ (١)

فما استراحَ في حِماها يوما
ولا استلذّ من أذاها نَوْما

ويَلْبُغا أزعجه لمّا خَرَجْ
وضاق منه ذَرْعُه مِن الحَرَجْ

ورامَ أن يَغْدو له مُوافِقا
فقال لا تَنْظُرَنِّي منافقا

لأنّ للسلطانِ عنديَ بَيْعَة
في عُنُقي فما ترى فيَّ ضَيْعَه

ومَنْ يخون العهدَ والأَيمانا
لايعرفُ الإسلام والإيمانا

ففاز بالشكر وبالذكر الحسن
وراحَ في حياته مُرْخى الرَّسَنْ

وحُزَّ رأس يَلْبغا لَدَيْه
إذ صار رَهْنَ الذُّلِّ في يديهِ

---

(١) حاجر : قرية على خمسة أميال من المدينة النبوية المنورة .

الأمير سيف الدين أرغون الكامليّ (١) ، أول ما أنشأه الملك الصالح إسماعيل ، وزوّجه أختَه من أمه ، بنت الأمير سيف الدين أرغون العلائي (٢) . وكان يعرف تلك الأيام بأرغون الصغير ، فلما تولّى السلطان الملك الكامل شَعبان (٣) اصطفاه وأحبّه ، وأمر بأن لايدعى إلا بأرغون الكاملي ، وأعطاه إمرة مئة ، وقدّمه على ألف ، ولما مات

[٢٢١ آ] / قطليجا الحموي نائب حلب (٤) ، ولاّه الملك الناصر حلب ، فدخلها يوم الثلاثاء خامس عشر شهر رجب الفرد سنة خمسين وسبعمائة . وعمل النيابة من أحسن ما يكون من الحرْمة والمهابة ، وخافه التركمان ؛ ومشت الأحوال فيها . ولما كان في واقعة أحمد الساقي (٥) نائب صفد ، أُمر هو وغيره بحفظ الطرقات وغيرها ، فبرز أرغون الكاملي إلىقَدَيتا(٦) فأرجف الناس بإمساكه ، وهرب منه جماعة من الأمراء ، وأمروا الناسَ بنهبه :

وجرت له خطوب . وآخرُ أمره جاء في ثلاثة مماليك إلى حمص . وجاء الأمير ناصر الدين محمد بن بَهادُر أص ، نائب حمص معه إلى دمشق . ولمّا دخل على نائب دمشق الأمير سيف الدين أَيتمش ،

---

(١) ترجمته في الوافي ٨ / ٣٥٦ والدرر ١ / ٣٥٢ وولاة دمشق ص ٢٠٤ وإعلام الورى ٢١ ، وخطط المقريزي ٢/ ٧٣ – دارأرغون الكاملي وأمراء دمشق ص ٨ .

(٢) تقدم قبل قليل ص ٢٧٣ج٢ .

(٣) تقدم ص ١٢٩ج٢ .

(٤) تقدم ص ٢٦٩ج٢ .

(٥) كانت وقعة أحمد الساقي مع بيبغاروس في رجب سنة ٧٥٣ ﻫ (الدرر الكامنة ١ / ٤٩٠ – ترجمة بكلمش الناصري رقم ١٣٠٩) .

(٦) قرية تقع في الشمال الغربي من صفد ، على بعد ٥ كم . دمرها اليهود سنة ١٩٤٨ م وأخرجوا سكانها (معجم بلدان فلسطين ص ٦٠٢) وهي في معجم البلدان ٤ / ٣٢٠ (قرتيا) تصحيف . وفي الأصل المخطوط : « قربا »

حلّ سيفه . يعني ، أنه تحت الطاعة فأكرمه وأقام عنده يوماً وليلة ، وكتب معه إلى السلطان شفاعة ، وجهّز معه الأمير سيف الدين ألدمر السّليماني (١) ، فأقبل السلطان عليه وأعاده إلى حلب ثانياً ، وأعاد معه طَشْبغا الدوّادار (٢) إلى حلب / فتوجّه إليها وأقام بها . [٢/٢١ ب]

ولما عزل أيتمش من نيابة دمشق ، رُسِم له بمكانه فيها ، فوصل إلى دمشق نهار الاثنين حادي عشر شعبان سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة . فأقام فيها ، وهو منكّدُ الخاطر ، لم يَصْفُ له فيها عيش ، وجهّز دواداره ، الأمير سيف الدين ططق (٣) بطلب الإقالة والإقامة بمصر لما شمّ الروائح من خروج بَيْبُغاروس (٤) . فما أجيب إلى ذلك . وجعل بَيْبُغاروس يجهّز إليه الرسُل والمشافهات بالاتفاق معه على ما يرومُه ، ويحلفُ له إنه ما يغيّره من نيابة الشام وهو يعده ويُمَنّيه . وقال له في الآخِر : أنا في عنقي بيعة للسلطان وأيمانٌ ما أَقْدِرُ أَنْقُض ذلك . فعند ذلك يَئِسَ منه .

فلما اتفق بيبغاروس نائب حلب ، وأحمد الساقي نائب حماة وبكلمش نائب طرابلس ، وجاؤوا بالعساكر ، وقارَبوا دمشق ، أخذ هو عسكر دمشق جَميعَه ، وتوجّه به إلى لُدّ وأقام هناك بعد ما حلف

(١) ترجمته في الدرر الكامنة ١ / ٤٠٧ — الترجمة ١٠٥ .

(٢) هو طشبغا الدوادار الناصري ، عمل الدوادارية في أول دولة الناصر حسن الأولى سنة ٧٤٨ هـ وتقلبت به الأحوال إلى أن توفي بدمشق بطالا سنة ٧٥٢ هـ (الدرر ٢ / ٢١٨)

(٣) الأحمدي : كان دوادار الأمير أرغون الكاملي بحلب ، ثم أمر في الدولة الكاملية ، ثم أخرجه الناصر حسن إلى طرابلس سنة ٧٥١ هـ . أصبح حاجباً أيام الصالح واستعفى منها ، وولي نيابة الرحبة أيام المنصور محمد بن المظفر سنة ٧٦٢ هـ . مات في ذي القعدة سنة ٧٦٣ هـ (الدرر الكامنة ٢ / ٢٢٠) .

(٤) تقدم ص ٢٦٢ ج٢ .

العساكر للملك الصالح ولنفسه في العشر الأول من شهر رجب الفَرْد سنةَ ثلاث وخمسين وسبعمائة / . ونزل بيبغاروس(١) بمن [٢٢٢ آ] معه على دمشق . وجرى ما جرى من خروج السلطان في العساكر المصرية . ولمّا علم بَيْبُغاروس ومَن معه ذلك [كان] أول من خامرَ زين الدين قَراجا بن دُلْغادر وتركمانه (٢) ، وأحسّ بيبغاروس بالخِذْلان ، وأنه لاطاقةَ له بالسلطان ، ولا يَسُلُّ أحد سيفاً في وجه السلطان ، هرب هو وأحمد الساقي (٣) ، وبَكْلَمش (٤) ، وتوجّهوا إلى ابنِ دُلْغادر (٥) ، فأمسكهم وقيّدهم ، وجهّز أحمدَ وبَكْلمش أولاً إلى حلب ، ثم جَهّز بعدهما بَيْبُغاروس ، هذا بعد ما دخل السلطان إلى دمشق ، وتوجّه الأمير شيخو (٦) والأمير طاز (٧)

---

(١) انظر الصفحات السابقة المتعلقة بواقعة بيبغاروس .

(٢) كذا الأصل . وهو قراجا بن دلغادر بن خليل التركماني ، أمير الأبلستين . كان معظماً عند تنكز ، وهو الذي غدر بأحمد الشهاب الناصري وبيبغاروس وبكلمش لما هربوا إليه فأرسلهم إلى السلطان كما ورد في النص هنا . ثم سار إليه أرغون الكاملي فهرب قراجا من الأبلستين والتجأ إلى أرتنا صاحب الروم فغدر به وجهزه إلى مصر ، وكان هذا آخر العهد به سنة ٧٥٤ هـ (الدرر ٣ / ٢٤٥)

(٣) سبق ذكره قبل صفحات .

(٤) بكلمش أمير شكار الناصري . وليها للناصر حسن ، ثم ولاه نيابة طرابلس سنة ٧١٥ هـ ، اعتقل بحلب وقتل وأرسل رأسه إلى الصالح عام ٧٥٤ هـ كما جاء في النص (الدرر ١ / ٤٩٠) .

(٥) في الأبلستين وكان أميرها . وهي من الثغور الإسلامية ببلاد الروم ، ويقال لها أيضاً بلستين ، وأبلستان والبستان (معجم البلدان ١ / ٧٥) وكان يطلق عليها اسم أرابيوس ، وموقعها في الشرق من قيصرية (في آسيا الصغرى) (بلدان الخلافة الشرقية ص ١٧٨ ومراصد الاطلاع ١ / ١٧) .

(٦) هو الأمير الكبير سيف الدين ، أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون وحظي عند الملك المظفر حاجي . تقلب في مناصب عدة . مات سنة ٧٥٩ هـ (خطط المقريزي ٢ / ٣١٣ ، الدرر ج ٢ ص ٢٣ والوافي بالوفيات ١٦ / ٢١١ والنجوم الزاهرة ١٠ / ٣٢٤ والشذرات ٦ / ١٨٣) .

(٧) هو سيف الدين طاز بن قطغاج ، الأمير : كان بداية تقدمه في دولة الصالح =

والعساكر إلى دمشق . وتوجّه الجميع صحبة السلطان إلى مصر ، ولمّا وصل أحمد وبكْلمش إلى حلب ، رسمَ السلطان بحزّ رؤوسهما ، وتجهيزهما إلى مصر ، ثم بعد ذلك وصل بَيْبغاروس فحُزّ رأسه في حلب ، وجُهِّز إلى مصر . وتوجّه بعد ذلك أرغون الكاملي بالعساكر الحلبيّة ، ورأى ابنَ دُلغادر ، وكابَدَ أهوالاً وشدائد ، حتى إنّه هرب منه ، وخرب / البُلُسْتين ، وهرب ابن أرتَنا(١) ؛ ثم إنّ ابنَ أرْتَنا ، جهّز ابنَ دُلغادر ، فقيدَه نائب حلب ، وجهّزه إلى مصر ، فَوُسِطّ (٢) . [٢/٢٢ ب]

ولما خُلع السلطان الملك الصالح صالح، وأُعيد الملك النّاصر حسن إلى الملك ، أخرج الأمير طاز إلى حلب ثانياً وطلب أرغون الكاملي إلى مصر ، فتوجّه إليها في تاسع صفر سنة ست وخمسين وسبعمائة ، فأُمسك بالقلعة . وجُهِّز إلى الإسكندرية وعنده زوجه إلى أن أفرج عنه . ورَسَم له بأن يكون مقيماً في القدس ، فحصل له ضَعْفٌ وثِقَلٌ في المرض ، وعُوفي بعد مدّة . وكان قد عزم على الحج ، فمرض ثانياً،وبطّل الحج؛ومات – رحمه الله – في خامس عشرين شوال سنة ثمان وخمسين وسبعمائة . ودفن في المكان المليح الذي عَمّره بالقدس

=إسماعيل، زادت وجاهته في أيام الناصر حسن . تولى نيابة حلب ، وحاول العصيان . قبض عليه ، وعميت عيناه ، واعتقل في الكرك ، ونقل إلى دمشق وأعطي طبلخاناه . مات سنة ٧٦٣ هـ (الدرر ٢ / ٢١٤ الوافي ١٦ / ٣٨٣ وخطط المقريزي ٢ / ٧٣ وولاة دمشق ٢١١ح ١ والنجوم الزاهرة ١٠ / ٢١٦ والسلوك ج ٢ – صفحات كثيرة) .

(١) هو محمد ياك بن أرتنا صاحب الروم . استقر في مملكة الروم بعد موت أبيه سنة ٧٥٣ هـ وهو صغير ، وقام بتدبير دولته علي شاه كردي . . . مات سنة ٧٨٠ هـ أو بعدها (الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٨٧ – الترجمة ١٠٠٢) .

(٢) تقدم التعريف بالتوسيط ص ٢٤١ ج٢ .

بجوار الحرم الشريف ، وقد استوفيتُ ترجمته في تاريخي الكبير (١) ، وقد كنتُ نظمتُ له قصيدةً أهنئُه فيها بظفره بأعدائه ، وهي مذكورة في تاريخي الصغير (٢) ، وقلتُ وقد حُزَّ رأسُ بيبغاروس :

[٢٢٣ آ] لاتَعْجَبوا من حلبٍ إذْ غدا ... أرغونُ فيها جبلاً راسي

من أجل هذا لم تَطِرْ فَرْحَةً ... وبيبغاروس بلا راسِ

وقد ذكرتُ أيضاً ترجمة بيبغاروس مستوفاة في تاريخي : « أعيان العصر وأعيان النصر » .

* * *

(الأمير سيف الدين ألْجيبُغا العادلي)

ونابَ في غيبتِهِ بالبلدِ ... ألْجِيبُغا الوافي له بالعَهْدِ

فصانها عن بيبغاروسِ ... فلم يَلِجْ في ربعها المأنوسِ

الأميرُ سَيْفُ الدين ألْجَيْبُغا (٣) العادلي مملوكُ الملكِ العادل

(١) يريد الوافي بالوفيات فهو فيه في الجزء الثامن ص ٣٥٦ .

(٢) يريد كتابه (أعيان العصر وأعوان النصر) بدليل قوله بعد قليل : « وقد ذكرت أيضاً ترجمة بيبغاروس . . . » .

(٣) ترجمته في الدرر الكامنة ١ / ٤٠٦ – الترجمة ١٠٤٦ والوافي بالوفيات ٩ /٣٥٥– الترجمة ٤٢٨٦ والدارس ٢ / ٢٢٧ . وهو في ذيل العبر الحسيني ص ٢٩٢ « ألجي بغاص » .

كُبُنْغا: أحدُ مُقَدَّمي الألوف بدمشق . وكان الأمير سيف الدين أرغون الكاملي ، لما أحسَّ بخروج بَيْبغاروس وأنه يقصد دمشق ، قد أجمع رأيه على أنه يتوجّه بالعساكر الشاميّة إلى مصر . واجتمع بالأمير سيف الدين ألجيبغا العادلي وأسرَّ إليه الحال ، وعاهدَه وحلّفَه لصاحب مصر . وتوجّه هو بالعسكر الشامي ، وأقام على لُدّ كما تقدَّم . وجعله نائب الغيبة ، فضبط أمر دمشق وحَماها . ومنع بيبغاروس من الدخول إليها . وشُكِرت همّته في ذلك ، وما اعتمده في نيابة الغَيبة . [٢/٢٣ ب]

ثم إنّه توفي في العشر الأول من شهر ربيع الآخرة سنة أربع وخمسين وسبعمائة .

* * *

(بدرُ الدين بنُ الخَطير)

وابْــنُ خَـطيرٍ نــابَ فيهــا ثــانيــاً
فــي مَــدّة زادت لـــــه تَمــاديـــا

الأمير بدر الدين مَسْعودُ بنُ الخطير . تقدَّم ذكره (١) . كان السلطان الملك الصّالح صالح لما جاء إلى دمشق في سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة . في واقعة بيبغاروس ، ومدبرُ الدولة يومئذ الأمير سيف الدين شيخو (٢) والأمير سيف الدين طاز ، وعادوا إلى مصر . واستقرّت دمشق بغير نائب ، لأنّ الأمير سيف الدين أرغون الكاملي ، استقر

---

(١) انظر الصفحة ٢٧٩ ج٢ .

(٢) كتب اسمه هنا أحياناً شيخوا . وقد تقدم قبل قليل .

في حلب ثانياً . ولمّا كانوا بها رُسِمَ للأمير بدر الدين مسعود بن الخطير أن يكون نائب الغيبة ، إلى أن يحضر النائب المستقل بذلك ، فبقي من أول شوّال إلى رابع ذي الحجّة من السنة الرابعة والخمسين يعمل نيابة الغيبة على أكمل ما يكون .

* * *

أيام الأمير علاء الدين أمير علي المارداني

ثم أتاها المارداني عليُّ
وهو أميرٌ فَضْلُهُ بادٍ جَلي

[٢٢٤ ب] / أقام فيها مدةً طويلة
في رتبةٍ أثيرةٍ أثيلهْ

يفعل فيها كلَّ ما يختار
وَجُودُهُ وفَضلُهُ يُمتارُ (١)

ليس له فيما يُريدُ مانعُ
يُسْعِدُهُ الأقدارُ والطوالعُ

يكتبُ في أشياءَ ما يُخالفُ
فيها كأنَّ دَهْرَهُ مُحالفُ

وهو قَريرُ العين في سلطانِه
مُبَلّغُ الأوطارِ في أوطانِهِ

---

(١) مار وأمتار : طلب الميرة وهي الطعام .

يفعـــل فيهـــا كـــلَّ مـــا أرادا

فـــي صِحَّـــةٍ منـــه ومـــا رأى دا (١)

وكَـــاثَـــرت يمينُـــــه السَّحـــائبـــا

إذا أتـــى العافـــي إليهـــا راغبـــا (٢)

فقلَّمـــا يُبقـــي عـــلى أمـــوالـــه

وقَـــلَّ مَـــنْ حـــاكَ عـــلى مِنْوالِـــهِ

لـــهُ مُحيَّـــاً زانَـــهُ بَهـــاؤُهُ

خِبـــاؤُه عنـــد اللِّقـــا حيـــاؤهُ

وحِلْمُـــه جَمَّلَـــهُ عنـــد السَّـــطا (٣)

ومـــا سعت لـــه خُطـــاً إلى خَطـــا (٤)

وطـــاهـــرُ اللِّســـان فـــي خطـــابـــه

لا يَلْفِـــظُ الفحشـــاء مـــن آدابـــه

وعَفْـــوُهُ وافٍ فمـــا ينتقـــمُ

لنفســـه إذا يَـــزِلُّ المجـــرمُ

يَعْفـــو لأخـــلاقٍ لـــه مُقَـــدَّرهْ

عمَّـــن جنـــى والعفـــوُ عنـــد المقـــدرهْ

لـــم يتحمَّـــل مِنَّـــةً لمـــن خَـــدَمْ

حتّى يكـــافئـــه بأصـــناف النِّعَـــمْ

---

(١) دا : الداء : وهو ما يقابل الصحة .
(٢) العافي : طالب الفضل أو الرزق .
(٣) السطا : السطوة . أي إنه حليم عند المقدرة .
(٤) الخطا : الخطأ .

فلُبْسُــــه وخيلُـــــه ومــالُــــــه

بين الـــورى فهــي لـــــه حمىً لــه

[٢/٢٤ ب] / سماحُـــــهُ جـــارٍ عـــلى دراهمـــهْ

فحاتــمٌ مــن فص فَــصٌ خاتَمَــه

أمــوالُــــه مثـــلُ العِــدى إنْ جُنِّدوا

فهـــو عـــلى تفــريقهـــا مجـتهـدُ

وواقـــفٌ عنـــد قضـاءِ الشّــرْعِ (١)

فــي كُــلِّ أصــلٍ يُحتذى وفَــرْعِ

وعـــارفٌ بمـذهـب النُعمـــانِ (٢)

فهـــو فقيــــهٌ مــــالــــه مُــدانِ

مِــنْ فضــلـه يُجالسُ الأَفــاضـــلا

مُنــاظِــراً ولِلْعِــدى مُنــاضِــلا

يُعــامِــــلُ اللّــــهَ ويتّقيّـــه

لأجــــل ذا بلطفِــــه يقيـــهِ

أقـــام فـــي دمشـــقَ مــا أقـــامــا

فــأَذْهــــبَ الأحــــزانَ والأَسْــقاما

(١) في الأصل : « قضايا » إلا أننا رجحنا رواية (أمراء دمشق) في الصفحة ١٧٥ .

(٢) النعمان : هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت . رأس المذهب الحنفي أحد مذاهب أهل السنة والجماعة . المتوفى سنة ١٥٠ هـ .

وراحَ منهـــا نائبـــاً إلــى حَلَـــبْ
ونـــالَ منهـــا زُبْـــدَةً لما حَلَـــبْ

* * *

الأمير الكبير ، العالمُ الفاضلُ ، أبو الحسن ، علاء الدين أمير علي المارداني (١) . رأس نوبة (٢) النّاصري ، بقية البيت الشريف الناصري وأحد رؤوسائه وزعمائه ، ممن يُعد في بيت الناصر محمد بن قلاوون . دخل إلى بيت السلطان الملك الناصر سنة ثمان وعشرين وسبعمائة . وصار رأس نوبة في زمن الأشرفِ كُجُك (٣) . وأخذ إمرة العشرة في زمن الملك الصالح صالح . والطبلخاناه (٤) في زمن الكامل شعبان . وجُعِل لالا للسلطان الناصر حسن / وهو صغير في [٢٢٥آ] زمن المظفر حاجي . ولما تسلطن الملك الناصر حسن ، أخذ إمرة المئة وتقدمة الألف . وحفظ (القُدوري) في مذهب أبي حنيفة(٥) بعد ما قرأ

---

(١) ترجمته في الوافي بالوفيات ٢٢ / ٦٧ – الترجمة ٢٦٠ والدرر الكامنة ٣ / ٧٧ – الترجمة ١٦٠٣ والسلوك ج ٢ ص ٨٥١ و ج ٣ ص ١٩٢ والبداية والنهاية ١٤ / ٢٦٥ وإعلام الورى ص ٢٢ والنجوم الزاهرة ١١ / ١١٦ ، وولاة دمشق ٢٠٩ و ٢١٧ و ٢٢٤ وأمراء دمشق ص ١٣ .

(٢) انظر التعريف برأس النوبة ص ٢٧٣ج٢ .

(٣) تقدم ص ٢٨٠ج٢ .

(٤) انظر حواشي ص ٢٧١ج٢ .

(٥) القدوري : ويقال : مختصر القدوري ، كتاب مشهور جداً في فروع الفقه الحنفي للإمام أبي الحسن أحمد بن محمد القدوري البغدادي الحنفي المتوفى سنة ٤٢٨ هـ = ١٠٣٧ م . مطبوع . (انظر كشف الظنون ١٦٣١ والأعلام ١ / ٢١٢) .

القرآن ، وختَمَه . وختَم البخاري (١) سماعاً . وسمع الحديث في المَيْدان على البالِسيّ ، وحجّ مرتين : إحداهما في سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة ، صُحبَة السلطان الملك الناصر محمد ، والأخرى صحبة الأمير بُشتاك والأمير علاء الدين طَيْبُغا المارداني في سنة تسع وثلاثين وسبعمائة . ولايزال يطالع في كتب الفقه في مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه ، مكبّاً على النظر في (الهداية) (٢) . ولم يرَ النّاس مثل حيائه وحِشْمته ، لايسمع أحد منه كلمةَ سُوءٍ في جِدٍّ ولا هَزْل ، يَصْحَبُ أهلَ العلم ، ويجالسهم ويقرِّبُهم ويَقضي حوائجهم ، ويتفقدّهم بإنعامه وإنْ بَعُدَ عنهم ، ويبالغ في الإحسان إلى أصحابه وألزامَه (٣) ، لايكاد ينسى منهم أحداً وإن بَعُدوا عنه ، واقفٌ عند الشرع الشريف وحدوده لايَتخطّاها ، ويَلْزَمُها فلا يتعداها ؛ ليس فيه شيءٌ من الجَبَروت ، يستحي من يسأله شيئاً فلا يردُّه / ، [٢٢٥ ب] وإذا وعد وفى بوعده ، مَنْ يسيء إليه يعامله بالعفو والإحسان .

أساء إليه الأمير علاء الدين مَغْلَطاي أمير آخور (٤) ، وأخرجه إلى دمشق أميراً ، فوصل إليها عصر الخميس عشري ذي القعدة . وعاد بعد قليل إلى مصر في يوم السبت ثامن عشر رجب الفَرْد . وجاء إلى دمشق ثانياً ، وقد حُبس مغلطاي في الإسكندرية ، ثم أُفرجَ عنه ،

(١) أي صحيح الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (الجامع الصحيح) ويعرف اختصاراً بالبخاري .

(٢) الهداية : كتاب مشهور جداً في فروع الفقه الحنفي أيضاً لشيخ الإسلام برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني المتوفى سنة ٥٩٣هـ = ١١٩٧م . مطبوع . (انظر كشف الظنون ٢٠٣١ - ٢٠٤٠ والأعلام ٤ / ٢٦٦) .

(٣) أي من يلازمه .

(٤) انظر الدرر الكامنة ٤ / ٣٥٥ - الترجمة ٩٧٠ .

ورُسم له بالمقام في طرابلس ، فلما قارب دخول دمشق طلع إليه وأكرم نُزُله . وتوجّه إلى طرابلس فحصل له ضعف ، فسأله المكاتبة في حقّه ليحضر إلى دمشق يتداوى بها . فكتب له إلى السلطان ، فأجيب إلى سؤاله ، فحضر إلى دمشق وهو يزيد في إكرامه ، إلى أن مات . رحمه الله .

وكان الأمير سيف الدين شيخو (١) يبالغ في تعظيمه ، ويعتقد دينه وخيرَه ، ولما خرج هو والأمير سيف الدين طاز (٢) ، والأمير صرغتمش (٣) صحبة الملك الصالح إلى دمشق في واقعة بيبغاروس (٤) ، أجمع رأيهم على مُقامه بمصرٍ في قلعة الجبل (٥) ، يحفظ لهم الملك . ولما توجّه شيخو / وطاز إلى حلب خلف بيبغاروس وقرر نيابة حلب [٢٢٦ آ] لأرغون الكاملي ، أجمع رأيُهم على أن يكون أميرُ علي نائب الشام فلمّا وصل السلطان إلى قلعة الجبل ، واستقرّ أمرهم ، لم يروا الحال تغيّر ، قالوا له : أنت نائب الشام . فلم يقبل ذلك ، وطلب الإعفاء وتعب وكرَّر الإباء ، فما أفاد شيئاً . فخرج إلى دمشق ودخلها في بكرة السبت ، خامس ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ، وما أقام بها إلاّ ثلاثة أيام ، حتى فرّق الضّحايا (٦) على الناس كلّهم ،

---

(١) تقدم قبل صفحات قليلة .

(٢) تقدم قبل صفحات قليلة .

(٣) كان رأس نوبة ، عظم دوره في دولة الصالح صالح . أمسكه الناصر حسن في رمضان سنة ٧٥٩ هـ وجهزه إلى الإسكندرية وقتل فيها في السنة ذاتها . وهو صاحب المدرسة الصرغتمشية بالقاهرة . (الدرر الكامنة ٢ / ٢٠٦ – الترجمة ١٩٧٨ وخطط المقريزي ٢ / ٤٠٤ – المدرسة الصرغتمشية) .

(٤) تقدم الحديث عنها قبل صفحات قليلة .

(٥) تقدم التعريف بها ص ٢٥٤ج٢ .

(٦) أي : لحم الأضاحي .

وتمكن في النيابة وعَمِلَها كما يجب . وكان لايكتب في شيء إلا ويجيء الجواب بما أراده .

وأنشأ في دمشق جماعةً من الأمراء وغيرهم من العشرات والمقدّمين والأجناد ، وقضاة القضاة والمدرسين والفقهاء والكتّاب . والموقعين في الدّست . وكتّاب الإنشاء . وغيرهم من أرباب السيوف والأقلام . ومن نواب حمص وبعلبك وغيرهم . وعم النّاس بالإنعام والإحسان والمكارم ، وأحسن السياسة أوّلَ قدومه / إلى دمشق في أمراء العرب [٢/٢٦ ب] (حرم)(١)وغيرهم المفسدين بغزة والساحل . وأحضرهم وخلع عليهم ، وطيّب خواطِرَهم ، وكتب إلى السلطان وطلب لهم الإقطاعات ، فجاءت المناشيرِ بذلك ، واستقر أمرهم على السّداد ، وخلّص الناسَ من شرِّهم ، وعدوانهم وأذاهم ، ولم يزل مقيماً في دمشق والناس معه ، في نومٍ ملءَ عيونهم ، وسُرورٍ ملءَ صدورهم ، إلى أن رُسِمَ له بالتوجُّه إلى حَلَبَ ثانياً ، فتوجّه إليها في بُكْرة السبت سادس عشر جُمادى الأُولى سنةَ تسعٍ وخمسين وسبعمائة .

وسـارَ عنها وفـي أحشـائـها لَهَـبٌ
علـى فِـراقِ معَاليـه ورَأْفتِـهِ

ولما دخل إلى حلبَ أحسنَ إلى أهلها ، وأبْدَلَها المعارفَ من جهلها ، ولم يقبل لأَحدٍ من أمرائها ، ولا من أرباب وظائفها ، ولا من نواب الحصون التي لها شيئاً جلّ ولا قلّ ، ولنوابها عَوائدُ بذلك (٢) .

(١) غير واضحة في الأصل .
(٢) أي من عاداتهم الدفع والإهداء .

وكتبتُ أنا السرَّ الشريف بين يديه (١) ؛ وكنتُ من أحظى الناس لديه ، غمرني بإحسانه ، وجبَّرني بامتنانه . ولما خرج من حلب عائداً إلى دمشق / ، خلع على متقدمي ألوفها . وعلى أرباب الوظائف من [٢٢٧ آ] أرباب السلاح والأقلام . وشملهم الإنعام . وتوجّه منها والقلوب دامية ، والجفون هامية ، وقالوا :

إنما أنتَ ربيعٌ زاهرٌ
حيثما صرَّفه اللهُ انصرَفْ

* * *

(الأمير سيف الدين منْجك)

ثم تولاّها الأمير منْجَك
وهو الذي أُمُوره لاتُدْرَكْ

الأمير الكبير الوزير سيف الدين منجك الناصري (٢) . جرت له أمور وتقلبات ، ولي أستاذدارية السلطان الملك المظفر حاجي (٣) . وكان قد حضر في زمن المظفر حاجي إلى دمشق أميرَ حاجب . فما لبث قليلاً حتى خُلع المظفّر ، وتولى الملك الناصر حسن (٤) ، وصار

(١) كتابة السر بحلب إحدى الوظائف التي تقلدها الصفدي مؤلف هذا الكتاب . انظر المقدمة . وكاتب السر : هو رئيس ديوان الإنشاء .

(٢) ترجمته في خطط المقريزي ٢ / ٣١٩ والدرر الكامنة ٤ / ٣٦٠ – الترجمة ٩٨٥ ونزهة النفوس ١ / ٣٤ – ح ١ وإعلام الورى ٢٢ وولاة دمشق ٢١٣ .

(٣) تقدم التعريف به ص ٢٦٧ ج٢ .

(٤) تقدم ص ٢٨٤ ج٢ .

أخوه الأمير سيف الدين بيبغاروس (١) نائب مصر . وطُلِب الأمير
منجلك إلى مصر ، وجُعل أستاذ الدار ، وبعد قليل جُعل وزيراً ،
ثم عُزل عن الوزارة ، ثم أعيد إليها . ثم إنَّ الناصر حسن أمسك
أخاه في طريق الحجاز ، وأمسكه في مصر ، واعتقله في الإسكندريّة ،
[٢٢٧ب] ثم أَفْرَجَ عنه وجُعل أميراً . ولما خَرَجَ أخوه بيبغاروس / في حلب
على السلطان الملك الصّالح صالح ، اختفى هو وتطلبوه ، وربطوا له
الطرقات ، ثم إنه أُمسك بالقاهرة في بيت أستاذ داره الحسام ، واعتقل
ثم أفرج عنه ، وبُعِث إلى صفَد فأقام بها يسيراً ، وتوجّه إلى القدس .
ولمّا خُلع الصالح ، وأُعيد الناصر حسن ، وكان الأمير سيف الدين
أيتمش (٢) نائب طرابلس قد توفي إلى رحمة الله تعالى في تلك المدّة ،
بعث الأمير مَنْجَك نائباً إلى طرابلس ، فأقام فيها إلى أن أمسك الأمير
سيف الدين طاز (٣) نائب حلب ، فرسم للأمير سيف الدين منجلك
بنيابة حلب ، فتوجّه إليها في شهر صفر سنة تسع وخمسين وسبعمائة .
وأقام بها ثلاثة أشهر ، ورُسِم له بنيابة دمشق عوضاً عن الأمير علاء
الدين أمير علي المارداني (٤) ، فتوجّه أمير علي إلى حلب ، ووصل
الأمير منجلك إلى دمشق نائباً في بكرة الخميس خامس عشر جُمادى
الآخِرَة سنةَ تسعٍ وخمسين وسبعمائة ، فأقام بها نائباً إلى يوم عرَفة
[٢٢٨ آ] من السنة المذكورة . وجاءه من أخذه وتوجّه به / إلى صفَد نائباً .

* * *

---

(١) تقدم قبل صفحات ، وهو أخو منجلك المذكور .
(٢) تقدم ص ٢٦٧ ج٢ .
(٣) تقدم ص ٢٨١ ج٢ .
(٤) تقدم ص ٢٩٢ ج٢ .

(علاءُ الدين المارداني ثانية)

ثم أتاها الماردانيُّ ثانيهْ
وأصبحتْ بالقُرب منه حاليَةْ (١)

حتى اغتدت تميد بالسكان
مائسةَ الأعطاف بالأركانِ

وفَرِحَ الناسُ به كثيراً
وامتلأتْ قلوبُهم سُرورا

فلم يَطُلْ في رَبَعِها مَقامُهْ
وقُوِضَت (٢) عن دارها خيامُه

وراحَ منها ما يعي الوصَايا
لكن وَقاه ربُّه الرَّزايا

وانفرجَتْ عن ضيقة سريعا
وكاد أن يُمسي بها صَريعا

وفَكَّ عنه الله ذلك الصفَدْ
وعاد منه نائباً إلى صَفَدْ

---

(١) الحالية : التي تلبس الحلي للزينة ، ويستعار للشجرة إذا أورقت وأثمرت ، وهو جار في كل ما أشبه ذلك .

(٢) كذا الأصل . ولعل الصواب : « وعوضت » .

وكان هذا من غَريب ما اتفقْ
ولطف اللهُ به ثم رَفَقْ

* * *

ولم يُقم الأمير علاء الدين بحلب غير سَبعةِ أشهر ، أو ما يزيد عليها ، حتى رُسم له بالعود إلى دمشق ثانياً (١) ، ففرح الناس به فرحاً كثيراً وتلقّوْه . ومنهم من وصل إلى حلب ، ووصل الحُجّاب وغالب العسكر إلى جُبٍّ السّقّا وهو بين حماة والمعرة . ولما خرج من حلب خلع على أصحاب الوظائف من أرباب السيوف ، وغالب الأمراء ، وعلى أصحاب / الوظائف الكبار من المتعممين ، ودخل إلى دمشق في أول المحرم سنة ستين وسبعمائة . [٢٢٨ ب]

* * *

هنا وقف المؤلف، رحمه الله تعالى ، وبوّأه من الجنّة غُرَفاً وظِلالاً ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواتُه وسلامُه على خير الخَلْق أجمعين ، محمدٍ نبيِّ الرَّحمةِ ، وعلى آله وأصحابه وأزواجه ، الطيبينَ الطاهرين ، وحَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوكيلُ ، ولا حولَ ولا قُوّةَ إلا بالله العزيزِ الحكيم .

وكان الفراغ منه في خامس عشري شعبان المكرم سنة خمس وتسعين

---

(١) تقدم الكلام على توليه دمشق أول مرة صفحة ٢٩٥ ج٢ .

وسبعمائة على يد العبد الفقير إلى رحمة ربه محمدِ بنِ سلُيمانَ أبي بكر الأَذْرَعِيّ . غفر الله له ولمالكه ولوالديهم وجميع المسلمين ، ولمن دعا لهم بالتوبة والمغفرة آمين (١) .

* * *

(١) بعد هذه الخاتمة كتبت ترجمة ناسخ هذه المخطوطة ، وقبلها : « نقلت ترجمة كاتب هذه النسخة المباركة من كتاب (قطف الثمر) من مرويات الشيخ ناصر الدين ابن أبي عمر للعلامة الشيخ شمس الدين محمد بن طولون الحنفي ، رحمه الله تعالى » . وهذا هو نص الترجمة : « محمد بن سليمان بن أبي بكر بن محمد بن حامد بن محمود بن حامد الحراني ، الأذرعي ، الدمشقي ، الشافعي ، شمس الدين . ولد في سنة خمسين وسبعمئة ، وسمع من أبي محمد عبد الرحيم بن غنائم التدمري (صحيح مسلم) في سنة تسع وستين ، ولازم الشيوخ الكبار ، والزهاد الأخيار ، منهم الشيخ أبو بكر الموصلي ، والشيخ محمد الجمالي ، والقاضي تاج الدين السبكي . وسمع منه فيما ذكر . وكتب الكثير بخطه الحسن ، وكان شيخاً حسناً ، تالياً للقرآن كثيراً ، يحفظ التاريخ والشعر ،وأدب الأطفال بمسجد ابن الفرفور بالعنابة خارج دمشق ، ومات ليلة الجمعة خامس عشر شهر ربيع الأول سنة أربعين وثمانمئة ، ودفن ببيت لهيا . رحمه الله تعالى . سمعت عليه صحيح مسلم بالمسجد المذكور خلا المجلس الأخير فبالجامع الناصري بمسجد القصب خارج باب السلامة » .

المســارد

مسرد موضوعات الجزء الثاني

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *

مسرد الآيات القرآنية

الآية	السورة	الآية	الصفحة	الجزء
الحشر .	الحشر	٢	٥٣	١
– وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون	الأنعام	١٢٩	١٢٤	١
– الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم .	البقرة	٢٥٥	١٣٠	١
– والتين والزيتون .	التين	١	١٣٤	١
– إن الله يأمر بالعدل والإحسان .	النمل	٩٠	١٤٩	١
– ليس لك من الأمر شيء .	آل عمران	٢٨	١٧٦	١
– وانظر إلى حمارك .	البقرة	٢٥٩	١٧٩	١

* * *

مسرد الأحاديث النبوية

* * *

مسرد الأعلام



مسرد الأقوام والجماعات

* * *

مسرد المصطلحات

* * *

مسرد الأماكن

* * *

مسرد الأيام والوقائع

* * *

مسرد الكتب الواردة في متن الكتاب

* * *

مسرد المصادر والمراجع

– اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا: المقريزي – تحقيق جمال الشيال – مصر ١٩٤١ م .

– أخبار الدول المنقطعة : جمال الدين علي بن ظافر – المجلد الثاني – مطبوعات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية – القاهرة ١٩٧٢ م .

– أخبار القرامطة في الإحساء والشام والعراق واليمن : جمع وتحقيق د . سهيل زكار . دمشق ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م .

– أخبار النحويين البصريين : السيرافي .

– الاستيعاب في معرفة الأصحاب : ابن عبد البر – تحقيق محمد علي البجاوي .

– أسد الغابة في معرفة الصحابة : ابن الأثير – مصر ١٢٨٠ هـ .

– الإشارة لمن نال الوزارة : أمين الدين تاج الرياسة علي بن منجب المعروف بابن الصيرفي – تحقيق : عبدالله مخلص – المعهد العلمي الفرنسي الخاص للعاديات الشرقية – القاهرة ١٩٣٣ .

– الإصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر العسقلاني – مصر ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م .

– إعتاب الكتاب : ابن الأبار – تحقيق : صالح الأشتر . مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٦١ م .

– الاعتبار : ابن منقذ (أسامة بن مرشد الكناني) – حرره فيليب حتي جامعة برنستون – الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٣٠ م .

– الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ابن شداد – الجزء الثاني – تحقيق د . سامي الدهان – دمشق ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٦ م . القسم الأول والثاني – تحقيق : يحيى عبارة – وزارة الثقافة – دمشق .

– الأعلام : خير الدين الزركلي – طبعات متعددة .

– أعلام التاريخ والجغرافية عند العرب : د . صلاح المنجد .

– إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء : محمد راغب الطباخ . طبعة ١٣٤٣ هـ – ١٩٢٥م .

– أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام : عمر رضا كحالة – الهاشمية دمشق .

– إعلام الورى بن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى : محمد بن طولون – تحقيق . أحمد دهمان – وزارة الثقافة – دمشق ١٣٨٣ هـ – ١٩٦٤ . (احياء التراث العربي) .

– الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ : السخاوي – تحقيق روزنتال – بغداد ١٩٦٣ .

– أعيان الشيعة : العاملي – دمشق ١٩٤٦ .

– إغاثة الأمة بكشف الغمة : للمقريزي : نشره د . محمد مصطفى زيادة وجمال الشيال ١٩٤٠ م .

– أمراء دمشق في الإسلام : صلاح الدين الصفدي تحقيق د . صلاح المنجد – بيروت – دار الكتاب الجديد ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م . وطبعة مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٥٥ م .

– إنباه الرواة على أنباه النحاة : القفطي – تحقيق محمد أبي الفضل – القاهرة ١٩٥٠– ١٩٧٣ .

– إنباء الغمر بأبناء العمر : ابن حجر العسقلاني – تحقيق محمد أحمد دهمان – مكتب الدراسات الإسلامية دمشق – المجلد الأول ١٣٩٩ هـ .

– الأنساب : لأبي سعيد عبد الكريم بن محمد السمعاني . نشره المستشرق مرجليوث ١٩١٢ م .

– أنساب الأشراف : البلاذري – الجزء الخامس .

– الأوائل : أبو هلال العسكري : تحقيق محمد المصري ووليد قصاب – دار العلوم – الرياض ١٩٨٨ ، والمختار من الأوائل : اختيار محمد المصري – وزارة الثقافة – دمشق .

– أيام العرب في الإسلام : محمد أبو الفضل إبراهيم – علي محمد البجاوي ١٣٦٩ هـ – ١٩٥٠ م .

– بدائع الزهور في وقائع الدهور : ابن أياس . تحقيق: محمد مصطفى . مركز تحقيق التراث – القاهرة ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م .

– البداية والنهاية في التاريخ : إسماعيل بن عمر – الجزء الثاني عشر والثالث عشر مكتبة المعارف – بيروت ١٩٦٦ م .

– بغية الطلب في تاريخ حلب : ابن العديم – تحقيق د . سهيل زكار – دمشق ١٩٨٨ .

– بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : السيوطي – القاهرة ١٣٢٦ هـ .

– تاج العروس في جواهر القاموس : الزبيدي – مصر ١٣٠٦ هـ .

– تاريخ الأدب العربي : بروكلمن – الطبعة العربية . منشورات جامعة الدول العربية – الادارة الثقافية .

– تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام : الحافظ الذهبي – مكتبة القدسي القاهرة ١٣٦٧ هـ .

– تاريخ الحروب الصليبية : ستيفن رنسيمان – نقله إلى العربية د . الباز العريني – دار الثقافة – بيروت ١٩٦٧ م .

– تاريخ الخلفاء : السيوطي – تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد – ط١ . مصر ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ – ط٤ ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

– تاريخ الرسل والملوك: الطبري – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعارف بمصر .

– تاريخ ابن قاضي شهبة : أحمد بن قاضي شهبة الأسدي . تحقيق د . عدنان درويش المجلد الأول – الجزء الثالث من المخطوط – المعهد الفرنسي للدراسات العربية دمشق١٩٧٧م .

– تاريخ قبة الصخرة : عارف العارف .

– تاريخ مختصر الدول: ابن العبري – وقف على طبعه الأب أنطون صالحاني اليسوعي .

– تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر – المجلدة الأولى والثانية – تحقيق.د.صلاح المنجد منشورات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٧١ هـ – ١٩٥١ م .

– تاريخ مدينة دمشق : ابن عساكر – تحقيق : نشاط غزاوي .

– تاريخ مدينة دمشق : ابن عساكر – تحقيق : د. شكري فيصل .

– التاريخ المنصوري (تلخيص الكشف البيان في حوادث الزمان) : محمد علي بن نظيف الحموي – تحقيق د . أبو العيد دودو – مراجعة د. عدنان درويش – مجمع اللغة العربية – دمشق ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

– تذكرة الحفاظ : الحافظ الذهبي – دائرة المعارف العثمانية – حيدر أباد الدكن – مصورة عن طبعة بتحقيق عبد الرحمن يحيى المعلمي ١٩٥٦ م .

- ترويح القلوب في ذكر بني أيوب: الزبيدي. تحقيق . د. صلاح المنجد - دمشق ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .
- تعجيل المنفعة بزوائد الأئمة الأربعة : ابن حجر العسقلاني. تحقيق عبدالله اليماني ١٩٦٦ م .
- تكملة المعاجم العربية : دوزي . ترجمة د . محمد سليم النعيمي وزارة الثقافة العراقية .
- تهافت رأي اليعقوبي حول بناء قبة الصخرة: زهير حميدان الصمصام - مجلة نهج الإسلام دمشق العدد لسنة ١٩٩٢ م .
- تهذيب تاريخ ابن عساكر : عبد القادر بدران . مجلد ١ - ٥ مطبعة الروضة الشام ١٣٣٢ هـ . الجزءان السادس والسابع مطبعة الترقي - طبع أحمد عبيد - دمشق ٣٤٩ هـ .
- تهذيب التهذيب : ابن حجر العسقلاني - حيدر آباد ١٣٢٥ هـ .
- توضيح المشتبه : الذهبي .
- الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام : ابن طولون. تحقيق د . صلاح الدين المنجد. المجمع العلمي بدمشق ١٩٥٦ م .
- ثمار المقاصد في ذكر المساجد : يوسف بن عبد الهادي - المعهد الفرنسي بدمشق .
- جدول المسافات في القطر العربي السوري .
- جمهرة النسب لا بن الكلبي : تحقيق محمود فردوس العظم - دمشق .
- حسان بن ثابت : د . إحسان النص .
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة : السيوطي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - مطبعة الحلبي ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .
- الحلة السيراء : محمد بن عبدالله القضاعي - ابن الأبار - تحقيق د . حسين مؤنس . طبعة أولى ١٩٦٣ م .
- حلية الأولياء : الأصبهاني - مصر ١٩٣٢ .
- خريدة القصر وجريدة العصر : العماد الأصفهاني الكاتب - بداية قسم شعراء الشام : تحقيق د. شكري فيصل - مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .
قسم شعراء مصر - تحقيق أحمد أمين وشوقي ضيف واحسان عباس - القاهرة ١٩٥١.
قسم شعراء العراق : تحقيق محمد بهجة الأثري - مطبوعات المجمع العلمي العربي العراقي - بغداد ١٩٥٥ م .

– خزانة الأدب ولباب لسان العرب : البغدادي – طبعة بولاق ١٢٩٩هـ . تحقيق عبد السلام محمد هارون .
– خطط دمشق : أكرم العلبي / دمشق / دار الطباع / ط ١ / ١٩٨٩ .
– دائرة المعارف الإسلامية مجلد (١٤) .
– دائرة المعارف البريطانية .
– الدارس في تاريخ المدارس : عبد القادر النعيمي . تحقيق : جعفر الحسيني – مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م .
– الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة : ابن حجر العسقلاني : تحقيق محمد سيد جاد الحق – القاهرة – ونسخة مطبعة دار الجيل – بيروت .
– دول الإسلام : الذهبي – الجزء الأول والثاني – ذيله السخاوي إلى سنة ٩٠١ هـ – دائرة المعارف العثمانية – الدكن ١٣٣٧ هـ .
– دور القرآن بدمشق : عبد القادر بن محمد بن عمر النعيمي . تحقيق د. صلاح الدين المنجد – دار الكتاب الجديد – بيروت ١٩٧٣ ط٢ .
– ديوان البحتري .
– ديوان أبي تمام .
– ديوان جرير : شرح الصاوي – دار الأندلس ١٣٥٣ هـ .
– ديوان حسان بن ثابت : شرح البرقوقي .
– ديوان الخالديين : جمع وتحقيق د . سامي دهان – المجمع العلمي العربي بدمشق .
– ديوان ابن الساعاتي : علي بن رستم . تحقيق أنيس المقدسي – بيروت ١٩٣٨ هـ .
– ديوان الشريف الرضي : المطبعة الأدبية – بيروت ١٣٠٧ هـ . ودار صادر – ببروت ١٩٦٠ .
– ديوان أبي الطيب المتنبي : بشرح أبي البقاء العكبرى ١٣٥٥ هـ / ١٩٢٦ .
– ديوان عرقلة الكلبي : تحقيق أحمد الجندي – المجمع العلمي العربي بدمشق .
– ديوان العكوك : علي بن جبلة . جمع وتحقيق زكي ذاكر العاني – بغداد .
– ديوان ابن عنين : شرف الدين محمد بن نصر . تحقيق . خليل مردم بك – المجمع العلمي بدمشق ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م .
– ديوان فتيان الشاغوري : فتيان بن علي الأسدي . تحقيق أحمد الجندي .
– ديوان كثير : جمعه وشرحه جابر عباس – دار الثقافة – بيروت ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .

– ديوان النابغة الذبياني : جمع وتحقيق رستم محمد الطاهر بن عاشور ١٩٧٦ م .

– ديوان الوليد بن يزيد بن عبد الملك : جمع وترتيب المستشرق الإيطالي ف . جبريالي. قدم له : خليل مردم بك . مطبعة ابن زيدون – دمشق ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٧ م .

– ذيل تاريخ بغداد : ابن النجار – مخطوطة الظاهرية .

– ذيل تاريخ دمشق : أبو يعلى حمزة بن القلانسي . مطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٠٨م .

– ذيل العبر : محمد بن علي الحسيني – تحقيق محمد رشاد عبد المطلب – الكويت .

– ذيل مرآة الزمان : الشيخ قطب الدين موسى بن محمد اليونيني. دائرة المعارف الإسلامية– حيدر آباد ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .

– الروض المعطار في خبر الأقطار : محمد بن عبد المنعم الحميري – تحقيق إحسان عباس ١٩٧٥ م .

– الروضتين في أخبار الدولتين : أبو شامة المقدسي – القاهرة ١٢٨٧ .

– زبدة الحلب من تاريخ حلب : ابن العديم – تحقيق د . سامي الدهان .

– السلوك لمعرفة دول الملوك : المقريزي – تحقيق د . محمد مصطفى زيادة .

– سيرة أحمد بن طولون : عبدالله بن محمد البلوي . تحقيق وتعليق محمد كرد علي . مطبعة الترقي – دمشق ١٣٥٨ هـ .

– شذرات الذهب في أخبار من ذهب : ابن العماد الحنبلي.عني بنشره مكتبة القدسي – القاهرة ١٣٥٠ هـ .

– الشعر والشعراء لابن قتيبة : تحقيق أحمد شاكر – القاهرة ١٣٦٤ هـ .

– شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل:شهاب الدين الخفاجي – مطبعة السعادة – القاهرة ١٣٢٥ هـ .

– صبح الأعشى في كتابة الإنشاء : القلقشندي .

– طبقات خليفه بن خياط :تحقيق – د . سهيل زكار – وزارة الثقافة بدمشق١٩٦٦م .

– طبقات الشافعية : تاج الدين السبكي – المطبعة الحسينية بمصر .

– طبقات فحول الشعراء : ابن سلام الجمحي – تحقيق محمد محمد ١٩٧٤ .

– الطبقات الكبرى لابن سعد : دار صادر – بيروت ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .

– طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب : ابن رسول – المجمع العلمي بدمشق – ١٩٤٩ .

– عالم الفكر – مجلة – المجلد ١١ لعام ١٩٨٠ – الكويت – بحث لأحمد فكري بعنوان قبة الصخرة .
– العبر في خبر من عبر : الذهبي – الجزء الثالث – تحقيق فؤاد السيد – الكويت ١٩٦١ م .
– عجائب المقدور في أخبار تيمور : القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد الأنصاري ابن عرب شاه – المطبعة العامرة العثمانية – مصر ١٣٠٥ هـ .
– العقد الفريد : ابن عبد ربه .
– عيون الأنباء في طبقات الأطباء : ابن أبي أصيبعة – تحقيق د . نزار رضا – مكتبة الحياة – بيروت .
– الغصون اليانعة في محاسن شعراء المئة التاسعة : ابن سعيد الأندلسي – تحقيق إبراهيم الأبياري – القاهرة ١٩٤٥ م .
– الفخري في الأداب السلطانية : ابن الطقطقي – دار صادر– بيروت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦ م .
– فوات الوفيات : محمد بن شاكر الكتبي – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – مطبعة السعادة بمصر .
– قاموس الفارسية : د . عبد المنعم محمد حسنين – دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٨٢م / ١٤٠٢ هـ (قاموس – فارسي عربي) .
– القلاع أيام الحروب الصليبية . فولفغانغ مولر – فيز / ترجمة محمد وليد الجلاد مركز الدراسات العسكرية / دمشق ١٩٨٢ .
– قواعد عقائد آل محمد : محمد حسن الديلمي اليماني .
– الكامل في التاريخ : ابن الأثير . الأجزاء التاسع والعاشر والحادي عشر – دار صادر – بيروت ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦ م .
– اللباب في تهذيب الأنساب : ابن الأثير – القاهرة ١٣٥٧ هـ .
– لسان العرب : ابن منظور .
– لسان الميزان : ابن حجر العسقلاني – حيدر آباد ١٣٣١ هـ .
– اللاذقية عبر التاريخ : جبرائيل سعادة .
– مآثر الإنافة في معالم الخلافة : القلقشندي . تحقيق عبد الستار أحمد فراج . بيروت ١٩٦٤ .
– متن اللغة للشيخ أحمد رضا .

– المختار من مآثر الإنافة : اختيار شوقي أبو خليل – وزارة الثقافة بدمشق .
– المختار من خطط المقريزي : اختيار زهير حميدان – وزارة الثقافة – دمشق .
– مختصر تاريخ ابن عساكر : ابن منظور – دار الفكر بدمشق .
– مختصر تنبيه الطالب – إرشاد الدارس إلى أحوال دور القرآن والحديث والمدارس: عبد الباسط العلموي – تحقيق وتعليق د . صلاح الدين المنجد – مديرية الآثار القديمة – دمشق ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م .
– المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ محمد بن سعيد بن الدبيثي : انتقاء محمد بن عثمان الذهبي – تحقيق د . مصطفى جواد . المجمع العلمي العراقي ١٣٧١ هـ / ١٩٥١ م .
– مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية : د . سهيل زكار . دار الفكر بدمشق ١٩٧٣ م .
– مرآة الجنان : اليافعي – طبعة مصورة عن طبعة الهند ١٣٣٩ هـ .
– مرآة الزمان في تاريخ الأعيان : يوسف بن قزاوغلي (سبط ابن الجوزي) حيدر آباد ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م .
– معجم الأدباء : ياقوت الحموي .
– معجم البلدان : ياقوت الحموي – دار صادر – بيروت .
– معجم بلدان فلسطين . تأليف محمد شراب / دار المأمون التراث /ط١/١٩٨٧.
– معجم المؤرخين الدمشقيين وآثارهم المخطوطة والمطبوعة : د . صلاح المنجد – دار الكتاب الجديد – بيروت ١٩٧٨ م / ١٣٩٨ هـ .
– معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة .
– المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم: ابن منصور الجواليقي – تحقيق أحمد محمد شاكر – القاهرة ١٣٦١ هـ .
– مفتاح السعادة ومصباح السيادة : طاش كبري زاده – حيدر آباد .
– مفرج الكروب في أخبار بني أيوب : محمد بن سالم بن واصل .
– المفصل في الألفاظ الفارسية المعربه : د . صلاح الدين المنجد .
– المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : ابن الجوزي – الهند ١٣٥٣ هـ / ١٣٦٠ م .
– المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي : ابن تغري بردي / مصر ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦م .
– المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية،خطط المقريزي) تقي الدين المقريزي – دار صادر – بيروت .

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال : الذهبي . تحقيق محمد علي البجاوي — القاهرة .

— النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : ابن تغري بردي — دار الكتب المصرية ١٣٥٣ هـ / ١٩٥٣ م .

— النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم : المقريزي . مصر ١٩٣٧ م .

— نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان . الخطيب الجوهري — تحقيق د . حسن حبشي — دار الكتب بمصر ١٩٧٠ م . وزارة الثقافة — مركز تحقيق التراث .

— نسب معد واليمن الكبير : ابن الكلبي تحقيق محمود فردوس العظم .

— نهاية الأرب في فنون الأدب : النويري . مصر ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م .

— الوافي بالوفيات : الصلاح الصفدي . سلسلة النشريات الإسلامية — إستانبول ١٩٣١م . حقق منه ٢٣ جزءاً بإشراف جمعية المستشرقين الألمانية .

— الوزراء والكتاب: أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري— تحقيق إبراهيم الأبياري — عبد الحفيظ شلبي — القاهرة ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م .

— الوفيات : محمد بن رافع السلامي، تحقيق صالح مهدي عباس — مراجعة د. بشار عواد— — مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م . — تحقيق عبد الجبار الزكار — وزارة الثقافة — دمشق ١٩٨٥ — ١٩٩١ م .

— وفيات الأعيان : ابن خلكان — تحقيق إحسان عباس .

— ولاة دمشق في عهد المماليك : محمد أحمد دهمان / دار الفكر — دمشق .

— يتيمة الدهر : الثعالبي . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد — القاهرة ١٩٥٦ م .

* * *

٣٠٠٠ ط١ /٧/١٩٦٢